

البَيْتُ وَالْقَصَّةُ الْمَرْمُوزِيَّةُ

ثانيتها

أولاً المبدأ عاماً المبدأ المبدأ المبدأ

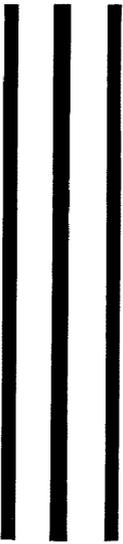
مكتبة دار الفکر للطباعة والنشر
الكويت - شارع الشيخ عبد العزيز - حي المير



مَكْتَبَةُ
الدُّنْيَا لِلدُّرَرِ وَالرَّوَاهِبِيَّةِ

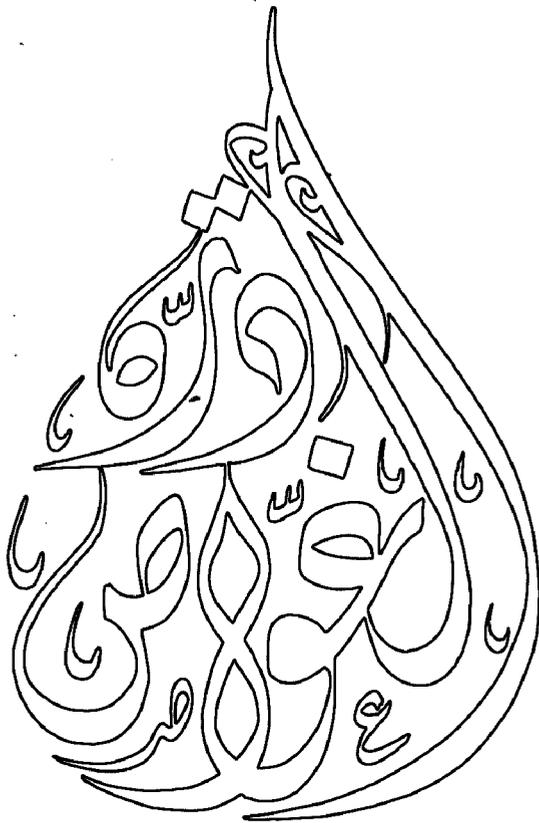


مَكْتَبَةُ
الدُّبُورِ وَرَأْسِ الْوَطَنِ



الْبَيْعُ فِي وَصْفِ الْبَيْعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الْبَيْعُ فِي وَصْفِ الْبَيْعِ

تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحِمَيْرِيُّ الإِشْبِيلِيُّ

التوفي قريباً من سنة ٤٤٠ هـ



حققه وكتب الدراسة وعلق عليه

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

هقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م



للطباعة والنشر والتوزيع
دار المعانيذ
جدة - حي مشرفه . شارع الصحافة
ت ٦٧١٣٤٤٤ : ص ب ١٤٤٨٨ . رمز بريدي ٢١١٤٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد تغنى الأدباء والشعراء بمباهج الطبيعة ومفاتها قديما وحديثا ، ووصفوا ماتعج به من مظاهر الجمال بروائع القول شعراً ونثراً ، وقد برع الشعراء والأدباء الأندلسيون براعة واضحة ملموسة في هذا الجانب ، وأبدعوا فيه إبداعاً ظاهراً يتجلى فيما خلفوه من آثار شعرية يصفون فيها طبيعة بلادهم ، ويستجلون مباهجها ومفاتها ومحاسنها التي تحلب الألباب جمالاً وروعة وبهاء ، إذ أن طبيعة بلادهم حداثق ذات بهجة ، وجنان غناء تفتح أمام شعرائهم آفاقاً فساحاً يسرحون فيها الطرف ، ويجيلون التأمل ، فيخرجون من ذلك بروائع الوصف ، وبدائع الصور ، واللوحات الجميلة .

ونحن هنا نقف على شيء من ذلك فيما جمعه لنا أبو الوليد في كتابه (البديع في وصف الربيع) من صور شعرية ونثرية لكوكبة من أدباء الأندلس ، جلهم من أبناء عصره ، انتخب لهم أبداع ماجادت به قرائحهم شعراً ونثراً ، ويعد هذا الكتاب مصدراً أساسياً لدارسى الأدب الأندلسى بصورة عامة ، وما يتعلق منه بوصف الطبيعة بصورة خاصة ، إذ يضع بين أيدينا روائع وبدائع من الوصف الذى تبرز منه ملامح جديدة للإبداع والتجديد والابتكار فى الشعر والنثر الأندلسى ، وهو أحفل مصدر ، وأوفى مورد بل منبع ثر لمثل هذا اللون من الأدب ، كما أنه يعد من المصادر اللازمة للباحثين فى النقد الأدبى لدى الأندلسيين حيث طرح فيه المؤلف بعض الآراء والقضايا واللمحات النقدية .

وعلى الرغم من أهمية الكتاب وقيمتة الأدبية والنقدية فى الأدب الأندلسى إلا أنه لم يلق العناية اللازمة ، ولم يخرج للباحثين والأدباء محققاً على الوجه المطلوب فى طبعته الأولى سنة ١٣٥٩ هـ ، وسنعرف فيما سياتى من الحديث عن هذه الطبعة أنها لم

تنل نصيبها من العناية والتحقيق ، واعتورها الشيء الكثير من التصحيف والتصرف في النص ، وقد دفعنى ذلك إلى إعادة النظر في الكتاب ، والعمل على تحقيقه وكتابة دراسة حوله ، وقد طالت هذه الدراسة حيث خرجت في أربعة مباحث ، الأول منها حول عصر المؤلف ، وفيه عرض للحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والحالة الثقافية ، والثانى فى حياته ، وتعرضت فيه لاسمه ونسبه وأسرته ، ونشأته ، وصلاته الاجتماعية والأدبية ، ومكانته العلمية والأدبية ، ثم وفاته وآثاره ، واختص المبحث الثالث بالحديث عن مواهبه شاعراً وناثراً وناقداً ، أما المبحث الرابع فتناولت فيه كتاب البديع بالعرض والتحليل ممهداً لذلك بالحديث عن المختارات الأدبية فى الأندلس ، ثم الحديث عن عنوان الكتاب ، ونسبته إلى مؤلفه ، وسبب تأليفه ، ومضمونه ، ومنهجه ، وأبرز سماته وملاحظه الأدبية ، وأهميته فى دراسة الأدب الأندلسى والحق أن المؤلف أبا الوليد يحتاج إلى مثل هذه الدراسة لما يتمتع به من مواهب أدبية متعددة لم أجد من عنى بإبرازها عناية كافية من الباحثين والدارسين فى الأدب الأندلسى وقد اقتضى ذلك أن يخرج هذا الكتاب فى قسمين الأول منهما للدراسة عن أبى الوليد المؤلف ومواهبه الأدبية ، والثانى لتحقيق نص كتاب البديع ، وسرت فى ذلك كله على ضوء الأصول المتبعة لدى الباحثين والمحققين ، أما منهجى فى تحقيق الكتاب فيتلخص فيما يلى :

١ - اعتمدت على نسخة الأسكوريال حيث إنها هى النسخة الوحيدة للكتاب حسب علمى ، واستعنت بالنسخة المطبوعة حيث قابلتها على الأصل ، وأصلحت ما لزم إصلاحه مما أخطأ فى قراءته الناشر هنرى بيريس ، واستبعدت ما قام بإضافته مما ليس فى الأصل .

٢ - قابلت النصوص الموجودة فى الكتاب على ما ورد منها فى المصادر الأندلسية وغيرها ، وأثبت ما يلزم إثباته من الفروق .

٣ - حرصت على إخراج النص صحيحاً كاملاً مبرأ من الخطأ والتصحيف والتحرير .

٤ - استكملت الضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط من الكلمات والنصوص الأخرى شعراً ونثراً مما لم يتم ضبطه في الأصل المخطوط ، واستبقيت ماجاء مضبوطاً في الأصل على صورته مع إصلاح ما يعرض من خطأ .

٥ - عملت على تخريج ماورد في الكتاب من مقطوعات شعرية ونثرية ، وأمثال ، وأقوال وما إلى ذلك من نصوص أخرى ، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة لدى العلماء والمحققين .

٦ - ترجمت للأعلام الذين يحتاجون إلى ترجمه من شعراء ، وأدباء ، ووزراء ، وكتاب ، وحكام وغيرهم في سطور محدودة ، وأشرت إلى مصادر تراجمهم لمن أراد الاستزادة .

٧ - ألحقت بالكتاب دراسة ألفت فيها الضوء على مؤلف الكتاب ، وتناولت كتابه بالعرض والتحليل ، وأفصحت عن قيمته وأهميته في دراسة الأدب الأندلسي .

٨ - قمت بشرح الكلمات التي تحتاج إلى شرح وإيضاح لمعناها ، كما عرفت بالزهور والأنوار التي ورد ذكرها في الكتاب .

٩ - عملت للكتاب فهرس متنوع يستهدى بها الباحثون في الوصول إلى بغيتهم لما يضمه الكتاب من الشعر والنثر والأعلام والأزهار وغير ذلك وقد اجتهدت في ذلك كله حسبما وسعني الجهد والطاقة ، وأرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب المطلوب بثوبه الجديد بعد أن مضى على طبعته الأولى أكثر من أربعين عاماً صار بها بعيد المنال نادر الوجود والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

المدينة المنورة ١٤٠٦/١٢/٧ هـ



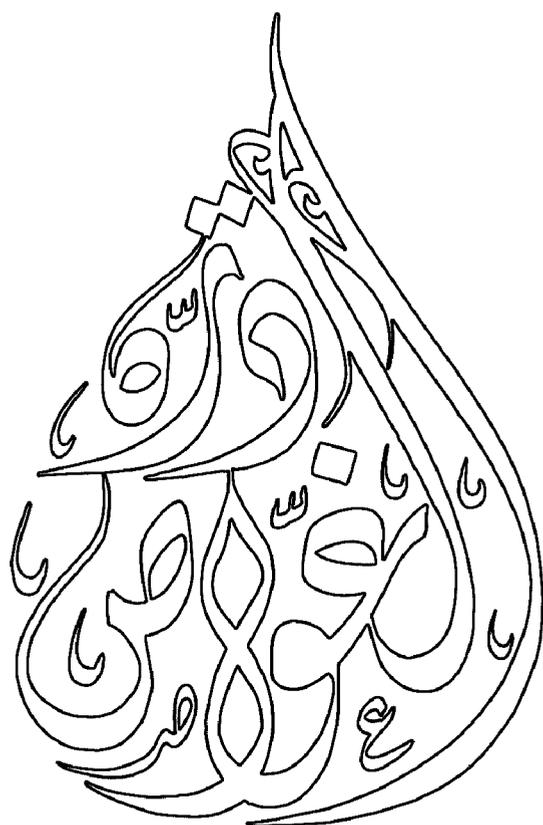
مَكْتَبَةُ
الدُّنْيَا لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

القِسْمُ الْأَوَّلُ

أَبُو الْوَلِيدِ الْجَمَزِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ

وَمَوَاهِبُهُ الْأَدَبِيَّةُ

دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ



المبحث الأول : عصره

١ - الحالة السياسية

حدثت أحداث خطيرة في الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري أدت إلى سقوط الخلافة في قرطبة ، وابتداء فترة ملوك الطوائف ، حيث انتهى عصر الأمن والهدوء ، والاستقرار ، والتقدم ، والرخاء ، وبدأ عصر الصراع المرير على السلطة ، وشن الحروب الدامية التي لم يكن من نتائجها سوى الدمار ، والتخلف ، والتأخر في شتى ميادين الحياة ، وبذلك لم تعد قرطبة كما كانت مركز إشعاع علمي وثقافي ، ومركز ثقل سياسي واقتصادي وعمراني ، وقد لقيت هذه الفتن والاضطرابات عناية من المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً ، وأفاضوا في الحديث عنها ^(١) ، ويصور لنا هذا الواقع المؤرخ الأندلسي أبو مروان بن حيان فيقول : « هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدممة ، المفرقة للجماعة ، الهادمة للملكة الموائمة المغربية الشأو على جميع ماضي » ^(٢) وهذا ما حدث فعلاً حيث أدت هذه الفتنة إلى تفكك الدولة الأندلسية الكبرى ، وتشعبها ، وانقسامها إلى دويلات متعددة متناحرة كل منها يقوم على حدة ، لا تربطها بالأخرى أى علاقة سوى الصراع والمنافسة ، والتهاكك على إثارة الفتن والحروب بغية التوسع ، والغنيمة ، ومن هنا أطلق على هذه الفترة (عصر الطوائف) الذي بدأ على إثر انهيار الدولة العامرية في أواخر القرن الرابع ، وبالتحديد سنة ٣٩٩ واستمر زهاء سبعين أو ثمانين عاماً ، ولا يهمننا في هذه العجالة أن ندخل في تفاصيل الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة العامرية ، وقيام دول الطوائف ، وما تبع ذلك من أحداث بقدر ما يهمننا أن نقف على أبرز الجوانب السياسية لمدينة إشبيلية في القرن الخامس ، حيث ينتمي إليها أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري

(١) انظر تفاصيل ذلك في الذخيرة القسم الأول المجلد الثاني ٨٦ ، والبيان المغرب (٣/٥٠ - ١٥٠) ونفع الطيب (٤/٥ - ٤٧) وكتاب دول الطوائف للأستاذ عبد الله عنان ١١٧ - ٣٨١ .
(٢) الذخيرة القسم الأول المجلد الثاني ٨٦ ، ٨٧ .

مؤلف كتاب البديع ، وهي مدينة عريقة تعد من أقدم مدن الأندلس ، وأعرقها وأشهرها ، وعاشت أحداثاً عديدة عبر العصور ، وفي عصر دول الطوائف كانت أعظم هذه الدول شأنًا ، وأقواها شوكة وسلطانًا ، وأكثرها تفوقاً في نواحي الحياة السياسية والاقتصادية ، والثقافية ، وأروعها مجتلى ومنظراً وطبيعة ، وأزهاها أدبا وشعراً ، تربع على حكمها بنو عباد إبتداء من القاضي أبو الوليد إسماعيل بن عباد الذي كان قاضيا لإشبيلية منذ أيام المنصور بن أبي عامر ، والذي أحس بأخطار الفتنة التي تنذر بانهيار الدولة العامرية ، مما جعله يعمل في صمت وهدوء ، ويعد العدة للاستئثار بحكم تلك المدينة العظيمة ، وقد كان رجلاً قاضياً يتسم بالعلم والورع ، وينتمي إلى أعرق البيوتات العربية الأندلسية إلى جانب مكانته الاجتماعية والسياسية في الدولة العامرية ، حيث تقلب في عدة وظائف كبرى . منها ولاية الشرطة لهشام المؤيد ، وخطبة الإمامة ، والخطابة بالجامع الأعظم ، كما عرف عنه الدهاء والسخاء ، وكل ذلك قد دفع بالكثير من الزعماء ، والأكابر في الأسر العربية للتعاون معه ، ومؤازرته مما هيا له السبيل لتحقيق هدفه وغرضه من الاستئثار بالسلطة في أشبيلية ساعده على ذلك أمور . من أهمها موقفه المعلن في التصدي للبربر وكفكفة أطماعهم ، وتقليم أظفارهم ، كما ساعده على ذلك تذبذب حكم بني حمود بين قرطبة وإشبيلية ، وما توالى عليهم من أحداث أضعفت جانبهم ، ومكنت بني عباد في إشبيلية ، ولا سيما بعد أن ثار يحيى بن علي بن حمود في أوائل سنة ٤١٢ على ابن أخيه القاسم بن حمود الذي تولى الخلافة في قرطبة بعد مقتل أخيه على أواخر سنة ٤٠٨ وزحف يحيى بقواته على قرطبة فغادرها القاسم في نفر من صحبه ، وقصد إلى إشبيلية ، وهناك تسمى بالخلافة ، وتلقب بالمستعلي ، ولكنه لم يدم طويلاً بها حيث عاد إلى قرطبة على أثر خلع ابن أخيه يحيى ، وتمت له البيعة مجدداً في ذى الحجة سنة ٤١٣ هـ ، وفي الفتره التي أقام بها المستعلي في إشبيلية كان قد قرّب إليه أبا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ، وأقره في ولاية القضاء بعد موت أبيه إسماعيل ، وبذلك أتاحت له الفرصة لكي يعمل على توطيد سلطانه ، ونجح في ذلك إذ استطاع بمعاونة

ومسادة أعيان وزعماء البلد ، وعمامة الشعب أن يحد من سلطان بنى حمود ،
وأشباعهم من البربر على أشبيلية وينفرد بالرياسة الشرعية لها في أواخر سنة ٤١٤ ،
ويصبح قاضيها وحاكمها السياسى ، وشرع بعد ذلك للعمل على تعزيز جانبه ،
وتقوية سلطانه ، وحشده العدة ، والعتاد والرجال للتوسع ، والتخلص من الأعداء
والمنافسين ، والمتربصين به من أمثال بنى حمود وشيعتهم من البربر ، وكان أول صدام
عسكرى اشترك فيه أبو القاسم تمثل في قتاله مع بنى الأفطس أصحاب بطليموس ،
وهم جيرانه من الشمال ، وانتهى هذا الصدام بهزيمة ساحقه لبنى عباد سنة ٤٢٥ ،
ومن أبرز الأحداث السياسية لبنى عباد فى إشبيلية إعلان القاضى ابن عباد لظهور
هشام المؤيد ، وإقامته خليفة بأشبيلية حينما أخذ يحيى المعتلى يرهقه بغاراته المتوالية على
إشبيلية ، وينذر بوجوب استردادها لكونها من أملاك الحموديين ، فما كان من
القاضى ابن عباد إلا أن أعلن فى أواخر عام (٤٢٦) أن هشاماً المؤيد قد ظهر ،
وأنه كان مختفياً ، ولم يمت ليدحض بذلك دعوى الحموديين فى الخلافة بظهور الخليفة
الشرعى ، وقد تحدث المؤرخون قديماً وحديثاً عن هذه القصة ، أو الأسطورة على
الوجه الصحيح ، وقد جنى منها ابن عباد ما يريد بعد أن أشاعها فى سائر أنحاء
الأندلس ، بل استطاع ابن عباد أن يتتبع يحيى المعتلى فى قرمونة حيث أرسل لها قوة
مع ولده إسماعيل الذى تمكن من التغلب على يحيى وقتله فى المحرم سنة ٤٢٧ ، ورد
ابن عباد قرمونة إلى صاحبها السابق حليفه محمد بن عبد الله البرزالي الذى سرعان
ما حصل بينه وبين ابن عباد صدام مسلح على إثر استرداد ابن عباد لقرمونة منه ،
وانتهى هذا الصدام بهزيمة ابن عباد ، وقتل ابنه إسماعيل ، وكان لهذه النكبة أسوأ الأثر
فى نفسه ، ويعد القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد هو المؤسس الفعلى لدولة بنى
عباد ، وعلى يديه قام كيانها الكبير ، وظل يراعى إلى أن أدركته المنية فى نهاية جمادى
الأولى سنة ٤٣٣ ، وتعاقب عليه من بعده أبناء بنى عباد ، ومن أبرزهم أبو عمرو
عباد بن محمد بن إسماعيل الملقب بالمعتضد بالله ، الذى تولى على إثر موت أبيه
القاضى محمد بن إسماعيل سنة ٤٣٣ ، واستطاع أن يمد نفوذه وسلطانه على سائر

إمارات الغرب الصغيرة على مدى عشرين عاماً حتى أصبحت مملكة بني عباد تشمل سائر الأراضي الممتدة من شاطئ نهر الوادي الكبير غرباً حتى المحيط الأطلنطي ، بل استطاع أن يمتد إلى أكثر من ذلك ، وعرف بالقسوة والشدة ، وصفه لسان الدين الخطيب (بأنه كان شديد الجرأة قوى المنة عظيم الجلادة مستهيناً بالدماء) (١) كما كان شاعراً أديباً محباً للعلم والأدب ، يقول الحميدى « كان أبو عمرو بن عباد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع ، والشعر الرائع ، والحجة لذوى المعارف ، وقد رأيت له سفيراً صغيراً فى نحو ستين ورقة من شعر نفسه » (٢) وقال ابن القطان (وكان لأهل الأدب عنده سوق نافقة ، وله فى ذلك همة عالية ، ألف له الأعلام أديب عصره ، ولغوى زمانه شرح الأشعار الستة ، وشرح الحماسة ، وألف له غيره دواوين وتصانيف لم تخرج إلى الناس) (٣) وتوفى رحمه الله فى جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ولاية دامت زهاء ثمانية وعشرين عاماً ، وظلت دولة بني عباد بإشبيلية قوية فتية إلى أن أدركها الهرم فى أواخر عهد المعتمد بن عباد ، بعد أن مرت بأحداث دامية محزنة كان من أشدها وقوعه المعتمد بن عباد أسيراً فى أيدي المرابطين حيث أصبح يقاسى من شظف العيش ، وذل الأسر ، ومرارة الحرمان ، وقسوة الغربة ، وتشرد الولد والأهل ، وظل على هذه الحال حتى وافاه الأجل عام ٤٨٨ ، وبذلك دالت دولة بني عباد ، وزال معها حكم ملوك الطوائف ، وحل محلهم المرابطون (٤) .

٢ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

عرف عن إشبيلية أنها بلد زراعى ، لما تمتاز به أرضها من الخصوبة ، والتماء ،

(١) إعمال الأعلام ١٥٦ .

(٢) جذوة المقتبس رقم ٦٧٢ ، والبيان المغرب (٢٨٥/٣) .

(٣) البيان المغرب (٢٨٤/٣) .

(٤) انظر تفاصيل سقوط إشبيلية فى الحلة السبراء (٦٦/٢) والكامل لابن الأثير (١٥٥/٨) ونفح

الطيب (٣٧٧/٥) وكتاب دول ملوك الطوائف للأستاذ محمد عبد الله عنان ، وإشبيلية فى القرن الخامس للدكتور صلاح خالص .

وغزارة الماء ، ويطل عليها جبل الشرف الذى يصفه صاحب الروض المعطار بأنه « شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة » (١) .

ولا غرو إذاً أن تكون أرضاً زراعية خصبة معطاء تدر على أهلها الخير ، وتزهو بذلك على بقية الأمصار الأندلسية الأخرى التى تمتد عطائها إليها ، وبذلك تصبح الزراعة من أهم المصادر التجارية لأهلها ، حيث كان يصدر منها زيت الزيتون الذى يعد من أطيب أنواع الزيوت ، إلى جانب القطن « الذى يوجد بأرضها ويعم بلاد الأندلس ، ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسبيلماسية » (٢) ولم تقتصر الحاصلات الزراعية على الزيتون ، والقطن ، بل هناك أنواع عديدة من مثل الحنطة والشعير ، والقطن والتفاح ، والعنب ، والرمان ، وقصب السكر ، وغيرها وتمثل الحاصلات الزراعية فى أشبيلية مرتكزاً أساسياً لما قام بها من صناعات متنوعة من أبرزها استخراج الزيوت من الزيتون ، وصناعة النسيج ، ولوفرة المعادن بأرض إشبيلية قامت بها بعض صناعات التعدين ، من مثل صناعة السفن وبناء المراسى ، وبعض الأدوات المعدنية كالسكاكين والسيوف ، والاسطرلابات (٣) .

أما المجتمع الإشبيلي فيتكون من الأصول العربية التى نزحت أول ما نزحت من حمص الشام عند الفتح الإسلامى للأندلس ، واتخذت من إشبيلية موطناً ومقاماً ، ويمثلون قبائل عربية متعددة ، فمنهم اللخميون الذين ينتمى إليهم بنو عباد حكام إشبيلية ، ومنهم بنو زهرة ، والبلويون ، والهوازينون ، والحضرميون ، ومن هذه الأصول برز أصحاب السيادة والرياسة ، والصدارة بإشبيلية ، مما كان له التأثير الكبير فى مختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية ، وإلى جانب المستوطنين العرب وجد العنصر الأسباني من سكان البلاد الأصليين ، وقد بقى بعضهم على دينه ، وعرفوا باسم العجم ، أو المستعربين ، أما من أسلم منهم فقد عرف بالمسالمة ، وامتزج هؤلاء

(١) الروض المعطار ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ٥٩ .

(٣) انظر حول معادن الأندلس والصناعات بها نفح الطيب (٢٠١/١) (٢٠١/١) .

بالعرب ، وتزوج كل من الآخر ، ونتج عن ذلك عنصر متميز تمثل في الأندلسيين المولدين الذين حملوا إلى جانب موروثاتهم العربية بعض الموروثات الأسبانية ، وأصبح هذا العنصر هو الذى يمثل الغالبية بل أصبح المرآة التى تنعكس عليها طوابع الحياة الاجتماعية بشتى ألوانها ، وصورها ، وعلى الرغم من تعدد العناصر التى يتكون منها المجتمع الإشبيلي إلا أن روح التأثر والتلاحم كانت هى السائدة ، لتقارب الميول ، وسيادة الأسلام واللغة العربية التى تعد اللغة الرسمية للمجتمع فى مختلف أمور الحياة ، ومظاهرها الثقافية والفنية ، وقد انعكست ألوان شتى من الأوضاع السياسية والاجتماعية والبيئية على حياة الفرد الإشبيلي ، فأثرت فى سلوكه وخواسه ومشاعره تأثيراً واضحاً ملموساً إذ غدا من بعض الأحداث السياسية المريرة المتتالية يعيش فى قلق وعدم استقرار ، وربما أدت به بعض مظاهر الحياة الاجتماعية إلى الأغراق فى اللهو والحياة الصابئة ، كما أن البيئة الطبيعية الرائعة الغناء قد ساعدت على رهاقة إحساسه ، وتعشقه لجمال طبيعة بلدة ، وتفاعله مع هذه الطبيعة ، ورقة ذوقه وإحساسه بها .

٣ - الحالة الثقافية :

استظلت إشبيلية بظلال حركة ثقافية مزدهرة غاية الازدهار فى مختلف جوانبها المتعددة كالعلوم الدينية من قرآن وتفسير وحديث وقراءات وعقيدة وفقه ، والعلوم اللغوية من نحو وصرف ولغة وعروض وبلاغة ونقد ، إلى جانب العلوم الأخرى كالتاريخ والتراجم والسير ، والجغرافيا والفلسفة ، والنبات والطب ، والهندسة والحساب ، وساعد على ذلك حكام أشبيلية من بنى عباد حيث اتسموا بالحرص على العلم ، والعمل على نشره وإشاعته على الرغم من انشغالهم بالقتال والحروب من أجل ترسيخ قواعد الحكم ، وتوسيع رقعة المملكة ، ونبغ من بنى عباد شعراء وأدباء مشهورون كالمعتضد بن عباد ، والمعتمد بن عباد ، وكانت ميولهم واضحة إلى الأدب من شعر ونثر مما أدى إلى إزدهار هذين اللونين بشكل ملموس ، ومع ذلك كان

للعلوم الأخرى مكائنها ومنزلتها وذيوها ، فمن حيث العلوم الدينية كانت إشبيلية تزخر بالعلماء من المحدثين والفقهاء أمثال الفقيه المحدث محمد بن ثابت بن عياش الأموي^(١) (ت ٤٣٥) ، وإصبيغ بن راشد بن إصبيغ اللخمي^(٢) (ت ٤٤٠) والفقيه عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزني ، وكان متفناً في العلوم آخذاً من كل فن بحظ ، مات مقتولاً على يد المعتضد سنة ٤٦٠ ، ومنهم الحافظ العالم الفقيه المحدث المؤرخ الأديب أبو عمر بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) وغيرهم ، أما علوم اللغة العربية فقد حظيت بالعناية التامة ، والاهتمام الكبير من الإشبيليين ، ونبغ فيهم علماء ضليعون مشهورون في اللغة والنحو من ألمهم أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الإشبيلي صاحب كتاب طبقات النحويين ، واختصار العين ، وما يلحن فيه عوام الأندلس (ت ٣٧٩)^(٣) ومنهم سعيد بن عبد الله بن دحيم الأزدي القرشي النحوي ، وكان من الحفاظ في اللغة وذى العلم والدراية الفائقة بكتاب سيويه^(٤) وكذلك الشأن بالنسبة للعلوم الأخرى التي لم يغفل عنها الأندلسيون من أبناء إشبيلية ، وكان لهم منها نصيب وافر كالتاريخ ، وبعض العلوم التطبيقية ، أما الأدب شعراً ونثراً فقد كان لها منه القدر المعلى ، والذروة في العناية والاهتمام بهما ، والانصراف إليهما لما سبق أن أشرنا إليه من ميول بني عباد حكام إشبيلية واهتمامهم بالأدب ، فقد كان القاضي أبو القاسم بن محمد بن إسماعيل بن عباد يقرض الشعر ، وله مقدرة وموهبة جيدة في ذلك تتجلى في تلك المقطوعات التي أوردها له ابن بسام في الذخيرة^(٥) ، تناول فيها وصف بعض الأزهار والحدائق ، وبعض الفخر والحماسة ، ومن هذه المقطوعات قوله في وصف الياسمين^(٦) :

-
- (١) الصلة لابن بشكوال (٥٢٦/٢) .
(٢) المصدر السابق (١٠٩/١) .
(٣) انظر بغية الوعاة (٨٤/١ ، ٨٥) .
(٤) انظر إنباه الرواة (٥٥/٢) .
(٥) الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣ .
(٦) البديع في وصف الربيع ٩٣ .

وياسمين حسن المنظر يفوق في المرأى وفي المخبر
كأنه من فوق أغصانه دراهم في مطرف أخضر

وكان ابنه المعتضد أرسخ منه قدماً ، وأكثر قدرة على نظم الشعر ، وله ديوان من الشعر في ستين ورقة ، مما يفسح له مكاناً رحباً بين شعراء عصره (١) وشعره على وجه العموم يتسم بالركة ، والسهولة والوضوح في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وقل أن نجد من أسرة بنى عباد وأمرائهم من لا يقرض الشعر ، ويجالس الشعراء والأدباء ويهتم بالأدب ، ولا غرو إذاً أن تكون سوقه هي الرائجة في تلك الحقبة ، وأن تكون الحركة الأدبية بإشبيلية واسعة النشاط ، كما كان من آثار ذلك أن التف حول بنى عباد مجموعة من الشخصيات الأدبية المرموقة اللامعة في إشبيلية ، ومن أبرزهم أبو عامر بن مسلمة ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو الوليد إسماعيل ابن عامر الحميري مؤلف كتاب البديع في وصف الربيع .

* * *

(١) الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٣ .

المبحث الثاني : حياته

١ - اسمه ونسبه وأسرته :

في أغلب المصادر اسمه إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب ، وأغفل كل من صاحب الذخيرة ، ورايات المبرزين ^(١) ذكر اسم جده عامر ، واقتصر صاحب نفع الطيب ^(٢) من اسمه على (إسماعيل بن حبيب) فلم يذكر اسم أبيه محمد واسم جده عامر ، في حين أننا نجد صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة ^(٣) يضيف جداً آخر من جدوده وهو (أحمد) بين اسمي أبيه محمد ، وجده عامر ، فهو عنده (إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عامر الحميري) وأجمعت المصادر على أن كنيته هي أبو الوليد ، وقد وردت عند ابن بسام وابن سعيد عبارة (الملقب بحبيب) بعد ذكر اسم أبيه محمد ، وهذه العبارة مثار احتمال في أن تكون لقباً لأبي الوليد أو لقباً لأبيه غير ابن الأبار في التكملة يقطع هذا الاحتمال ويؤكد أن أباه هو الذي يلقب بحبيب ^(٤) ، وانفرد ابن الأبار حسب علمي وما بين يدي من مصادر بذكر نسبه إلى حمير ، وهذا يعني أن أبا الوليد ينتمي إلى أحد القبائل اليمنية المشهورة التي تنتمي إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ^(٥) ولهذه القبيلة شأن كبير إذ كان منها ملوك اليمن من التبابعة ، وتفرق عدد من بني حمير في الأقطار فمنهم من بقى في اليمن ومنهم من حل بالعراق والشام ، وطائفة منهم حلت بالأندلس مع بداية الفتح الإسلامي ، بل من أعقابهم من حل بإشبيلية من مثل عبد الله بن محمد بن زكريا بن القاضي يحيى كما ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ^(٦) ، وربما كان من هؤلاء صاحبنا أبو الوليد الذي ينتسب كما عرفنا إلى حمير .

(١) انظر الذخيره القسم الثاني المجلد الأول ١٢٤ ، ورايات المبرزين ٣٩ .

(٢) نفع الطيب (٤٢٧/٨) .

(٣) التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٤) انظر حول ذلك المصادر السابقة .

(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٣٢ ، وانظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٢٢ .

(٦) المصدر السابق ٤٣٣ .

أما أسرته فلا تعرف عنها الشيء الكثير ، وكل مانعرفه أن أباه كان من ذوى الجاه والثراء والمكانة العالية بإشبيلية فى زمن القاضى ابن عباد ، ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعراء المشهورين فى إشبيلية كانوا يخصونه بالمدح من مثل أبى جعفر ابن الأبار ، وابن القوطية ، أبى بكر بن نصر ، وقد اختار أبو الوليد فى كتابه البديع فى وصف الربيع بعض المقطوعات الموصولة بمدح أبيه (١) منها أبيات ابن القوطية التى جاء فى قولها :

أنس المعالى بابن عامر الذى - عمرت بدولته منازلها الدرُسُ (٢)
ومنها أبيات للفقهاء أبى الحسن بن على موصولة بمدح أبيه جاء فيها :
عزة فى طباعه وعلو قد أنافا به على العلياء
كحبيب بن عامر فهو فذ فى اقتناء العلى وكسب الثناء (٣)

وقد أشار ابن الأبار فى التكملة إلى أخيه أبى زيد محمد بن محمد بن عامر ، وذكر أنه شيخ من شيوخ أبى بكر بن العربى مما يدل على أن أخاه هذا كان يحتل مكانة علمية مرموقة وناهىك أنه شيخ من شيوخ أبى بكر بن العربى الذى يعد من العلماء المشهورين « قدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق ، وكان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدما فى المعارف كلها » (٤) .

٢ - نشأته وصلاته الاجتماعية والأدبية :

درج أبو الوليد على ثرى إشبيلية وليداً وفتح عينيه على مباحجها وطبيعتها الفاتنة ، وترعرع فى أحضانها يضمه بيت عرف بالوجاهة وعلو المكانة ، والتطلع إلى

(١) انظر البديع فى وصف الربيع ٥٤ ، ١١٤ ، ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤٢ .

(٤) انظر وفيات الأعيان (٢٩٦/٤) حيث ترجمته ابن العربى التوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

العلم والتذوق للأدب إذ كان أبوه من وجهاء أشبيلية كما عرفنا ، وكان أخوه محمد من العلماء المرموقين ، وأحد شيوخ أبي بكر بن العربي ، وكانت إشبيلية وقتئذ مصدر إشعاع للعلم والثقافة ، ومهوى أفئدة العلماء والأدباء والشعراء حيث كانت تستظل بحكم بنى عباد ، وقد عرفنا أنهم كانوا عاملاً قوياً في بعث الحركة العلمية والثقافية ، وإثراء الساحة الأدبية بالشعراء والأدباء ، في هذا الوسط نشأ أبو الوليد فلا غرو إذاً أن تفتتح مواهبه الأدبية والعلمية منذ وقت مبكر ، « فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق » (١) ومن هنا بدأت تتحدد شخصية أبي الوليد ، وتزدهر مواهبه المتعددة ، وتتسع صلاته بالشخصيات المرموقة في المجتمع الإشبيلي من الحكام والوجهاء والوزراء والأدباء والشعراء ، ومن أبرز ذلك صلته بالقاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد ذي الوزارتين الذي أهدى له أبو الوليد كتابه البديع في وصف الربيع وتردد ذكره فيه أكثر من موطن (٢) هو وغيره من بنى عباد بصورة توحى بقوة الصلة بين المؤلف وبنى عباد ، فها نحن نرى أبا الوليد ينشد بين يدي القاضي ابن عباد أبياته ومنها قوله :

انظر إلى النهر واعجب لحسن مرآه وارضه
قد حل بين رياض من النواوير غضة

يقول أبو الوليد (فلما أنشدته القاضي - أبقاه الله - سرّ سرور متشيع في غَدِيّ إنعامه ورَبِيّ أيامه ، وأمرني باستحضار صاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية والأديبين أبي جعفر بن الأبار ، وأبي بكر بن نصر وأمرهم عنه لازال ماضى الأمر بالعمل في ذلك المعنى على العروض والقافية ، فلم أقدم شيئاً على استحضارهم وإيراد ما أمرني به عليهم ، فصنعوا في ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات » (٣) ومن خلال ذلك ندرك مدى قوة العلاقة بين القاضي ابن عباد وبين

(١) انظر نفع الطيب (٤٢٨/٨) .

(٢) انظر من ذلك على سبيل المثال في كتابه البديع في وصف الربيع ص ١٠ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، وعلى وجه العموم فقد ذكر في الكتاب فيما يقرب من سبعة وعشرين موضعاً وفي كل موضع يذكر بالثناء العاطر .

(٣) البديع في وصف الربيع ٤٨ .

أبي الوليد فقد سر القاضي من الأبيات التي أنشدها أبو الوليد بين يديه ، وأمره أن يستحضر أشهر شعراء إشبيلية ممن سبق ذكرهم وأن يطلب منهم على لسانه أن ينظموا أبياتاً على غرار أبياته ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نرى له صلة وثيقة بأبي عمرو عباد الذي وهبه بستانا وزاره فيه ، ووصف الياسمين الذي شاهده في رحابه ، وقد أشار إلى ذلك أبو الوليد في كتابه البديع حين قال (ومن السحر الحلال المستوفى نهاية الكمال ، قول ذى الوزارتين أبي عمرو عباد - أعزه الله - وقد دخل بستانا لي اكتسبته من نوافل كرمه وسوايغ نعمه ، فرأى ياسمينا فيه فقال بديهة :
كأنما ياسميننا الغض كواكب في السماء تبيضُ (١)

وقد مدح أبو الوليد ذا الوزارتين عباد بأبيات مطلعها :
وروض أريض لم يزل يفتدى بما يروح عليه من سحاب ويغتدى

ومن خلال كتابه البديع يتجلى لنا أيضا أن أباه من قبل كان على صلة وثيقة ببني عباد حيث كان يحضر مجالسهم ومسامراتهم ، ويطلبون إليه تقييد ما يصدر عن بعضهم من أدب أو شعر على نحو ماحدث في مجلس القاضي ابن عباد حينما أنشد الوزير الكاتب أبو الأصبع أبياته التي مطلعها :

يامن تأمل روضا به التواوير غضه

يقول أبو الوليد « ولما أكمل أبو الأصبع إنشاد هذا الشعر أمر القاضي - أعزه الله - والدى عبده الناصح له دأبه الحسن فيه ظاهره وغيبه بالجلوس بين يديه ثم أمل بديهة عليه :

أبلغ شقيقي عنى مقالة لثُمَّضَة (٢)

ولعل علاقة أبيه هذه ببني عباد هي التي مهدت السبيل لابنه أبي الوليد لكي يكون على علاقة وثيقة بهم إلى جانب نبوغه المبكر في الأدب والشعر .

(١) المصدر السابق ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٥٢ .

ومن خلال كتابه البديع أيضاً نجد أن لأبي الوليد صلوات قوية ببعض الوزراء وأشهر الشعراء في إشبيلية وغيرها ، من مثل أبي بكر بن نصر ، والوزير أبي عامر بن مسلمة ، وأبي بكر بن القوطية صاحب الشرطة والوزير الكاتب أبي الأصبع ، وأبي جعفر بن الأبار ^(١) ، وبعض هؤلاء كانوا من المقربين إليه يجالسونه ويخاطبونه بالشعر الذي يمتدحونه به ، على نحو ما صنع الوزير أبو عامر بن مسلمة ، ويبدو ذلك مما ذكره أبو الوليد في كتابه البديع حين قال (ومن الفائق الفائق والرائع والرائق في وصفه قطعة خاطبني بها الوزير أبو عامر بن مسلمة وبعث معها مطيباً وهي :
ياواحد الأدباء والشعراء وابن الكرام السادة النجباء ^(٢)

ومنهم من كان من خاصته يصاحبهم ويرافقهم في مجالس الأدب وفي المنزهات ، كما حدث مع أبي جعفر بن الأبار الذي يقول عنه أبو الوليد وقد خرجا معاً إلى نزهة في فصل الربيع « وكان أبو جعفر بن الأبار في جملة من صحبني وخاصة من تبعني » ^(٣) ويبدو أن أبا الوليد إلى جانب هذه الصلوات كان يحتل مكانة عالية في المجتمع الإشبيلي حيث تولى الوزارة كما يفهم من أكثر المصادر التي بين أيدينا والتي تصفه بالوزير الكاتب فهذا الحميدى مثلاً نراه في جذوة المقتبس يقول (أبو الوليد الوزير الكاتب بإشبيلية له ولأبيه قدم في الأدب والرياسة) ^(٤) وقد استوزره قاضي إشبيلية عباد جد المعتمد « ولم يزل يصغى إلى مقاله ويرضى بفعاله ، وهو ماجاوز العشرين إذ ذاك » ^(٥) .

ونص صاحب رايات المرزبين على أنه وزير للقاضي أبي القاسم عباد ^(٦) .

(١) انظر المصدر السابق ٣٢ ، ٩٠ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٧١ ، ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٩١ .

(٣) المصدر السابق ٧١ .

(٤) انظر جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ ، وبغية الملتبس ٢١٣ ، ونفع الطيب (٤٢٧/٨) ورايات

المرزبين ٣٩ .

(٥) نفع الطيب (٤٢٨/٨) .

(٦) رايات المرزبين ٣٩ .

٣ - مكانته العلمية والأدبية :

عرفنا فيما سبق أن أبا الوليد نشأ في بيت فضل وعلم وجاه ورياسة ، ووقفنا في الحديث عن عصره على ما كانت تعج به إشبيلية موطنه من العلماء والأدباء والشعراء في مختلف الفنون والعلوم مما جعلها مصدر إشعاع حضارى وعلمى وأدى ، وكان لذلك كله أثره على أبى الوليد الذى نبغ في وقت مبكر « فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق ، وينثر النثر الرائق » كما يقول المقرئ في نفع الطيب (١) وقد أدرك منه ذلك الأديب الشاعر أبو جعفر بن الأبار فاحتضنه ورعاه رعاية أدبية « وهو الذى أقام قناته ، وصقل - زعموا - مرآته فأطلعه شهاباً ثاقباً » (٢) واستطاع أبو الوليد أن يحتل مكانة علمية وأدبية مرموقة بين العلماء والأدباء فى الأندلس مما جعلهم يشيدون به ويصفونه بأوصاف تجعله فى الذروة من العلم والأدب والذكاء والجودة فى الشعر والنثر ، فهذا أبو عبد الله بن الأبار يقول عنه (كان آية فى الذكاء والفهم والبلاغة وتجويد الشعر على حداثة سنه) (٣) ويقول عنه ابن بسام (كان شديد سهم المقال بعيد شأو الرواية والارتجال ، والأديب أبو جعفر بن الأبار هو الذى أقام قناته وصقل - زعموا - مرآته ، فأطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاجباً ، ولو تحاماه صرف الدهر ، وامتد به قليلاً طلق العمر ، لسد طريق الصباح ، وغبّر فى وجوه الرياح) (٤) .

وقال عنه الحميدى فى الجذوة (وله ولأبيه قدم فى الأدب والرياسة وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه) (٥) .

(١) نفع الطيب (٤٢٧/٨) .

(٢) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ .

(٣) التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٤) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ .

٤ - وفاته وآثاره :

نصت أكثر المصادر التي بين أيدينا أن أبا الوليد توفي في حدود سنة أربعين وأربعمائة وأشار الضبي أنه مات بإشبيلية^(١) ويذهب ابن بسام إلى أنه كان ابن اثنتين وعشرين سنة حينما أدركته المنية ، وتبعه في ذلك ابن الأبار في التكملة^(٢) في حين أن صاحب كتاب المغرب يرى أن المعتضد بن عباد قتله وهو ابن تسع وعشرين سنة^(٣) ويبدو أن هذا الرأي هو الراجح وهو أقرب إلى الصواب ، أما ما ذهب إليه ابن بسام فقد استبعده الدكتور صلاح خالص حيث استنتج « أن أبا الوليد قدم كتابه البديع للقاضي ابن عباد وابنه إسماعيل بين عامي ٤٢٦ و ٤٣١ فإذا كان الحميدى وهو معاصر لأبي الوليد يقول إن الشاعر توفي في حوالى عام ٤٤٠ ، وإذا صدقنا قول ابن بسام بأنه توفي في الثانية والعشرين من عمره ، فمعنى ذلك أنه حين وفاة إسماعيل في عام ٤٣١ كان عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة ، ومعنى ذلك أيضاً أنه ألف كتابه البديع قبل هذا السن ، وهذا مالا يمكن قبوله طبعاً ، وعلى ذلك فإذا قبلنا تاريخ وفاة الشاعر الذى ذكره الحميدى وهو جدير بالقبول ، فإن قول ابن بسام بأنه توفي في الثانية والعشرين من عمره يبدو غير مقبول^(٤) . وكأني بالدكتور صلاح الخالص لم يطلع على ما ذهب إليه صاحب كتاب المغرب من أن أبا الوليد توفي وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو قول معقول إذ يصبح عمره حينما ألف كتابه البديع في حدود عشرين سنة ، ومن هنا ندرك أن الحياة لم تمتد طويلاً بأبي الوليد ، ولعل ذلك يفسر لنا قلة آثاره العلمية والأدبية وربما كان له آثار جلييلة وشأن كبير أكثر مما هو عليه لو امتد به الأجل طويلاً ، ولا نعرف من آثاره الآن يرحمه الله سوى كتابه البديع في فصل الربيع وهو من الآثار الأدبية الجلييلة التي حفظت لنا رصييداً كبيراً من الأدب الأندلسى شعره ونثره ، وسيأتى الحديث عن الكتاب بالتفصيل في موضعه من هذه الدراسة ، وإلى جانب هذا الكتاب نجد لأبي الوليد أشعاراً متناثرة في بعض المصادر ، ورد كثير منها في كتابه المشار إليه .

(١) بغية الملتبس ٢١٤ وانظر جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ ، والتكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٢) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٢٥ ، وانظر التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) .

(٣) المغرب في حل المغرب (٢٥٠/١) .

(٤) أشبيلية في القرن الخامس الهجرى دراسة أدبية تاريخية ١٦٧ .

المبحث الثالث مواهبه الأدبية

أولاً - أبو الوليد الشاعر :

نبغ أبو الوليد نبوغاً أدبياً مبكراً حيث أصبح يقرض الشعر الفائق ويكتب النثر الرائق وهو لم يتجاوز سبع عشرة سنة من عمره كما ذكر المقرئ (١) فهو إذاً شاعر وكاتب موهوب منذ نعومة أظفاره ، وقد جرى الشعر على لسانه عذبا رائقا شأنه شأن أبناء بجدته من شعراء إشبيلية الذين درجوا على ثراها الزاهني ، وطبيعتها الفاتنة الخلافة التي انعكست على نفوسهم ، ونقشت في مخيلتهم روائع القول شعراً ونثراً ولاغرو فقد عاشوا في ربوعها العامرة بمجالس الأدباء والشعراء في ظل بني عباد الذي امتد فكان ظللاً وارفاً يتفياهُ كل محب للأدب والشعر حيث يجد من يرعاه ، ويسمع له مع العطاء الجزيل ، ذلك لأن بني عباد أنفسهم كانوا مولعين بالأدب والأدباء ، بل نبغ منهم شعراء مجيدون كالمعتضد بن عباد ، والمعتمد بن عباد وفي هذا المحيط أطلت شاعرية أبي الوليد وليدة وفي ريعان صباها ثم راح يغذوها بمجالسة الأدباء والشعراء ، ويصقلها بملازمتهم ، والاطلاع على آثارهم كما عرفنا في الحديث عن صلاته الأدبية ، ويبدو أن كثيراً من الفضل في صقل موهبة أبي الوليد الأدبية إنما يعود إلى الأديب الإشبيلي الكبير أبي جعفر بن الأبار فهو الذي أقام قناته ، وصقل مرآته ، فأطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاحقاً حسبما ذكر ابن بسام (٢) على أن نبوغه المبكر كان له دور كبير في تنمية رصيده الشعري وجودة الكثير منه ، فهذا الحميدى يشير إلى أن له شعراً كثيراً يشهد بفضله أدبه حين قال في ترجمته (وله شعر كثير يقوله بفضله أدبه) (٣) كان له ذلك مع أنه لم يعمر طويلاً حيث توفي -

(١) انظر نفع الطيب (٤٢٧/٨) .

(٢) الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٢٥ .

(٣) جذوة المقتبس رقم ٢٩٥ .

كما عرفنا - وهو ابن تسع وعشرين سنة على أصح الأقوال ، ولا ندرى ماذا سيكون شأنه لو امتد به الأجل ، ويظهر أن جل أدبه من شعر ونثر إنما كان يدور حول الربيع وما فيه من الأزهار واصفاً ما يتجلى في ذلك من مظاهر الجمال التي تتفاعل مع رقة طبعه ، ورهافة حسه على نحو ما يظهر من شعره ونثره الذى بين أيدينا ، ويؤكد ذلك المقرئ في قوله (وأكثر نظمه ونثره في أزهار وذلك يدل على رقة نفسه) (١) ولا غرابة في ذلك فقد كان أبو الوليد مولعاً بمظاهر الطبيعة التي تبدو في الأندلس وفي موطنه أشيلية بثوبها الأخضر القشيب المنمنم بروائع الغراس والأشجار ، والموشى ببذائع الزهور من آس ، وإقحوان وبنفسج ، وجلنار ، وخيرى ، وريحان ، وسوسن ، وعرار ، ونرجس ، ونسرين ، ونيلوفر ، وورد ، وياسمين ، وغير ذلك مما تزخر به حدائق أشيلية وبساتينها ومنتزهاتها التي كان أبو الوليد يهوى التنزه في أفيائها ، ويمتلك بعضها كما أشار هو نفسه في كتابه البديع أكثر من مرة حين قال (وخرجت متنزهاً في زمن الربيع إلى بعض ضياعي) (٢) وقال (دخلت بستانا لى مع الفقيه أبى الحسن ابن على وكان بها باقلاء قد نور) (٣) وأشار إلى بستان له اكتسبه من أبى عمرو عباد وفيه ياسمين ، وإلى التنزه مع الأديب المشهور أبى جعفر بن الأبار (٤) وحسبنا من ذلك كله أنه ألف كتابه البديع في فصل الربيع . ولم ينفرد أبو الوليد بهذا الولع والتعلق بمظاهر الطبيعة ، والرغبة في الخروج إلى المنتزهات والحقول والبساتين ، بل هو يجرى في ذلك على الانطباع السائد لدى الأندلسيين بعامة والشعراء بخاصة من أترابه الذين يتعشقون مظاهر الطبيعة ، ويهيمون بحبها وتشدهم إليها شداً بمنظرها الخلاب ، ولا سيما زهورها وورودها الفاتنة التي أصبحوا من فرط معاشتهم لها يتفاعلون معها ، ويثونها أشواقهم وأحاسيسهم ، ويستنطقونها بما يعتمل في نفوسهم من أفكار ومعانى

(١) نصح الطيب (٤٢٩/٨) .

(٢) البديع في فصل الربيع ٣٤ .

(٣) المصدر السابق ١٥٨ .

(٤) المصدر السابق ٩٤ ، ٧١ .

إلى درجة أننا لا نكاد نقرأ شعراً أندلسياً إلا ونجد انعكاسات ذلك واضحة في أكثر أغراضه من وصف ومدح وثناء وغيرها ، ويتضح لنا شيء من ذلك فيما بقى لنا من شعر أبى الوليد إذ من المؤسف أننا لم نقف من شعره إلا على النزر اليسير الذى لا نستطيع معه أن نكون صورة متكاملة المعالم لشعره ، ونحاول هنا أن نتلمس أبرز الملامح والقسمات التى تبدو لنا من خلال ما هو موجود من شعره على النحو التالى :-

١ - شعر البديهة :

إن نبوغ أبى الوليد المبكر فى قرص الشعر جعل له موهبة شعرية سيالة تتدفق بكل يسر وعفوية وسهولة على السجية دون عناء أو تكلف ، وأصبح من اليسير عليه أن يقول الشعر على البديهة كلما خالط شغاف نفسه ما يدعو إلى بث مكنونها .
فها هو ذا يدخل بستاننا له مع الفقيه أبى الحسن بن على ، وكان بها باقلاء قد نور فأخذ من نوره وصنع مصرعا هو (سبج فى كأس ورد) ثم سأل أبا الوليد إجازته فأجابته بقوله (أوكسوف وسط بدر) وزاد عليه بيتا هو :

أو غوال فى لآلٍ أو غشاء بين فجر (١)

ونراه أيضا يكتب لأبيه أربعة أبيات قالها بديهة وهى :

يامن تآزر بالمكارم وارتدى	بالمجد والفضل الرفيع الفائق (٢)
انظر إلى خد الربيع مركبا	فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم إذ تأخر واغتدى	فى الحسن والإحسان أول سابق
وافاك مشتتلا بثوب حياته	خجلا لأن حياك آخر لاحق

(١) البديع فى وصف الربيع ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١٣٢ .

وهذه الأبيات على الرغم من أنها جاءت على البديهة إلا أننا نلاحظ فيها تفاعلاً ملموساً مع مظاهر الربيع أصبح معه الورد يشتمل بثوب الحياة ، وقد احمر خجلاً من تأخره في تقديم التحية لأبي الشاعر الذي عناه بالأبيات .

٢ - التصوير والتشخيص :

يميل أبو الوليد إلى التشخيص والتصوير في إبراز المعاني والأفكار عن طريق الصور البيانية ويتجلى ذلك في وصفه بعض مظاهر الربيع بقوله :

بكت السماء فأضحكت سن الثرى بمدمع نظمت عليه جوهرًا (١)
فكأنها خرقاء تنثر عقدها وكأنه مستغنم أن يُنثرًا

فالسما هنا وهي تمطر تتمثل لنا شخصاً يبكي وتهمر عيناه بالدموع التي تتلقاها الأرض حبيبات من الجوهر نظمت منه عقداً بديعاً استبشرت به وافتت ثغرها ضاحكاً لما غنمته من السماء التي نثرت عقدها دون تعقل كمن يتصرف بحمق وجهل .

ويلاحظ أن إبراز هذه الصورة جاء عن طريق الاستعارة في بكاء السماء ، وضحك الثرى ، وعن طريق التشبيه للسماء بالخرقاء ، والثرى بالمستغنم ، ويبدو أن هذا الميل هو الغالب على شعر وصف الطبيعة وما فيها من زهور لدى أبي الوليد وغيره من شعراء الأندلس بعامة ، وشعراء إشبيلية بخاصة إذ نلمس لديهم العناية بالاستعارات والتشبيهات والمجازات ، وأغلب هذه الصور البيانية التي تقصد لذاتها إنما تمثل ظاهرة شكلية لا تحمل في طياتها ظلالاً شعورياً يفصح عما يعتمل في وجدان الشاعر ، وتجيش به مشاعره ، ومثل هذا اللون الذي يفقد الإيجاء الشعوري يظل لونا باهتا ، ومجرد علاقات شكلية جامدة .

(١) المصدر السابق ٣١ .

٣ - التشبيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة :

يشيع لدى أبي الوليد التشبيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة في معرض وصفه للأزهار ، من مثل الفيروزج والياقوت في قوله يصف نور الكتان :

كأن نور الكتان حين بدا وقد جلا حسنه صدا الأنفس^(١)
أكف فيروزج معاصمها قد سترتهن خضرة الملبس
أو لافزرق الياقوت قد وضعت على بساط تروق من سندس

وكقوله في وصف البهار مشبها بالتبر والفضة :

كأنه جيد تبر يلوح في طوق فضه^(٢)

وقوله أيضا في وصف السوسن مشبها باللجين :

كأما حلقة الفذ حسنة من لجين^(٣)

ونجد من ذلك قوله في وصف النرجس مشبها بالتبر والزبرجد :

ترى كل نور منه فوق قضيبه كلمة تبر فوق جيد زبرجد^(٤)

ولم ينفرد أبو الوليد بهذا المنحى الذي كان شائعا في وصف الأزهار لدى معظم الشعراء الأندلسيين الذين يستأثرون في شعرهم بالمحسنات البيانية ، ويصلون فيها إلى مدى بعيد يبلغ حد الإغراق المستهجن الذي لا يستساغ .

٤ - استخدام الألوان في التشبيه :

استخدام أبو الوليد الألوان في التشبيه استخداما بديعا يبرز الصورة بشكلها البديع وألوانها الزاهية على نحو ما نجده في تشبيهه لتلون نور الحزم بقوس قزح ذي الألوان المتعددة الرائعة حين قال :

(١) المصدر السابق ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ٤٧ .

(٣) المصدر السابق ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ١٢٤ .

وخرم حلو الحلى يبدو لعينى من لمح^(١)
تلونا ومنظراً كأنه قوس قزح

ويرسم صورة أخرى للون دقيق لا يكاد يحس ، وإنما يستشف من حال
المستهام المسهد الذى تعروه الصفرة من فرط ما بلغ به الهيام والسهد ، وذلك حينما
استعمل هذه الحال فى تشبيه النرجس الأصفر فى قوله :
بدا النرجس المصفر فيه مباحيا بلون كلون المستهام المسهد^(٢)

٥ - الألفاظ :

يجنح أبو الوليد إلى استعمال الألفاظ السهلة البعيدة عن الغرابة ذات الجرس
الموسيقى المتناغم مع السياق ، وألفاظه غالباً ماتكون وثيقة الصلة بالطبيعة وما ينبثق
عنها من مظاهر جميلة تتجلى فى زهورها وورودها مما يجعل هذه الألفاظ تحمل إيجاءات
جميلة معبرة عما ينبثق من الواقع من مثل : الندى ، والمسك ، والنسيم ، والشذا ،
والسنا ، والروض ، والنفحة ، والسحاب ، والسماء ، والنهر . ونحوها وينجلى ذلك فى
قوله يضيف الورد ذكراً (المسك ، والشذا ، والنفحة ، والسنا) :

نفحة المسك من شذا نفحاته حَجَلُ الخد من سنا خجلاته^(٣)
وقوله فى الأقحوان ذاكراً (الندى) :

أقحوان أنيق بروده مبيضه^(٤)
قد طرزتها بتبر عين الندى المرفضة

وقوله فى وصف النرجس ذاكراً (الروض ، والسحاب ، والنسيم) :
ورروض أريض لم يزل يغتدى بما يروح عليه من سحاب ويغتدى^(٥)

(١) البديع ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ١٣٢ .

(٤) المصدر السابق ٤٧ .

(٥) المصدر السابق ١٢٤ .

إذا ماسرى منه نسيم لواله سرى عنه جلابب الجوى المتوقد
وفى هذين البيتين نحس بشيء من التناغم الموسيقى الداخلى النابع من
الألفاظ المتكررة ذات الإيقاع والجرس المتقارب أو المتحد كما يبدو فى كلمتى (روض
أريض) وفى تكرار كلمة (سرى) فى المصارعين ، ونجد مثل ذلك فيما يبدو من
تناغم بين (مستطرف ، ومستظرف) (المسك مسكا) حين قال :

مستظرف فى خلقه مستظرف فى خلقه مستحسن الإلام (١)
لم يرض إلا المسك مسكا جسمه وبه ييوح إليك فى الإظلام

ويبدو هنا استعمال أبى الوليد لبعض ألوان البديع ولا سيما الجناس الذى
يتردد كثيراً فيما بقى لنا من شعره كقوله :

أرى عليه نظمك الحلو الحلى فانخط بعد الرتبة العلياء (٢)
إن كان نور الآس فى ورقاته نوراً بدا فى ليلة ظلماء

واستعمال المحسنات البديعية كان من الأمور التى تتجلى بوضوح فى الشعر
الأندلسى إبان القرن الخامس الذى عاش فيه أبو الوليد ، ومن المعلوم أن الإغراق فيها
يخرج بالشعر من طور الموهبة المبدعة الى طور التصنع والصنعة الجوفاء .

٦ - امتزاج المدح بوصف الطبيعة :

يظهر فى شعر أبى الوليد امتزاج المدح بشعر الطبيعة ، ووصف زهورها ،
ومجالى الجمال فيها ، وتكاد تشيع هذه الظاهرة فى جل قصائد المديح لدى الشعراء
الأندلسيين عامة ، وشعراء أشبيلية فى القرن الخامس بخاصة .

فمن ذلك أننا نرى أبا الوليد يأخذ فى وصف الورد وما له من مكانة عالية
ومنظر خلاب ورائحة زكية ، ولون أحمر بديع ممزوج بحمرة من اليواقيت والدر ،

(١) المصدر السابق ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ٩١ .

ثم يخلص من ذلك إلى مدح أبيه مشيداً بسماحته وبأسه وأخلاقه ووفائه رابطاً ذلك بما سبق أن قاله من إشادة في وصفه للورد ، ويتجلى ذلك في قوله من قطعة في وصف الورد موصولة بمدح أبيه :

إنما الورد في ذرى شجراته	كأجل الملوك في هيئاته ^(١)
رائق منظرأً وخبراً وفذ	في حلاه التي حلت وصفاته
نفحة المسك من شذا نفحاته	خجلُ الخد من سنا خجلاته
مزجت حمرة اليواقيت بالد	ر فجاءت به على حَسْب ذاته
مثلما جاء من سماح وبأس	خلق الحميرى سم عاداته
إن يعد فالوفاء حتم عليه	فَرَضه في صِلَاته كصلاته

وتمضى مع أبى الوليد وهو يصف النرجس في ذلك الروض الزاكي الذى يخلب الأنظار بجماله وعليه السحاب الهتان يروح ويغدو ، وفيه النرجس الأصفر بلونه البديع ، ونوره التبرى على غصنه الزبرجدى ومنه يسرى النسيم العليل الذى يسرى عن النفس ما حل بها من الجوى ، ثم نراه بعد ذلك ينتقل الى مدح ذى الوزارتين عباد إذ أن هذه الصفات التى أضفاها على الروض الزاهى ، ونرجسه البديع إنما تحكى في منظرها ومخبرها خلائق أبى عمرو يقول من قطعة له في وصف النرجس موصولة بمدح ذى الوزارتين عباد :

وروض أريض لم يزل يفتدى بما	يروح عليه من سحاب ويغتدى ^(٢)
بدا النرجس المصفر فيه مابها	بلون كلون المستهام المسهد
ترى كل نور منه فوق قضيبه	كلمة تبر فوق جيد زبرجد
إذا ماسرى منه نسيم لواله	سرى عنه جلاباب الجوى المتوقد
حكى منظرأً نصرأً وخبرأً خلائق	النجيب أبى عمرو سليل محمد
فداه عداه كم له من فضيلة	وفضل ندى يغنى به كل مجتدى

(١) البديع ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ١٢٣ .

وله أبيات على هذا النحو أيضا في وصف السوسن موصولة بمدح الحاجب ومطلعها :

وسوسن يتهادى للأنس بالراحتين (١)

٧ - المعارضات :

لأبي الوليد مقطوعات عارض بها بعض الشعراء ممن أعجب بشعرهم واستحسنه ، فمن ذلك أن الفقيه أبا الحسن بن علي كان قد قال قصيدة ضادية يصف فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع ، ويمدح بها ذا الوزارتين القاضي ومطلعها كأتما العروس لما وشت يد المزن أرضه (٢)

فلما بلغت هذه القصيدة أبا الوليد تحركت قريحته فصنع على غرارها أبياتا مطلعها :

انظر إلى النهر واعجب لحسن مرآه وارضه (٣)

وكان لهذه الأبيات وقع حسن في نفس القاضي ابن عباد مما جعله يطلب النسج على منوالها من بعض شعراء إشبيلية يقول أبو الوليد : « فلما أنشدته القاضي - أبقاه الله - سر سرور متشيع في غديّ إنعامه ورنى أيامه ، وأمرني باستحضار صاحب الشرطة أبا بكر بن القوطية والأديبين أبا جعفر بن الأبار ، وأبي بكر بن نصر أمرهم عنه لازال ماضى الأمر بالعمل في ذلك المعنى على العروض والقافية ، فلم أقدم شيئا على استحضارهم وإيراد ما أمرني به عليهم ، فصنعوا في ذلك ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات » (٤)

(١) المصدر السابق ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ٤٧ .

(٣) المصدر السابق ٤٧ .

(٤) المصدر السابق ٤٨ .

وله من هذا القبيل أبيات أجاب فيها على أبي عامر بن مسلمة في أبياته التي
مطلعها :

يا واحد الأدباء والشعراء وابن الكرام السادة النجباء (١)

وذلك في أبيات لأبي الوليد مطلعها :

يامن حبوت بوده حوباء وهى الفداء له من الأسواء
ولا شك أن المعارضات من الفنون الأدبية التي تبرز مقدرة الشاعر على
التجاوب مع غيره من الشعراء ، ومجاراتهم فيما قالوه من شعر جيد بديع يلامس
المشاعر ، ويثير كوامن النفس ، ويدفع بها لتأمله والتفاعل معه ، ومن ثم محاكاته
والنسج على منواله غرضاً وروياً ووزناً وقافية ، وهو ما درج الأدباء على تسميته
بالمعارضة ، وقد شاع هذا اللون كثيراً في العصر العباسي ، وصار ظاهرة بارزة لدى
بعض الأمصار الإسلامية وعلى وجه الخصوص في بلاد الأندلس والمغرب إذ كان
التنافس بين الشعراء في هذا المضمار على أشده سواء كان ذلك بين الشعراء
الأندلسيين أنفسهم ، أو بينهم وبين بعض شعراء المشرق ، وكتب الأدب تزخر بشيء
كثير من ذلك (٢) ولم يجز الشعراء على نسق واحد في التفاعل مع هذا اللون من
الشعر إذ منهم من تفاعل معه تفاعلاً فنيا لحمته وسداه الإعجاب بالشعر الذي
يتطلع إلى معارضته ، فيجنى ثماراً يانعة من الشعر الجاد الذي ترتسم عليه سمات
الإبداع والجودة ، وربما تفوق بعضهم على ما يعارضه من الشعر إتقاناً وإبداعاً ، ومنهم
من كان يهدف من وراء المعارضة إلى مجرد المجارة إظهاراً للمقدرة أو بدافع التحدى ،
وغالباً ما يتسم شعر هؤلاء بالضعف أكثر من اتسامه بالإبداع ، ونحن لم نلمس في
معارضات أبي الوليد ما يصل بها إلى هذا الحد أو يرقى بها إلى الحد الأول فهي إذاً
وسط بين الحدين .

(١) المصدر السابق ٩١ .

(٢) انظر على سبيل المثال الذخيرة القسم الثالث المجلد الأول ١٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٥٠٨ ،

٥١٢ ، والقسم الثالث المجلد الثاني ٥٨٨ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٧ ، ٧٧١ ، ٩٠١ .

٨ - المفاضلات والمحاورات بين الأزهار :

جرى أبو الوليد على ماجرى عليه غيره من الشعراء الأندلسيين الذين راحوا يعقدون مناظرات ومحاورات شعرية يفاضلون فيها بين الأزهار ، وقد حفظ لنا أبو الوليد شيئاً منها في كتابه البديع ^(١) ، وكان له من ذلك نصيب لما كثر الكلام في تفضيل الخيري الأصفر إذ كتب أبياتاً فيها بعض الرد على من فضله ونحس التمام أكثر حقه ، ولم يرع حسن خلقه وخلقه ومنها قوله :

يامن يذم خلائق التمام ويحطه عن نُحطة الإكرام (٢)
قدك اتعد عن لومه جهلاً به فجماله زار على اللوام
هو أشهر الخيري حسناً فاحبه من بينه بتحية وسلام

ويذهب بعض الباحثين إلى « أن مثل هذه المناظرات والمفاضلات كانت سبيلاً لامتحان مقدرتهم الجدلية يرضون بها ميلاً عقلياً نحو الجدل ، فاتخذوا من الطبيعة موضوعاً له بدلاً من أن يكون حول شئون العقيدة إذ كانت المناظرات في أمورها مظنة خطر » ^(٣) .

٩ - السرقة :

لأبى الوليد بعض الأبيات استقى معناها من بعض الشعراء مما يعد سرقة في تقدير طائفة من الأدباء والنقاد ، فمن ذلك قوله :

لو كانت الشمس المنيرة سرمداً لم تُلق بالإجلال والإعظام ^(٤)

(١) انظر ص ٥٧ ، ٧٣ .

(٢) البديع ٨٨ .

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف ١٩٥ .

(٤) البديع ٨٨ .

أخذه من البيت الذى ينسب إلى الشافعى وهو قوله :
والشمس لو مكثت فى الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب (١)
ولم يقتصر الأمر على هذا البيت بل هناك بيت آخر لأبى الوليد لا يخلو من
مظنة السرقة وهو قوله :

أضميته من بعد ما أرويته بمدامة فيها دواء الداء (٢)
أخذه من قول أبى نواس المشهور :
دع عنك لومى فأن اللوم إغراء وداوئى بالتى كانت هى الداء (٣)

١٠ - شعر الغزل :

لأبى الوليد شعر فى الغزل أورد لنا ابن بسام بعض قطافه ومنها قوله :
حمام بلحظك قد حمّ لى فما زال يهدى الى مقتلى (٤)
وإن لم تغثنى بمعنى الحياة فمن ريق مبسمك السلسل
فها أنا قاض بداء الهوى وقاضى جمالك لم يعدل
فياليت قبرى حيث الهوى فأكرم بذلك من منزل
فإن جاد بالوصل بعد الوفاة رجعت إلى عشى الأول
إذا ما أدرت كؤوس الهوى ففى شربها لست بالمؤتلى
مدام تُعْتَقُ بالناظرين وتلك تعتق بالأرجل

وقد أعجب ابن بسام بالبيت الأخير من هذه الأبيات ، وفضله على بيتين
للمتنبى ذكرهما للمقارنة بينه وبينهما ، وعبر عن إعجابه بقوله (وهذا البيت مما أغرب
به على الألباب ، وأعرب فيه عن موضعه من الصواب ، وبينه وبين قول أبى الطيب

(١) ديوان الشافعى ٣٦ .

(٢) البديع ٩١ .

(٣) ديوان أبى نواس (٢١/١) .

(٤) الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٣٤ ، ١٣٥ .

شبه بعيد ، ولكن لأبي الوليد فضل التوليد ، وحسن من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله :

انظر إذا اختلف السيفان في رهج إلى اختلافهما في الخلق والعمل
هذا أعدّ لريب الدهر منصلتنا وعدّ ذاك لرأس الفارس البطل^(١)

على أن هذه الأبيات تعنى أن أبا الوليد لم يقتصر من الأغراض على وصف الطبيعة وأزهارها وما خالط ذلك من المدح بل إن له مشاركات في أغراض أخرى منها الغزل ، وهو وإن لم يخرج به عن المألوف لدى شعراء الغزل إلا أننا نلمس فيه التعبير التقليدي عن لواعج الحب وكوامن الشوق والهوى ، ومن يدرى فقد تكون له أغراض أخرى لم يصل إلينا عنها شيء .

١١ - الموسيقى والأوزان :

لون أبو الوليد في موسيقى الشعر وأوزانه ونظم في أكثر البحور كالمقارب ، والرمل والرجز والكامل والخفيف والطويل والمنسرح والمجثب ، ويبدو أنه يميل إلى الأوزان الخفيفة ذات الجرس الموسيقى الناعم المتناغم كما هو ملموس في بحر الكامل الذى نظم منه أربع مقطوعات من شعره الذى أودعه كتابه البديع^(٢) بينما نجد له من البحور الأخرى على مقطوعة أو مقطوعتين .

(١) المصدر السابق القسم الثانى المجلد الأول ١٣٤ .

(٢) انظر ٣٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٣٢ .

ثانياً - أبو الوليد النائر

أ - تمهيد وعرض :

حظيت الأندلس في القرن الخامس بحركة أدبية واسعة المدى شملت جميع مناحى القول شعراً ونثراً حيث برز في الأفق شعراء لامعون يجرى الشعر على ألسنتهم عذبا رائقا ، من أمثال ابن زيدون ، والمعتمد بن عباد ، وابن حمديس ، وابن خفاجة ، وابن شهيد ، وابن دراج القسطلي وغيرهم من شعراء إشبيلية أمثال أبي جعفر بن الأبار ، وابن القوطية ، وأبي الوليد الحميري وسواهم ، وإلى جانب هؤلاء الشعراء - وكان بعضهم من الكتاب - لمع كتاب تسيل شباة أقلامهم بروائع النثر في موضوعاته المتنوعة من رسائل دينية تبرز القيم الإسلامية ، وتعكس المعاني الجميلة للعقيدة الإسلامية ، وتصور الأحداث العامة ، وتستنهض الهمم لمواجهة أعداء الدين والوطن ، إلى رسائل اجتماعية تحكى واقع المجتمع الأندلسي في شتى ظروفه وأحواله جداً وهزلاً ، وفرحاً وحزناً ، وشكوى من المصائب ، وحثاً على الجد والعمل ، أو ركونا إلى اللهو والمجون ، أو رسائل إخوانية يتم تداولها بين الإخوان والأحبة من رفاق العلم والأدب وغيرهم مشتملة على شيء من المدح أو القدح ، أو العتاب والاعتذار ، أو التهاني أو التعازي ، أو طلب الشفاعة ، أو رسائل ديوانية تتعلق بشؤون الحكم والحكام والدولة والمواطنين ، وهناك رسائل وصفية تبرز الجانب المشرق للطبيعة وما تحتوي عليه من مظاهر الجمال والبهجة في زهورها ، وحدائقها ، وبساتينها ، ومناظرها الفاتنة ، وقد جالت في هذه الفترة ، وفي هذه الموضوعات أقلام الكتاب الأندلسيين من مثل ابن شهيد ، وابن حزم ، وأبي حفص بن برد ، وابن الحناط الكفيف ، وأبي المغيرة بن حزم ، بل إن بعضهم كان له فضل سبق والابتكار في الكتابة بانتهاج الأسلوب القصصي كما صنع ابن شهيد الذي يعد فارس هذه الحلبة ورائداً من رواد النثر القصصي في الأندلس بما سطره في رسالته المشهورة والمعروفة باسم التوايح والزوايح التي لم تصل إلينا كاملة ، وهي كما يقول الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل « قصة خيالية يحكى فيها ابن شهيد رحلة له في عالم الجن قد اتصل خلالها بشياطين الشعراء وناقشهم وناقشوه ، وأنشدهم وأنشدوه ، وعرض أثناء ذلك بعض آرائه في الأدب واللغة وكثيراً من نماذج شعره ونثره ، كما نقد خصومه ، ودافع عن فنه ، وانتزع من

ملهمى الشعراء والكتاب الأقدمين شهادات بتفوقه وعلو كعبه في الأدب كل هذا مع بث الفكاهات ونثر الطرائف وإيراد الدعابة» (١).

ومن الظواهر البارزة في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس أننا رأينا النثر الفنى والطابع الأدبى يتخطى الموضوعات التى أشرنا إليها سابقا إلى المؤلفات العلمية والفكرية والعقلية التى وصل إلينا بعضها حاملاً الشئ الكثير من خصائص النثر الفنى ، ويبدو ذلك جلياً فى مؤلفات كل من شيخ المؤرخين ابن حيان ، وأبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن حبيب فى كتابه البديع ، وابن حزم فى طوق الحمامة ، والفتح ابن خاقان فى قلائد العقيان ومطمح الأنفس ، وابن بسام فى الذخيرة ، وعلى الرغم من تعدد موضوعات الكتابة فى الأندلس إبان القرن الخامس إلا أننا نجد أن الكتابة الوصفية التى تعنى بوصف مظاهر الطبيعة هى التى تشكل ظاهرة بارزة ، ولعل مرد ذلك يعود إلى طبيعة بلاد الأندلس الفاتنة الخلابه التى افتن الشعراء والأدباء فى وصفها وأسهب المؤلفون فى الحديث عنها ، ومنهم المقرئ فى نفع الطيب (٢) الذى تحدث طويلاً عن محاسن أرض الأندلس ، وجمال طبيعتها ، وقد كان لذلك أثر واضح فى الأدب حيث تعلق الأدباء بتلك الطبيعة الغناء تعلقاً شديداً يظهر جلياً فى تفاعلهم مع مباحجها ومفاتها التى راحوا يرسمون لها صوراً بديعة بشتى مناحى القول شعراً ونثراً واصفين رياضها وزهورها ، ومباحج جناتها التى وهبتهم من جمال مجالها جمال التصوير والتعبير ، ومن رقة هوائها ، وسحر نسيمها رقة الألفاظ والمشاعر والأحاسيس ، ومن هذا المنطلق افتن الكتاب فى وصف الطبيعة ، وبرعوا فى ذلك براعة فائقة ولا سيما فيما انتهجوه من أسلوب المناظرات والمحاورات والمراسلات على لسان الأزهار كما صنع أبو حفص أحمد بن برد ، وفى هذا الوسط وتلك الأجواء نبغ أبو الوليد الكاتب الذى تفتحت مواهبه للشعر والكتابة منذ وقت مبكر وهو ابن سبع عشرة سنة ، وسالت شباة قلمه بروائع من النثر الذى لم يصل إلينا منه إلا ما يتجلى فى كتابه البديع ، أو فى المصادر التى نقلت عنه ، ومن خلال اطلاعنا على كتاب البديع يتضح أن النثر الذى يخص أبا الوليد منه إنما يظهر فى مقدمة الكتاب ،

(١) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢) انظر نفع الطيب (١ / ١٢٥ - ٢٢٨) .

وبعض التعقيبات ، والتعليقات التي تتناثر في ثنايا الكتاب إلى جانب بعض المقطوعات والرسائل النثرية في وصف بعض النواوير ، وهي في مجموعها تتجه إلى الكتابه الوصفية ، ولعل من أبرزها رسالته البديعة في الرد على رسالة أبي حفص بن برد والتي جاءت بأسلوب قصصى عن طريق المناظرة ، والمحاوره والمراسلة بين الأزهار والنواوير ، أما موضوعات الكتابة الأخرى فلم نظفر له منها بشيء ذى بال وهذا يعنى أن حديثنا هنا سيقترصر على الكتابه الوصفية ، وأول ما يصادفنا مقدمة كتابه البديع التي أفصح فيها عن مباحج الربيع ومفاته بقوله (وفصل الربيع آرج وأبهج ، وأنس وأنفس ، وأبدع وأرفع من أحد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته) (١) ، وكتب إلى أبيه رسالة يسأله فيها الخروج للتنزه في الربيع ، ويصف بعض مظاهره منها قوله (لما خلِق الربيع من أخلاقك الغر ، وسُرِق زهره من شيمك الزهر حسن لكل عين منظره ، وطاب في كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحتويه من النوار الذى كسا الأرض حُلاً ، ولا يرى الناظر في أثنائها حُلاً ، فكأنها نجوم نثرت على الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعبراً ، إن تنسّمها فأرجه ، أو توسّمها فبهجة ، تروق العيون أجناسها وتحبى النفوس أنفاسها) (٢) .

وخرج مرة متنزهاً إلى بعض ضياعه في زمن الربيع فاستهواه جمال المنظر والمشهد بما فيه من زهور بديعة حركت مشاعره وأحاسيسه ، فعبر عن ذلك برسالة بعث بها إلى أبى الوليد بن العثماني قائلاً : (قد علم سيدى أن بمراه يكمل جدلى ، ويدنو أملى ، وقد حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحسينه ، فكساه حلاً من الأنوار بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكوم يعقب مسكه ، ولا يمنعه مسكه ، ومن باد يروق مجتلاه ، ويفوق مجتناه في مرآه ورياه) (٣) .

(١) البديع ٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ٣٤ .

وتستمر المكاتبة بينه وبين ابن العثماني في هذا الصدد حيث بعث ابن العثماني بخيرى مبكر ومعه رسالة إلى أبي الوليد ، فأجابه بمثلها مشيداً بمحاسن الخيرى فقال (فلما تعاهدت خيريك عهاد شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك بكر مُتَنَعِّمًا منها مَتَنَفِّسًا عنها ولاندد له إلا الند ، ولا مَسْكُ له إلا المِسْكُ ، وقد قَبَضَهُ مشغوفاً به) (١) .

أما رسالته التي رد فيها على أبي حفص أحمد بن برد ، وسلك فيها نهجه فقد برع فيها أبو الوليد براعة فائقة حيث أجرى فيها الحديث والحوار والمناظرة ، والمراسلات على ألسنة الأزهار ، وإذا استعرضناها نحس للوهلة الأولى أننا في مجلس يضم بعض النواوير ، وطائفة من الأزهار هم البنفسج والخيرى والتمام والبهار كانوا قد اجتمعوا فيما بينهم ، وتداولوا الأمر بينهم ، ونظروا في حالهم ، وقاسوا أنفسهم بالورد فلم يجدوا بدأ من الاتفاق على تقديمه وتفضيله عليهم ، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل عملوا على إشاعة رأيهم بين بقية الأزهار بالكتابة إليهم يأمرونهم بالتأييد لما انتبها إليه (وكانت النواوير المتفقة عليه ، والداعية حينئذ إليه البنفسج والخيرى والتمام والبهار ، وكتبت كتابا إلى صنوف الأنوار ، وضروب الأزهار تأمرها بالوقوف عندما وقفت ، والاتفاق على ما اتفقت) (٢) .

غير أن هذا الكتاب لم يلق القبول لدى جميع الأزهار ، فأول من اطلع عليه ، وانبرت له نواوير الربيع ، وأعلنت التمرد على ماجاء فيه من مبالغة ومغالطة في الحقائق ، وأفصحت عن ذلك بالكتابة إلى الأقحوان ، والخيرى الأصفر بحكم الجوار في الوطن والاتفاق في الزمن ، فقالت لهما : (من نواوير فصل الربيع الأزهر إلى الأقحوان والخيرى الأصفر ، بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فيها ، وفغر عن فيها خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

(١) المصدر السابق ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ٦٣ .

ولو استحق الورد إمامة ، أو استوجب خلافة لبادر بها آباؤنا ، ولعقدها أوائلنا التي لم تزل تجاوره في مكانه ، وتحجى معه في أوانه (١) .

ثم بأى حجة أو وجه من وجوه التقديم والفضل استحق الورد أن يتربع على قمة المجد بين النواوير الأخرى ، وهناك من هو أحق منه بذلك ، وهو نور البهار الذى تغنى به الشعراء ، وشبهوه بالعيون وهى أشرف الحواس ، وأين منه الورد الذى يشبه بالخد وهو ليس بحاسة ، فنور البهار هو « البادى فضله بدوّ النهار ، والذى لم يزل عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء مشبهاً بالعيون التى لا يحول نظرها ، ولا يحور حورها ، وأفضل تشبيه للورد الخد عند من تشيع فيه وعنى به ، وأشرف الحواس العين إذ هى على كل مُنَوَّل عون ، وليس الخد حاسة فكيف تبلغه رياسة (٢) وقد احتدت الأنوار الربيعية على البهار وأخذت في تأنيبه على تخاذله أمام الأزهار التى فضلت عليه الورد حيث شاركهم فيما ذهبوا إليه ، ونسى حق نفسه في الفضل والتقديم ، مما كان سببا في تقديم الورد وتفضيله (فلولا استجابته لها وكونه معها ماتحصن لتلك مُراد ، ولا تحسن لها مُراد) (٣) وبعد هذا التأنيب أخذت نواوير الربيع في التلطف مع البهار ، وأقسمت أنه لو جمعها وإياه وطن أو زمن لبايعوه ، وقدره بكل غال لديهم إذ قالوا (وحينئذ بالسلام الأثير بعد الملام الكثير ، ووالله العظيم حقه الواسع رزقه لوجاورناه في وطن ، أو صحبناه في زمن لبايعناه منذ مدة مبايعة العبيد ، ونفدّيه لفضله علينا بالطريف والتليد) (٤) وحينئذ وصل كتاب نواوير الربيع الذى بعثت به إلى الخيرى الأصفر والأقحوان كان عندهما كل من البنفسج والخيرى النمام والنرجس ، فأخذوا في تأنيب هذه النواوير ، وتسفيه آرائها في تقديم الورد ، وألحا عليها في ذلك مما جعلها تتراجع عن موقفها ، وأعلنت ذلك بقولها : (لا تكثرا لومنا ،

(١) البديع ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ٦٥ .

(٤) المصدر السابق ٦٥ .

ولا تطيلاً تأنيبنا فلو لم تكن لنا سقطة ، ولا نسبت إلينا غلطة لخرجنا من الأمر المعلوم ، والحد المعروف ، فلا بد للكل من تدبير دبرى ، ورأى غير مرضى ، وقد قيل اللبيب من عدت سقطاته ، والأريب من حُصّلت هفواته (١) وقد سر الأحقوان والخيرى من هذا الإقرار ، والتراجع الذى أتاح لها أن تنضم مع بقية الأزهار فى الإعتراف بفضل البهار ، والاعتذار له ، وطلب الصفح منه عما بدر منها ، ثم دبح الأحقوان والخيرى الأصفر رسالة إلى أنوار الربيع يفصحان فيها عن موقفهما المؤيد فى فضل البهار ، وتسفيه رأى من قال بخلاف ذلك جاء فيها : (وصل إلينا كتابكم وورد علينا خطابكم تُبينون فيه ضعف مَيّز مقدّمى الورد ومبايعته ، وسوء رأى مؤيِّبه ومؤمليه ، تلك قصة غابت عنا وبعدت بفضل الله منا ، وقد ظهر ضعفها إلى من تولّى ، وتبيّن سخفها لمن ولّى) (٢) وفى نهاية المطاف تم الاتفاق بين النواوير المتجاوزة على تفضل البهار ، وتراجع عن موقفه كل من سبق له أن فضل الورد ، وما كان من نواوير الربيع إلا كتبت عقداً بذلك عممته على صنوف الأنوار ، وضروب الأزهار معلنين البيعة للبهار باتفاق الجميع (وإذ قد اجتمع الرأى من سراتكم ومنا ، وصدر الاتفاق عن كبرائكم وعنا ، فهى النعمة التى بها تُنْتَظَم أمورنا ، ويراعى أميرنا ، وقد بايعنا البهار الباهر جماله ، الظاهر كماله على ما رضيتم به ، ورجبتم فيه) (٣) .

وتوج هذا العقد بشهادة كل من البنفسج ، والنرجس ، والخيرى ، والأحقوان ، والخيرى الأصفر .

ب - خصائص وسمات نثر أبى الوليد :

وبعد هذا العرض يمكننا أن نستجلى ما يظهر لنا من الخصائص والسمات لما بين أيدينا من نثر أبى الوليد ، وذلك على النحو التالى : -

(١) المصدر السابق ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٦٧ .

(٣) المصدر السابق ٦٨ .

١ - التضمين :

- درج أبو الوليد في بعض رسائله على تضمينها بشيء من الشعر ، وقد يكتفى منه بيت أو بيتين لأحد الشعراء المشهورين تأكيداً لما جاء به من المعاني والأفكار ، على نحو ما نراه من استشهاده بقول ابن الرومي :

أين الخدود من العيون رياسة ونفاسة لولا القياس الفاسد (١)

وذلك ليؤكد ما ذهب إليه من تفضيل البهار الذى يشبه بالعيون وهى أحد الحواس على الورد الذى يشبه بالخدود وليست من الحواس فى شيء (٢) ، وقد يتجاوز ذلك إلى ثلاثة أبيات فأكثر ، وهذا الشعر المضمن إنما يكون فى الغالب من نظمه ، ويظهر لنا هذا من الرسالة التى بعث بها إليه أبيه يصف فيها بعض مظاهر الربيع ، وما ينجم عنه من أزهار تكسو الأرض بحلل زاهية تروق العيون أجناسها ، وتحبى النفوس أنفاسها ، وتوّج وصفه النثرى بشيء من شعره حين قال فى ثنايا النثر :

فالأرض فى بردة من يانع الزهر تزرى إذا قستها بالوشى والجبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة وطررتها بما تُهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى وفتنة بعد طول الستر والخفر

ويتجلى ذلك بوضوح فى رسالته البديعية التى أجاب فيها على أبى حفص بن برد ، وخالفه فيما ذهب إليه من تفضيل الورد على البهار وغيره من الأزهار ، وأجرى فيها المحاورة والمناظرة والمراسلات على السنة الأزهار التى جعلها تقر بالفضل للبهار على الورد وغيره من النواوير ، وتعقد له البيعة ، وشهد على هذا العقد كل من البنفسج والنرجس ، والخيزرى الثمام ، والأقحوان ، والخيزرى الأصفر ، وكل منهم دمج شهادته بالنثر والشعر ، وهنا نجد أبا الوليد يجرى على لسان كل منهم أبياتاً من الشعر (٣) يفصح فيها عن تراجعهم فى تفضيل الورد ، والاعتراف بفضل البهار فهذا البنفسج يقول :

(١) ديوان ابن الرومي (٢ / ٦٤٤) .

(٢) انظر البديع ٦٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ٦٩ .

أما البنفسج فهو يشهد أنه متدزم مما جنى متصل
متبريء من بيعة الورد التي لم يبر منها داؤه المتأصل
متين فضل البهار وعالم أن البهار هو المليك الأفضل
ويقول النرجس :

أشهد النرجس أشهاد محق أن بذر الورد في الملك مُحِق
ورأى أن البهار المجتلي في سماء الحسن بالملك أحق
فمتى كُذِّب قول أبدا قيل في قولته هذى صدق
ويقول الخيري التمام :

أشهد الخيري أن الخير في نقض ما أخطأ فيه أولا
موقنا أن البهار المرتضى بهر الأملاك حالاً وحُلا
ويقول الأقحوان :

أشهد الأقحوان أن جناه كافر بالذى سواه جناه
قائل قول من تبرأ قِدماً من هوى من قضى عليه هواه
إن نور الربى عبید وكل للبهار البهى يقضى ولاه
ويقول الخيري الأصفر :

أصفر الخيري يشهد أن عقَد الورد قد رُد
ويرى أن البهار المنـتقى أعلى وأمجـد
ملك يقظان يأتي وصنوف النور هُجـد

وهكذا نرى أن الشعر برز هنا بروزاً ظاهراً في ثنايا النثر ، على أن مثل هذه الظاهرة التي يعمد فيها الكاتب إلى تضمين أبيات من الشعر في غضون ما يدبجه يراعه من النثر تعد من الظواهر الشائعة والملموسة لدى الكتاب الأندلسيين إظهاراً لما يتمتعون به من مواهب أدبية متعددة للجمع بين النثر والشعر فيما هو من إبداعهم ، وقد بلغت براعة بعضهم إلى حد لا تكاد تفرق فيه بين لغة الشعر والنثر إذ أنك تحس وأنت تقرأ قطعة نثرية لبعضهم كأنما تقرأ نثراً منظوماً ، أو نظماً منشوراً لما يتجلى في نثرهم من شفافية ورقة في الألفاظ ، وتآلق في الخيال ، وإبداع في التعبير .

٢ - العناية بالأمثال والحكم :

تبرز لدى أبي الوليد العناية بالأمثال والحكم في نثره ، إذ نلمح في ثناياه شيئاً من ذلك يعتمد فيه على تجاربه في الحياة ، أو ماسمعه من الأسلاف ، أو اطلع عليه وقرأه في كتب الأدب والأمثال ، فمن ذلك مثلاً قوله فيما أجراه على لسان بعض النواوير (من مدح امرءاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه) وقوله أيضاً : (اللبيب من عدت سقطاته ، والأريب من حصّلت هفواته) وقوله من أمثالهم : رب عجلة تبعث ريثاً ، ورحم الله القائل : وقد يكون مع المستعجل الزلل .

ويلاحظ هنا أن بعض ما أورده أبو الوليد من الأمثال يعد من قبيل الأقوال الجامعة التي تجرى مجرى المثل ، كما يبدو من المثلين الأول والثاني ، وبعضها من قبيل الأمثال المأثورة كما يظهر من المثل الأخير ، ويبدو أن الاعتماد على الحكم والأمثال من الظواهر المألوفة لدى الكتاب الأندلسيين ، ولاشك أن مثل هذا النهج ينم عن وعى وفهم عميق لواقع حياة الناس ، وما تعج به من أحداث ومشكلات اجتماعية وسياسية وثقافية تنعكس على ألسنتهم في صورة حكم وأمثال .

٣ - القيم الأخلاقية والإنسانية :

استجلاء القيم الأخلاقية والإنسانية من خلال الوصف لمظاهر الطبيعة ، والمقدرة على إيجاد التلاحم بين هذه القيم المعنوية وبين مظاهر الوصف المادية لإبراز المعالم الجمالية المتجلية في تلك القيم المعنوية وما تعلقت به من وصف الطبيعة ، ويلحظ ذلك في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس ، وبرز لنا عند أبي الوليد حينما نجده يقرن بين الجمال المادى في الربيع وبين جمال الأخلاق التي اكتسبها من الشخص الذى وجهت إليه الرسالة ، وهو أبوه حيث يقول : (لما خلق الربيع من أخلاقك الغر ، وسرق زهره من شيمك الزهر ، حسن بكل عين منظره ، وطاب فى كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ماتحتويه من النور الذى كسا الأرض حُللاً) (١)

(١) البديع ٣٣ .

ونجد مثل ذلك في مطلع رسالته التي أجاب بها على رسالة أبي الوليد العثماني إذ يقول في مطلعها : (فلما تعاهدت خيريك عهداً شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك بكر متنعماً منها متنفساً عنها ، ولا ند له إلا الند ، ولا مسك له إلا المسك) (١) .

٤ - التشخيص :

- تبرز لدى أبي الوليد ظاهرة التشخيص المتمثلة في استعمال الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة والمجاز ، وقد برع في هذا الجانب براعة ظاهرة في أكثر صورته التي نسجها باتقان ينم عن موهبة ثرة ، وحسن أدب للاح ، وخيال مجنح واسع شأنه شأن لداته من الأدباء الأندلسيين ممن يعتز هو نفسه بمقدرتهم على الإبداع في التشبيه ، وتفوقهم في ذلك على أهل المشرق إذ نراه يقول في مقدمة كتابه البديع : (لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بثرها ونظامها إلى هلمّ جراً لا يجدون لأنفسهم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدي) (٢) ومثل هذا الكلام فيه شيء من المبالغة إذا أخذ على إطلاقه ، وقد يزول ذلك إذا قصرنا النظرة في هذا الصدد على براعة الأدباء الأندلسيين في مجال وصف الطبيعة شعراً ونثراً إذ امتازوا بألوان من التصوير والتشخيص جادت بها عليهم طبيعة بلادهم الفاتنة مما لم يكن متيحاً لأدباء المشرق ، وعلى أي حال فقد كان لأبي الوليد نصيب من براعة الأندلسيين في التصوير والتشخيص ، فهو يتحدث عن نواوير الربيع التي اكتست الأرض منها بحلة بديعة تبدو كأنها نجوم نثرت على الثرى يقول عن الربيع : (حسن لكل عين منظره وطاب في كل سمع خبره ، وتاقت النفوس إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحويه من النور الذي كسا الأرض حلاً ، ولا يرى الناظر في أثنائها خللاً ، فكأنها نجوم نثرت على الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعنبراً) (٣) ويقول أيضاً في موضع آخر : (وقد

(١) المصدر السابق ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ٤ .

(٣) البديع ٣٣ .

حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحسينه فكساه حلاً من الأنوار بها
ينجلي صبدأ البصائر والأبصار) (١) وفي رسالته التى أجرى الحوار فيها على أسنة
الأزهار نجد أن البيعة التى تمت للورد تفغر عن فيها فى قوله : (وصلت إلينا بيعة
اشترى بها من سعى فيها ، وفغر عن فيها خسران الدنيا والآخرة) (٢) ونجد أن
الأقحوان والخيرى الأصفر يقرآن : (ثم قرأ عليه الأقحوان والخيرى الأصفر كتاب
النواوير الربيعية) (٣) كما نجد أن للسقم جلبابا ، وللهرم سربالاً فى قوله على لسان
النجس (تباً لتلك الفعلة الدميمة والقضية الدميمة التى جلبتني جلباب السقم ،
وسربلتني سربال الهرم) (٤) .

٥ - استعمال الجمل الدعائية والمعتضة :

استعمل الجمل الدعائية والمعتضة التى تأتى غالباً بقصد الدعاء لمن يوجه
إليه الكلام ، ويكثر استعمالها فى الرسائل الديوانية كالمدح والتهانى ، والتعازى .
ورسائل الشفاعة ، والوصايا ، والاستغاة ، ومايجرى مجراها ، أما فى الرسائل
الوصفية فيقل دورانها ، ونجد شيئاً منها لدى أبى الوليد فى رسالته التى خاطب بها ذا
الوزارتين القاضى بن عباد إذ يقول : (وهى يامولاي الذى رقه لى شرف ، وجوده على
سرف ، ومن أبقاه الله لرفع شأن ودود ، وضع شأن حسود) (٥) وفى قوله على لسان
النواوير الربيعية مخاطبة الأقحوان والخيرى الأصفر : (فقنا وفقكما الله ، ولا أخلاقاً
من هداه بالنواوير المخاطبة لنا) (٦) .

(١) المصدر السابق ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٤ .

(٣) المصدر السابق ٦٦ .

(٤) المصدر السابق ٦٩ .

(٥) المصدر السابق ٦٢ .

(٦) المصدر السابق ٦٤ .

ويشيع ذلك في كتابه البديع عندما يمهد لمقطوعة شعرية أو نثوية قيلت في حق بنى عباد أو من في محيطهم من الأمراء والوزراء والقضاة (١) .

٦ - الأسلوب القصصي :

خاض أبو الوليد غمار الأسلوب القصصي الذي يعتمد على الحوار ، والذي شاع أكثر ما شاع في الكتابة الوصفية ، وخاصة فيما أجرى على السنة الأزهار من المحاورات والمناظرات والمراسلات ، وذلك بما يمثل المعنى المبسط للقصة في مفهومها ونمطها المؤلف لدى الأدباء القدامى فيما أثر عنهم من حكايات وأخبار ، ومؤلفات ذات طابع قصصي مما لا يصل إلى حد المفهوم المتعارف عليه لفن القصة في العصر الحديث ، والبناء القصصي بالمفهوم الذي أشرنا إليه يتحدد عند أبي الوليد في رسالته التي أجاب فيها على رسالة أبي حفص بن برد ، ورد عليه فيما زعم من تفضيل الورد على بقية النواوير ، ومنهم البهار الذي انتصر له أبو الوليد وجعله المقدم على سائر الأزهار بعد محاورات ومداولات ومناظرات ومراسلات دارت بين البنفسج ، والنرجس ، والخيري الثمام ، والأقحوان ، والخيري الأصفر ، وبين نواوير الربيع ، وكل منهم تحدث مع الآخر ، وحاوره ، وراسله ، وأفصح عن رأيه وموقفه ، وقد استعرضنا هذه الرسالة فيما سبق ، ورأينا إلى أي حد استطاع أبو الوليد أن يستنطق الأزهار ، ويجري على ألسنتها بخياله المجنح صوراً من النثر الفني تارة ، ومن الشعر المعبر تارة أخرى ، يسرد من خلالها في الظاهر أبرز ما تتصف به الأزهار من صفات الجمال لمن له حظ عنده ، أو صفات الذم والقدح لمن ليس له حظ ، وتم ذلك في مجلس اجتمعت فيه زمرة من النواوير هي البنفسج ، والخيري الثمام ، والبهار ، والنرجس ، وقد اتفقت هذه الأزهار على تقديم الورد وتفضيله ، وكتبت بذلك كتاباً إلى صنوف الأزهار تأمرها بالوقوف عندما اتفقت عليه غير أن نواوير الربيع انبرت لها وراحت

(١) انظر المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ١٢٩ .

تعمل على إبطال ما ذهبت إليه ، وكتبت بذلك إلى أقرب الأزهار إليها إلى الأقحوان ،
والخيزرى الأصفر ، وقد اقتنعا بما جاء في رسالة نواوير الربيع من تفضيل البهار على الورد
وغيره ، وقاما بدورهما في إقناع الأزهار بموقفهما وموقف نواوير الربيع ، وانتهى الأمر بعقد
البيعة للبهار بعد أن ناله شيء من التأنيب الرقيق على تناسبه لفضله ، وانضمامه لبعض
الأزهار في الاتفاق على تفضيل الورد (١) .

على أن أبا الوليد لم يكن مبتكراً لهذا اللون من النثر الذى يعتمد على الأسلوب
القصصى ، بل له جذور سابقة فى آثار الأدباء من المشاركة والأندلسيين فقد وجدنا منه
بدايات أولية فى العصر الجاهلى والإسلامى تجلت فى الشعر ، وبعض ألوان النثر ، غير
أن البناء القصصى المتناسك إنما بدأ يطل علينا فى أواخر عهد الدولة الأموية على يد ابن
المقفع الذى طلع علينا بروائع من النثر العربى فى كتابه : الأدب الصغير ، والأدب الكبير
وأطلعنا على بعض آثار الأدب الفارسى مما ينحو المنحى القصصى حينما ترجم كليلة
ودمنة ، واتسعت دائرة البناء القصصى فى العصر العباسى ، وأبرز ما يتجلى فيه ذلك ما
ظهر على يد الجاحظ فى كتابه : البخلاء ، إلى جانب ظهور المقامات ، وكثرة
القصاص ، والوعاظ ، والمذكرين الذين يسردون الحكايات والقصص ، وما كان من
ميول بعض الشعراء إلى الأسلوب القصصى فى شعرهم كما يتضح لدى أبى نواس وغيره
من الشعراء .

أما الأدباء الأندلسيين فقد كان لهم اهتمام واضح بالبناء القصصى فيما لهم من
نثر فنى ، ويتجلى ذلك عند رائد من روادهم فى هذا المضمار ذلكم هو الشاعر
والكاتب الأندلسى المشهور أبو عامر بن شهى الذى أنشأ رسالته المعروفة بالتوابع
والزوابع ، وبنائها بناء قصصيا خياليا يتسم بالبراعة الفنية ، والقدرة البيانية على تصوير
رحلته الخيالية فى عالم الجن واللقاء بشياطين الشعراء ، والخوض على ألسنتهم فى
أحاديث شيقة تتصل بالأدب والشعر والفكاهة والطرائف ، وكان لذلك أثره الواضح

(١) انظر البديع ٦٢ - ٧١ .

على من جاء بعد ابن شهيد من الأدباء والكتاب الأندلسيين الذين انتهجوا الأسلوب القصصى في كتاباتهم ولاسيما الكتابة الوصفية ، على نحو ما نجد عند أبي حفص بن برد في رسالته التي فضل فيها الورد ، وأجرى الحوار فيها على السنة الأزهار (١) ومن ثم تأثر به أبو الوليد في رسالته التي عرضنا لها ، والتي أجاب فيها على رسالة أبي حفص ابن برد ، ولعل أبا الوليد حينما جنح إلى مثل هذا الأسلوب القصصى في رسالته إنما كان يهدف إلى إمتاع القارئ والسامع ومؤانسته بلون خيالي من التعبير فيه جاذبية ، وممتعة فنية تشد المتلقى له ، وترضى ذوقه ، وتتجاوب مع ميوله ، وميول الإنسان بعامة إلى الخيال ، وحيوية أسلوب النص بالحوار والمناظرة ، وربما كان في هذا الأسلوب متنفساً للأديب للتعبير عن مشاعره بشكل غير مباشر .

٧ - المحسنات البديعية :

استعمل أبو الوليد بعض المحسنات البديعية كالسجع ، والجناس ، والطباق ، وله في هذا المجال باع طويل ينم عن مدى ما يتمتع به من ثروة لغوية ، وحذق لمواطن الجمال في استخدام الألفاظ استخداماً يجعلها تناغم تناغماً موسيقياً ، وتتناسق وتتساق حيناً ، وتتفق شكلاً ، وتختلف دلالة ومعنى أحياناً ، أو تختلف شكلاً ، وتتضاد معنى ، ويكاد في استعماله للمحسنات البديعية أن يقف موقف القصد والاعتدال ، وأن يصدر فيها عن عفو الخاطر دون تكلف ، أو تصنع بالقدر الذي يحسن به الإيقاع ، وترتاح إليه الأسماع .

ويمتاز السجع لديه إلى جانب ما ذكر بقصر الفقرات ، وسهولة الألفاظ ، وعدم التكلف فمن ذلك قوله : (لما خلق الربيع من أخلاقك الغر ، وسرق زهره من شيمك الزهر ، حسن لكل عين منظره ، وطاب في كل سمع خبره) (٢) .

(١) انظر المصدر السابق ٥٧ - ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٣ .

وقوله : (قد علم سيدى أن بمرآه يكمل جدلى ، ويدنو أملى ، وقد حللت محلاً عنى الجو بتحسينه ، وانفرد الربيع لتحسينه ، فكساه حلاً من الأنوار بها ينجلى صداً البصائر والأبصار) (١) وقوله : (فلما تعاهدت خيريك عهداً شيمك ، ودامت عليه ديم كرمك) (٢) ، ونجد الجناس فى قوله : (والله ما أرق بصرى ، وأرق بشرى ، وأغاض نهراً ماءً بشرى ، وأعمد فيه سيف نشرى) (٣) وقوله : (ولا ندله إلا الند ، ولا مسك له إلا المسك) (٤) أما الطباق فتجده فى قوله : (وأبأ البهار مفرداً تأنيباً يقيمه ويقعده) (٥) والطباق بين يقيمه ويقعده ، وفى قوله : (ونفديه لفضله علينا بالطريف والتليد) (٦) بين الطريف والتليد ، وفى قوله : (من غاب عنها بشخصه ، ولم يحضرها بنفسه) (٧) بين غاب وحضر .

٨ - الألفاظ :

تمتاز ألفاظه بالسهولة ، والبعد عن الغرابة ، ويصعد غالباً إلى اختيار الألفاظ المغيرة ذات التناغم الموسيقى كما فى قوله : (فلما وصل كتاب النواوير الربيعية وهى متصلة من تلك الخطية وقع فيها مواقع الماء من ذى الغلة الصادى ، وقوله على لسان البهار : (والله مادخلت معهم فى ما أحدثوه ولا تابعتهم على ما صنعوه إلا حياءً من تعريفهم بما لا يجهمه الجاهلون ، ولا يغلط فيه الغالطون ، وليس من ترك حقه ملوما ، وإنما الملوم من تسور على غير حقه وادعى سوى واجبه ، ولولا بدو ذلك لجمعكم ،

(١) البديع ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ١١٦ .

(٣) المصدر السابق ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ١١٦ .

(٥) المصدر السابق ٦٥ .

(٦) المصدر السابق ٦٥ .

(٧) المصدر السابق ٦٨ .

وظهوره إلى رفيعكم ووضيعكم (١) فأنت ترى هنا كيف استعمل للتعبير عن مراده ألفاظاً سهلة معناها في متناول الجميع إلى جانب ما تحمله من جرس موسيقى في ذلك التجانس بين : (الجاهلون الغالطون ، لجميعكم ، رفيعكم ، وضيعكم) .

ويلاحظ أنه يستعمل الألفاظ ذات الدلالات المتعددة من حيث المعنى ، والمتفقة من حيث المبنى في حروفها مع الاختلاف في الحركة والشكل مما يعرف بالمثلث لدى علماء اللغة ، ويظهر ذلك في قوله : (ولا نَدَّ له إلا النَّدَّ ولا مَسَّك له إلا المِسَّك) (٢) وقوله : (تحت جَنَاح الظلام ليسلم من الجُنَاح والمَلام) (٣) وفي ذلك دلالة على ما يتمتع به من ثروة لغوية ثرة .

(١) المصدر السابق ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ١١٦ .

(٣) المصدر السابق ١١٦ .

ثالثاً - أبو الوليد الناقد

أ - تمهيد حول النقد في الأندلس قبل أبي الوليد وفي عصره :

بدأ النقد الأدبي في بلاد الأندلس وليداً مع بداية النهضة الأدبية حيث كان طلاب العلم ، والمتطلعون إلى الأدب يتلقفون ما يفد إليهم من المشرق من شعر ونثر ولغة ، ويتناقلونه فيما بينهم ، ويتناولونه بالدرس والشرح والتعليق في منتدياتهم العامة ، وفي مواطن الدرس والتعليم ، وكان لجامع قرطبة في أواخر القرن الثاني دور كبير في إثراء الحركة العلمية ، والأدبية في الأندلس ، إذ كان مهوى أفئدة طلاب العلم ، وملتمقى العلماء يتدارسون فيه علوم الشريعة ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم الأخرى ، وقد رحل بعض علماء الأندلس إلى المشرق والتقوا ببعض العلماء ورواة اللغة والأدب والشعراء ، فممن رحل نجد مثل الغازي بن قيس المتوفى سنة (١٩٩) (١) ومثل عثمان بن المثني من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الملك رحل إلى المشرق فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعاني ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ، والتقى بالشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وقرأ عليه ديوان شعره ، وأدخله الأندلس رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين (٢) ، وكان لذلك أثره على بعض المؤدبين الأندلسيين الذين نقلوا بعض آثار المشاركة في النقد ولاسيما نقد الرواة ، وفي هذه الفترة كان تناول الأدب شعراً ونثراً يتميز بالبساطة ، والتوجيهات الذاتية التي تدور غالباً حول الألفاظ ، وتوضح بعض المعاني ، والإشارات البلاغية ، وإذا كنا في هذه الفترة لا نملك من النصوص ما يكفي لرسم صورة واضحة المعالم لطبيعة اللفظات النقدية ، فإننا في القرن الرابع نجد أسماء تلمع في الأفق ، وتعمل على اتساع صدى الحركة النقدية الأندلسية ، ونلمح فيها بريقاً لبعض الملامح النقدية التي تدور في أوساط المشرق إذ نجد لدى الأندلسيين الاتجاه إلى تأليف كتب في طبقات الأدباء والشعراء تتحدث عنهم ، وترصد آثارهم ، يذكر لنا ابن الفرضي أن الأقيشتين محمد بن موسى بن هاشم بن

(١) انظر بغية الرعاة (٢ / ٢٤٠) .

(٢) تاريخ علماء الأندلس القسم الأول ٣٠٢ رقم ٨٩١ .

يزيد^(١) (ت ٣٠٧) قد وضع كتاب طبقات الكتاب في الأندلس ، كما ألف عثمان بن سعيد الكناني (ت ٣٢٠) كتاب طبقات الشعراء بالأندلس^(٢) ومن مثل هذه المؤلفات نحس بالاتجاه إلى مبدأ الطبقات الذي كان معروفاً في المشرق منذ وقت مبكر على يد محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة (٢٣١) في كتابه طبقات فحول الشعراء ، وهو مبدأ قد يعتمد تقسيم الشعراء في طبقات على أساس من الإجابة والقوة والفحولة في الشعر ، أو على أساس من البيئات ، أو الزمن ولا يخلو من سرد نصوص شعرية مع بعض التعليقات ، والملاحظات التي تشتمل على شيء من الملامح النقدية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إننا نجد أنفسنا في أوائل القرن الرابع أمام موسوعة أدبية ضخمة تمثلت في كتاب العقد الفريد للأديب الشاعر أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة (٣٢٨) ولو أردنا أن نفصل القول في هذا الكتاب ، ومنهجه ، وهدفه ، وما اشتمل عليه من آثار المشاركة ، وما عرضه خلال ذلك من قضايا أدبية ونقدية لطال بنا أمد الحديث ، ويهمننا هنا التنويه على أن ابن عبد ربه يمثل بكتابه العقد الفريد نقطة التلاقى بين أدباء المشرق والأندلس ، ويعرض لكثير من القضايا النقدية الماثورة عن رواة الأدب واللغة في المشرق ، من مثل بعض القضايا النقدية التي تتصل بالبلاغة والبيان ، والكتابة والكتاب ، والشعر والشعراء ، وما يعاب من الشعر ، وما لا يعاب ، وتقبيح الحسن ، وتحسين القبيح ، والضرائر ، وبعض الأمور التي تتعلق باللفظ والمعنى ، وفصائل الشعر وسرقاته . ولاشك أنه بذلك يضع بين أيدي الأندلسيين أسساً نقدية مشرقية ، وكان صنيعة هذا من العوامل الأساسية التي أدت إلى توسيع دائرة النقد وتطوره في الأندلس إلى جانب المؤثرات الأخرى المتمثلة في ظهور مدرسة أبي على إسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦) في كتابه الأمالي الذي نقل به آثارهم وأدبهم إلى الأندلس مع ما يعين له من ملاحظات نقدية ، وقد توخى به هدفاً تأديبياً يرمى إلى صقل المواهب الأدبية بما أورده فيه من شعر ونثر وأخبار ولغة ، وكأنه يتمثل في ذلك ما قرره الأصمعي بقوله : (لا يصير الشاعر في

(١) المصدر السابق القسم الثاني ٢٩ - ٣٠ رقم ١١٧٣ .

(٢) المصدر السابق القسم الأول ٣٠٣ رقم ٨٩٢ .

قرض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ) (١) ومن الأمور التي برز فيها النقد لدى الأندلسيين خلال القرن الرابع ما كان من ظهور بعض الشروح للشعر من مثل شرح ديوان صريع الغواني لأبي العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم المعروف بالطبيخي ، أو الطينيجي (ت ٣٥٢) الذي كان (بصيراً بالشعر ، حسن الاستنباط لمعانيه ، جيد النظر فيه ، شرح شعر أبي تمام الطائي ، وشعر مسلم ابن الوليد ، فأخذ الناس عنه هذه الشروحات ، وكان مؤدباً بعيد الاسم في التأديب يتنافس فيه الملوك) (٢) وفيما بين القرنين الرابع والخامس نلتقى بنقاد أندلسيين مبدعين يأتي في طليعتهم أبو عامر عبد الملك بن شهيد المتوفى سنة (٤٢٦) وهو صاحب الرسالة الخيالية المشهورة باسم التوابع والزوابع التي ناقش فيها قضايا أدبية ونقدية جديدة بالاهتمام صدر فيها عن وعي وتجربة ، وهي تمثل منعطفاً جديداً في النقد الأندلسي غير الذي كان معهوداً في حلقات المؤدبين والمعلمين الذين يعتمدون على أحكام سريعة ولفحات نقدية فردية ذوقية ، إذ نجد له نظرات نقدية عميقة تتناول أساليب الأدباء والشعراء ، وخصائصهم ، ومدى حظهم من الجودة ، والإبداع الفني ، والموهبة والبيان ، والبديهة الشعرية ، واللفظ الرائع ، والمعنى الرفيع ، وتناول ذلك بأسلوب قصصي مبتكر يعتمد على الخيال ، وعرض من خلاله مواقفه من أهم القضايا الأدبية والنقدية .

وفي هذه الفترة أيضاً نلتقى بأحد النقاد المشهورين من شراح الشعر ، وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الأفليلي (ت ٤٤١) (٣) الذي شرح ديوان المتنبي ، وتعرض في ثنايا شرحه لكثير من القضايا اللغوية والبلاغية ، والأدبية والنقدية شأنه في ذلك شأن الشراح الآخرين الذين تناولوا ديوان المتنبي بالشرح . ولا

(١) المصدر السابق القسم الأول ٣٠٣ رقم ٨٩٢ .

(٢) تاريخ علماء الأندلس القسم الثاني ١٦٢ رقم ١٥١٢ .

(٣) انظر ترجمته في الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٢٤٠ ، وجذوة المقتبس ١٤٢ - ١٤٣ .

نسى ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦) الذي كانت له آراء نقدية أودعها في رسالة له سماها رسالة مراتب العلوم^(١) ، وقد كان لهؤلاء النقاد دور بارز في ازدهار الحركة النقدية بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس .

ب - المعالم والقضايا النقدية عند أبي الوليد

في هذا المحيط للنقد الأدبي في الأندلس الذي استعرضناه استعراضاً سريعاً وموجزاً ظهر الأديب الناقد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري بتوجيهاته وملاحظاته وآرائه النقدية التي أودعها كتابة : (البديع في وصف الربيع) وقد ضم الكتاب بين دفتيه قضايا نقدية جوهرية تشكل لبنات جديرة بالعناية والاهتمام في تاريخ النقد الأدبي ، إذ نراه يخلق في آفاق نقدية تمس ركني النص الأدبي المتمثلين في الشكل والمضمون مع الكشف عن مواطن الجمال في الصورة البيانية ، وموازنات ، ومقارنات بين المقطوعات الشعرية ، وتحليل للألفاظ إلى أحكام عامة تنم عن ذوق ، وإدراك لمواطن الحسن والإبداع ، ومن إلماح إلى السرقات إلى الإشادة بسرعة البديهة ، والمعاني المحترعة ، والأوصاف المبتدعة ، وحسن الانتقال من غرض إلى غرض مما يتصل بالأغراض الشعرية ، وعلى الرغم من ذلك لم نجد من عنى بآرائه النقدية عناية كافية من الباحثين في تاريخ النقد الأندلسي ، ومنهم الدكتور رضوان الداية الذي اكتفى بإشارات عابرة لم تتجاوز صفحة واحدة ، والدكتور مصطفى عليان عبد الرحيم ، وهو في تقديري أوفر حظاً من سابقه حيث تناثرت لديه إشارات لبعض آراء أبي الوليد النقدية في مواطن متفرقة من كتابه تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس . ونحاول هنا أن نعرض بشيء من الإيضاح والتفصيل لما وقفنا عليه من آراء أبي الوليد وملاحظاته النقدية التي تبرز لنا في كتابه البديع وذلك على النحو التالي :

١ - الصور البيانية والتشبيهات :

عنى أبو الوليد عناية واضحة ملموسة بالتنويه عن صفات الحسن والجمال ، والإبداع في الصور البيانية التي تتجلى فيما يعرضه ويختاره من الشعر ، ولا سيما

(١) انظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ٣٠٧ .

التشبيهاً التي تشيع في أشعار الأندلسيين التي يعتبرها بعضهم أساس تفوقهم ، وموطن اعتزازهم ، وتفآخرهم على من سواهم من أدباء المشرق فيما عرف عنهم من تلاحق بينهم وبين الأدباء المشاركة ، ونحا هذا النحو أبو الوليد نفسه حينما أشاد في مقدمة كتابه البديع بتشبيهاً الأندلس التي قصر كتابه عليها ، ويشيد بها إشادة تشم منها رائحة التعصب والمغالاة التي يحو بها كل أثر للإجادة عند المشاركة إذ يقول ولكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظمها إلى هلم جرا لا يجدون لأنفسهم من التشبيهاً في هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدى على كثرة ماسقط منها عن يدى بالغفلة ... فلهم فيه من الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل ، والتشبيه ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه) (١) ولعل مما يعزز هذا الاتجاه أننا نرى من الأندلسيين من يعمد إلى أفراد تشبيهاًهم بالتأليف ، ويخصها بالتصنيف كما صنع أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب المتوفى سنة (٤٢٠) في كتابه التشبيهاً من أشعار أهل الأندلس ، وكأني بأبي الوليد يسعى إلى ماسعى إليه سابقه من رصد التشبيهاً سوى أنه حصرها في دائرة وصف مظاهر الطبيعة وأزهارها ، بينما أفرد أبو عبد الله لذلك جزءاً يسيراً من كتابه الذي أورد فيه صوراً من التشبيهاً في موضوعات متعددة متنوعة ، ومن ذلك ندرك مدى عناية الأدباء ، والنقاد الأندلسيين بالصورة الشعرية تلك العناية التي جعلت أبا الوليد يصرف القول في التشبيهاً على وجوه عديدة تتمثلها فيما يلي :-

(أ) يحرص أبو الوليد على الكشف عن مواطن الحسن والجمال في صور التشبيه التي ترد لدى الشعراء ويحاول أن يتلمس ذلك بإبراز صورة التشبيه مع الإفصاح عن مكان الجمال في رسم تلك الصورة ، فمن ذلك أننا نراه يورد مقطوعة لأبي عمر الرمادى يصف فيها الربيع ، ويعجب منها بوصفه للسحائب حين يقول :

(١) البديع ٤ .

في إثرها وقفت ملاحم تجتلى التاريخ بين سحائب ومحول
فكأنها جيش بدهم خيول غاز إلى جيش بشهب خيول

ويفصح عن هذا الإعجاب بقوله : (قوله : فكأنها جيش بدهم خيول البيت
شبه السحاب في اسودادها بالخيول الدهم ، والأرض في ابيضاضها قبل النبات بالخيول
الشهب ، وهذا من أبداع ما استعير لهذا الموضع ، ومما حسنه ذكر الغزو بينهما) (١) .
وفي موطن آخر يذكر قطعة لأبي جعفر بن الأبار يصف فيها الباقلاء يقول :

وباقلاء باقل يُعجبُ حسنا من رمق
كأنما نواره إذ راق خلقا وحلق
أذقان بيض غلقت لمبصر ومُنْتَشِق
أو أعين حور جرت إلى مآقيا الحدق
وهديها مُسْتَبْطِن في ورق من الورق

ولم يفت أبو الوليد أن يكشف لنا عن بديع التشبيه في هذه الأبيات فيقول :
(قوله : جرت إلى مآقيا الحدق . بديع غريب لأن السواد الذي جعله حدقة العين
هو في ناحية من الثور ، وليس متوسطاً له ، فكأن الحدقة قد جرت إلى المآق ، وهو
طرف العين مما يلي الأنف ، وهديها مستبطن : البيت وهو مما أكمل به الوصف ،
وتم التشبيه ، لأن في الورقة التي ظاهرها تلك الصفة المتقدمة خطوطاً سوداً جعلها
هدباً لتلك العيون) (٢) .

وهو حينما يذكر التشبيهات النادرة ، والمخترعة دون أن يعقب عليها بشيء من
الإيضاح الذي يعزز به حكمه في الإعجاب ، والاستحسان فعند قول ابن القرشية :
كأن الثرى ستر تُمدّ خلاله بأكواس راح راحهن الكواعب
يسترن من فرط الحياء معاصماً بأكمامهن الخضر عمن يراقب
نراه يمهد لهذه القطعة فيقول : (من التشبيهات العقم التي تدل على يقظة

(١) المصدر السابق ١٤ .

(٢) المصدر السابق ١٥٧ .

الفهم قول ابن القرشية عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، ثم يعقب بقوله : (جعل قُضْبَهُ الخضر معاصم مستورة بأكام خضر ، وجعل أكفّها مُبْيِضَة وكؤوسها مصفرة) (١) ويضع ذلك غالباً في أكثر المقطوعات التي يمهدها لها بعبارات الإعجاب والاستحسان (مثل من السابغ برد كماله ، السابغ ورد جماله) (٢) ومثل . (ومن غريب الوصف في عجيب الرصف) (٣) .

وهنا نلاحظ أن أبا الوليد يتأمل في تركيب الصورة ، ويستجلى ما تنطوى عليه من إبداع يثير الإعجاب بها ، ويدفع إلى استحسانها ، وهو يصدر في ذلك عن ذوق فني رفيع ، وحسن أدبي مرهف ، وتأمل دقيق للملاحم الجمال في صور التشبيه .

(ب) لأبي الوليد موقف واضح من التشبيهات المألوفة التي تشيع في أوساط الشعراء ، ويتداولونها فيما بينهم بأشكال شتى غير أن منهم من يدور في الفلك المألوف دون تميز أو إبداع ، ومنهم من يأخذ الصورة المألوفة ، ويضفي عليها من مواهبه حلة قشبية مبدعاً ومجدداً فيما هو مألوف لدى غيره من الشعراء ، وقد لفت أبو الوليد أنظارنا إلى هؤلاء الذين يقصدون إلى الاتباع مع الإبداع والتجديد ، وذلك حينما أسمعنا قول أبي عبد الملك الطليق يصف الورد والبهار :

وكأن الورد يعلوه الندى وجنة المعشوق تندى عرقا

ثم يعقب بقوله : (تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير إلا أنه أغرب بزيادة الندى ومقابلته بالعرق) (٤) وقد يدلى بشيء من التوجيه للشعراء الذين يأتون بشيء من التشبيهات المعروفة لكي يتبها لهم الإبداع ببعض التصرف في الصورة فهو عند قول أبي عمر يوسف بن هارون الرمادي يصف الورد والأقاحى :

(١) المصدر السابق ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق ٨ .

(٤) المصدر السابق ٣٩ .

وفي الورد غضا والأقاحى محاسن سرقن من الأحباب للمتشوق
 حدود عذارى لو تقصى حياؤها وأفواه حور لو سمحن بمنطق
 نراه يوجه بقوله : (هذان التشبيهان معروفان لاسيما قلبهما ، ولكن لوفهُما
 حسنتهما معاً ، وأبدعت فيها بدعا) (١) فهو هنا يطالب بإيضاح الصورة التي
 أعتورها شيء من الغموض بقلب التشبيه غير أننا في موطن آخر نراه يشيد
 بالتجديد ، والإبداع في الصورة المألوفة حينما لجأ الشاعر أبو الأصبع إلى قلب الصورة
 بنقل الوصف المعروف للحدود إلى وصف الورد في قوله :

الورد ماء ونار سالا على وجه بضّة
 ضدان في صحن خد قد ألفا بعد بغضه

ومثل هذا التصرف يعد عند أبي الوليد (غايةً ووصف الورد نهاية ، وإن كان
 معروفاً في وصف الحدود ، فقلبه إلى وصف الورد ، مما أحسن فيه ،
 وأعرب به) (٢) .

وفي بعض الأحيان نجد أبا الوليد لا يقف في تحديد التشبيهات المألوفة موقفاً
 واضح المعالم ، بل يعتوره شيء من التردد ، والظن بحيث لا ندرى على وجه التحديد
 هل ماجاء به الشاعر يعد من التشبيهات المألوفة التي أضفى عليها من صنيعه ما يجعله
 مبدعاً في استجلائها ، أم أنها من اختراعه أصلاً ، كما يظهر من تعقيبه على أبيات
 للحاجب ابى الحسن جعفر بن عثمان المصحفى :

انظر إلى الروض الأريض تخاله كالوشى نمق أحسن التميمق
 وكأثما السنان صب مدنف لعبت يداه بجيبه المشقوق
 يوم الوداع ومزقت أثوابه جزعاً عليه أيما تمزيق

يقول : شبه السوسن في افتراقها بجيب مشقوق ، وهو معنى دقيق ، وقد
 تداوله جماعة ، وأظنه من اختراعه (٣) .

(١) المصدر السابق ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ٣٧ .

ويبدو أن مثل تلك المواقف من أبي الوليد تنطوي على رغبة منه في الإشادة بمواهب الشعراء الأندلسيين ، ومقدرتهم على الإبداع بما يخرجهم عن دائرة الاتباع ، ولعله بذلك يؤكد موقفه من الدفاع عن تشبيحاتهم ، والتماهى في تفضيلها على ما يوجد في بابها لدى المشاركة كما عرفنا سابقا ، وهو وإن كان ينجح في بعض أحكامه إلى التعميم دون طرق التعليقات الكافية والمقنعة إلا أنه وفق إلى حد ما في استجلاء مكملات الصورة التي تخرجها حسب تقديره من حيز الاتباع إلى حيز الإبداع .

(ج) كثيراً ما يصدر أبو الوليد في إعجابه بالتشبيحات عن أحكام عامة يطلقها في مستهل تقديمه لمقطوعة ، أو في ثنايا التعقيب عليها ، فأبيات أبي الحسن ابن علي في وصف السوسن تحمل أوصافاً حسنة ، وتشبيحات جيدة (١) ، ولأبي عمر أحمد بن فرج الجباني قطعة في الربيع غريبة التشبيه (٢) ، ولأبي عمر الرمادى أيضاً قطعة حسنة يصف فيها الربيع من قصيد مطول بديع التشبيحات ، ونجد له أيضاً مثل قوله : فمن التشبيحات العقم قول أبي القاسم بن هانى الأندلسي (٣) ، وقوله : ومن التشبيحات الأنيقة والتمثيلات الدقيقة قول أبي جعفر بن الأبار (٤) وغالبا ما يكون هذا التعميم غير ممثل لوجهة نظر نقدية متأنية تتعمق النص ، وتستجلى محاسنه بدقة ، وروية تدفع إلى القناعة بما يصدر عن الناقد من استحسان وإعجاب بقدر ما يمثل وجهة نظر فردية تعتمد على الذوق الخاص ، والتأثر الذاتي السريع .

(د) كشف عن أثر البيئة في التشبيحات الأندلسية ، واعتبر تمثلها واستيحائها مثار إبداع وإعجاب ، وملاءمة للطبع ، وبعداً عن التصنع ، فعند قول أبي عمر أحمد ابن فرج ، وقيل أخوه عبد الله يصف النرجس :

ونرجس تطُرفُ أجفانه كمتقلة قد دب فيها الوسن
كأنه من صفرة عاشق يلبس للبين ثياب الحزن

(١) المصدر السابق ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ٨ .

(٣) المصدر السابق ١٦١ .

(٤) المصدر السابق ١٦٢ .

نرى أبا الوليد يقول : (جرى في ثياب الحزن على مذهب الأندلس إذ ثياب حزنهم يبضر ، وهو تشبيه بديع ، وتمثيل رفيع ، ومعنى مطبوع) (١) .
 وكان أبا الوليد يقرر بذلك أثر البيئة الفعال في تشكيل الصورة ، وابرازها في ثوبها الجذاب بتفاعل الأديب مع مايقع عليه نظره من مرئيات ، ويجرى في محيطه من عادات وتقاليد ، وهذا ملمح نادر ينم عن نظره عميقة ووعى متفتح وذهن متوقد .

٢ - البديهة والارتجال :

وفي معرض الكشف عن مواطن الجمال في صور التشبيه لا يغفل أبو الوليد عن التنويه بدور البديهة ، وما لها من ميزة في اكتساب النص الشعري الجيد حسناً على حسن لاشتماله على صور بديعة صدر فيها الشاعر عن بديهة وعفو خاطر دون تكلف ، أو كد للقريحة ، ومع ذلك الغرض ، وجاء بدقيق المعاني ، والتشبيهات التي لا مثيل لها مما يعجز عنه من يتكلف في صناعة النظم ، ويجهد نفسه فيها ، ويبدو ذلك من تعليقه على القطعة التي أوردها لدى الوزارتين القاضي الجليل في وصف النيلوفر وهي :

كأنما النيلوفر المستح سن الغض البهج
 مقلة خود ملئت سحراً وغنجا ودعج
 أو خاتم في مضّة ومصه من السّج

ثم أخذ في التعقيب عليها ، والكشف عن صورة التشبيه ، والإعجاب بتلك الصورة مما زاده إعجاباً بها أنها جاءت على البديهة دون تكلف يقول (شبه في البيت الثاني بالعين في السواد الذي بياضه هو أولى بهذا التشبيه ، وأحق أن يضاغ فيه من كل ما شبه بالعين من البهار وغيره الذي لاسواد فيه يؤيد حقيقة تشبيهه ، وينصر صحة تمثيله ، ومثل هذا التشبيه المعلوم الشبه ، والتمثيل المنقطع المثل لو وقع لمشتاق بصناعة الشعر عاكف على صناعة النظم مجهد نفسه فيها مُعان لمعانها لاستغرب غاية الإستغراب ، واستعجب نهاية الاستعجاب ، فكيف ترى فضله ، وتعامين نبهه ، وهو لا يعاني هذا ، ولا يتفرغ له ، وإنما عفو

(١) المصدر السابق ١٠١ .

سجيته ، وفيض بديته (١) .

ويظهر أن مفهوم البديهة عند أبي الوليد يقترن بالارتجال ، وسرعة تدفق المعاني والقوافي ، وكأنه لا يفرق بينهما بحسب ما هو سائد لدى بعض الأدباء ، والنقاد الأندلسيين في حين أن هناك من يرى التفرقة بينهما - كما سيأتى - ولهذا نراه يحكى إعجابه ، وإعجاب أبيه وأبى الأصبع بأبيات للقاضي ابن عباد أملاها على البديهة ، ومقياس إعجابه بها سرعة البديهة ، والقدرة على تدفق المعاني والقوافي في التشبيهات الرائعة ، والصفات الرائعة ، يقول في التعقيب على أبيات القاضي ابن عباد التي مطلعها :

أبلغ شقيقى عنى مقالة لثُمَّضه

قال أبو الوليد سمعت أبى وأبا الأصبع يقولان : والله ما أكمل إملاء الأبيات بتلك التشبيهات الرائعة ، والصفات الرائعة إلا ونحن قد بهتنا من سرعة بديته ، وقدرة فكره على تهذيب قوافيها ، وتذهيب معانيها في أسرع من لا في اللفظ ، وأعجل من رجع اللحظ (ولم يكتف بذلك بل راح يؤكد إعجابه بالأبيات ، وما اشتملت عليه من تشبيهات (كلها مستول على غاية الكمال مستوف نهاية الجمال) وزاده إعجاباً بها كونها جاءت عفواً الخاطر على البديهة ذلك لأنه (لو وقع تشبيه من تلك التشبيهات لموسوم بهذه الصناعة متخذ لها كالبضاعة بعد إعمال فكره فيه ، وإشغال ذهنه به لكان مستذكراً مستغرباً ، فكيف باجتماعها على حسنها ، وانطباعها له - أعزه الله - بهديهة) (٢) .

وإذا كان أبو الوليد قد أدرج مع الذين لا يفرقون بين البديهة والارتجال في الأندلس ، فإن من المفيد الإشارة إلى أن بعض النقاد الأندلسيين يذهب إلى التفرقة بينهما على خلاف السائد ، ومن هؤلاء ابن رشيق القيرواني الذي يرى أن البديهة تحتاج إلى شيء من الفكر ، والتأمل السريع في حين أن الارتجال تنثال معه المعاني ، والقوافي منهمة متدفقة دون انقطاع ، ويؤكد ذلك في قوله : (البديهة عند كثير من

(١) المصدر السابق ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ٥٣ .

الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا ، أو من أهل عصرنا هي الاتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأمل ، والاتجال ما كان انهمازاً وتدققاً لا يتوقف فيه قائله كالذى صنع الفرزدق (١) ، وكرر ابن بسام في الذخيرة ماذهب إليه ابن رشيق في مفهوم البديهة والاتجال (٢) ، وهذا المفهوم هو الذى توسع فيه ابن ظافر الأزدى فيما بعد حينما قرر في كتابه بدائع البدائ (أن الاتجال هو أن ينظم الشاعر ماينظم فى أوحى من خطف البارق ، واختطاف السارق ، وأسرع من التماح العاشق ، نفوذ السهم المارق حتى تخال مايعمل محفوظاً ، أو مرثياً ملحوظاً من غير حاجة إلى كتابة ، ولا تعلل بتقفية ، أما البديهة . فهى أن ينزل عن هذه الطبقة قليلاً ، ويفكر مقصراً لا مطيلاً ، فإن أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية ، وخرجت من حد البديهة إلى حد الروية (٣) على أن هذه النظرة إلى البديهة ، واعتبارها دليلاً على قوة الملكة ، وإبداعها وأصالتها ، وسرعة إسعافها فى المواطن الحرجة تعد من الأمور المتداولة بين بعض الأدباء والنقاد فى الأندلس ، فهذا ابن شهيد الأندلسى يقول (يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز إذا اصطكت الركب ، وازدحمت الحلق ، واستعجل المقال ، ولم توجد فسحة لفكرة ، ولا أمكنت نظرة لروية) (٤) ولا يعنى هذا أن البديهة محمودة فى كل مقام ، بل منها ما يكون غثا ليس فيه بصيص من حسن أو جمال ، ومن العجيب أن يشير إلى ذلك ابن بسام فى معرض اعترافه بتدنى مستوى البديهة والاتجال فيما عرض له من الأشعار الأندلسية التى لا طائل تحتها ، والتى لم تستطع اللحاق فى هذا المضمار بالأشعار المشرقية لدى الأوائل يقول : (والبديهة والاتجال فى هذه الأشعار الأندلسية ، وإن لم تلحق بالأشعار المشرقية ، ولا فيها كبير طائل ، ولا تقرب مما ألصقته إليها من أشعار الأوائل ،

(١) العمدة (١٢٦/١) طبع بدر الدين الفسافى .

(٢) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٣٦ .

(٣) بدائع البدائ ٨ .

(٤) الذخيرة القسم الأول ، المجلد الأول ٢٤٤ .

فهى نحوى فى هذا المجموع الذى انتحيت ، وطلقى الذى إليه جريت ، ولذلك ما أثبت مُدالها ومصونها ، وكتبت غثها وسمينها ، والأدب طريق يسلكها الصحيح والجرب ، وسوق ينفق فيها الدر والمخشب) (١) .

٣ - الفنون الأدبية أو الأغراض الشعرية :

يبدو أن فن الوصف يعد من الفنون الأثيرة لدى الأندلسيين ، وقد أبدعوا فيه إبداعاً ظاهراً يتجلى فيما خلفوه من آثار شعرية يصفون فيها طبيعة بلادهم ، ويستجلون مباحجها ، ومفاتها ومحاسنها التى تخلب الألباب جمالاً وروعة وبهاء إذ أن طبيعة بلادهم حدائق ذات بهجة ، وجنان غناء ، تفتح أمام شعرائهم آفاقاً فساحاً ، يسرحون فيها الطرف ، ويجيلون التأمل ، فيخرجون من ذلك بواطن الوصف ، وبدائع الصور ، واللوحات الجميلة ، مما أكسبهم شيئاً من التمييز على نظراتهم من شعراء المشرق ، وتوسع بعض أدبائهم فى أثبات هذا التمييز ، فاتخذ منه مجالاً للتفضيل والمفاخرة ، كما صنع أبو الوليد الذى ألف كتابه البديع ليحشد فيه ماوقف عليه فى وصف الربيع ، وأزهاره من أدب الأندلسيين شعراً ونثراً ، مع الإشادة بما لهم من إبداع ، واختراع ، وتشبيهات فائقة رائعة حسنة يتقون بها ماجاء فى شعر المشاركة فى هذا المضمار ، وكأنه يريد أن يشعرنا بتفوق الأندلسيين فى فن الوصف ولعل ذلك يعد من أبرز العوامل التى حفزته على تأليف كتابه ، والعناية بإيراد عبارات الإعجاب والاستحسان بما يذكره من مقطوعات شعرية تناسب موضوع كتابه ، ونكاد نلمس آثار ذلك فى كل صفحة من صفحاته ، ولا نعدم غالباً فى مستهل كل قطعة وصفية من عبارات الإعجاب والاستحسان ، فهناك الوصف البديع لأبى عمر يوسف بن هارون الرمادى فى وصف الربيع (٢) ، وهناك وصف ابن دراج للوسن الذى

(١) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) البديع ١١ .

أحسن فيه وأبدع وأغرب واخترع (١) ، وكذلك الشأن في وصف أبي مروان عبد الملك بن جمهور للنجس الأصفر (٢) ، وقطعة أبي بكر بن القوطية في وصف نور اللوز فائقة الوصف رائعة الرصف (٣) ، كما أشار إلى الوصف المطبوع الذي لم يعثره شيء من التصنع ، أو التكلف في تقديره ، وذلك حينما قال : (ولم يقع إلى في نواره مفرداً إلا قول أبي عمر الرمادي ، وهو من الصفات المطبوعة والتشبيهات البديعة

انظر إلى روض ياسمين لم يرِد الورد وهو وارد
كأنه عدةً ولونا أكف حور بلا سواعد(٤)

وجعل جودة الوصف مقياساً من مقاييسه في الاختيار والانتخاب لما بين يديه في مقطوعات شعرية حول الربيع وأزهاره كما يبدو من قوله : (قد اكملت من النواوير ماوقع إليّ فيه الوصف الكثير ، وبقيت نواوير وقعت إليّ فيها أوصاف يسيره ، وقطع قليلة ، ولكنني أذكرها على علاقتها وأوردها منها ما حسنت تشبيهاته ، وجادت صفاته) (٥) ، وإذا كانت هذه العبارات ، أو الأحكام تعد من قبيل النقد التأثري الفردي ، والتذوق إلا نفعالي إلا أنها تشعرنا بمقدرة الناقد على الإحساس بالجمال وتذوقه ، مما قد يثير فينا الإحساس نفسه ، ولا حرج على الناقد أن يلجأ لمثل تلك النظرات ، والأحكام إذا صدرت عنه مميزة واضحة المعالم والقسمات ، ومن الظواهر البارزة في هذا المضمار أن أبا الوليد تعرض لفن المدح بشكل ينم عن ميوله وإعجابه بما درج عليه بعض الشعراء الأندلسيين من التجديد في شكل القصيدة ومقدمتها ، وذلك باستبدال المقدمة الطللية المألوفة التي تصف الأطلال وما حولها بمقدمة روضية

(١) المصدر السابق ١٣٦ .

(٢) المصدر السابق ١١٩ .

(٣) المصدر السابق ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ٩٤ .

(٥) المصدر السابق ١٥٠ .

تصف الروض ، ومايتجلى فيه من مباهج الأشجار والأزهار ، والأنهار والأطيار ، ثم يخلص الشاعر من ذلك الوصف الى المدح ، وذكر مناقب الممدوح بشيء من الربط بينهما وبين مايتجلى في الرياض من صفات الجمال والحسن ، ويتجلى اهتمام أبى الوليد بهذا المسلك في حرصه على إيراد نماذج متعددة له ، مع الإشادة والإعجاب بها في أكثر من موضع من كتابه البديع منها ما جاء في الأبيات التي قالها أبو عمر بن يوسف بن هارون يمدح الوزير ابن بلشّر إذ يقول :

على روضة قامت لنا بدرانك	وقام لنا فيها الذباب بمسمع
كأن السحاب الجون أعرس بالثرى	فلاح شوار الأرض في كل موضع
رياض يضاحكن الغزالة بعد ما	بكت فوقها عين السماء بأربع
كأن سرور الأرض حزنُ سحابها	إذا ما بكت لاحت لنا في تصنّع
حبائب لا يسمحن إلا بلحظة	وشمة أنف للمحب الممتع
بدائع ما أهدى الوزير بيانه	إلى صكّه إلا أتانا بأبدع

ويظهر أبو الوليد إعجابه بهذا المسلك فيقول : (شبه ممدوحه بالربيع في حسن منظره ، وجمال مخبره ، ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مفضل له مستحسن منه) (١) وكذلك الشأن في صنيع أبى عمر الرمادى الذى مدح ابن القرشية بأبيات منها :

تأمل بأثر الغيم من زهرة الثرى	حياة عيون متن قبل التنعم
كأن الربيع الطلق أقبل مهديا	بطلعة معشوق إلى عين مغرم
وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا	مفاخرة جاءت بأسنى وأكرم
بعبد العزيز بن الخلائف والذى	جميع المعالى ينتمى حيث ينتمى

ولم يفت أبو الوليد أن يلفت النظر إلى حسن تصرف الشاعر في الانتقال من وصف الربيع والمفاخرة بين الأرض والسماء إلى المدح ، وربط ذلك بما سبق من معانى المدح ، وذلك حين يقول : (ودخوله في هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعانى التي سبق فيها ، واستولى على الأمد بها) (٢) .

(١) البديع ١٢ .

(٢) المصدر السابق ١٥ .

وكأنه يمثل بذلك الاتجاه المحافظ المجدد في شكل القصيدة ومقدمتها عند الأدباء الأندلسيين حينما جنح كثير منهم إلى استهلال قصائد المدح بمقدمات يصفون فيها مظاهر الطبيعة بدلاً من المقدمات الطللية ، وقد أبدى ارتياحه لذلك أكثر من ناقد أندلسي غير أبي الوليد ، فهذا ابن حزم يفصح لنا في أبيات له عن استهجانه لطريقة من يقفون على الديار ، ويتباكون على الدمن حين يقول :

خل هذا وبادر الدهر وأرحل في رياض الرى مطى القفار^(١)
واحدها بالبديع من نغمات الـ عود كيما تحث بالمرمار
إن خيراً من الوقوف على الدا ر وقوف البنان بالأوتار
وبدا النرجس البديع كصب حائر الطرف مائلا كالمدار
لونه لون عاشق مستهام وهو لاشك هائم بالبحار

فابن حزم في هذه الأبيات ينحو باللائمة على من يقفون بالديار والدمن من الشعراء ، ويفضل في ذلك طريقة أخرى هي وقوف البنان بالأوتار ، ثم نراه يأخذ في وصف بعض مظاهر الطبيعة من نرجس وبهار ، مما يشعرنا بالرغبة في وصف مثل هذه المظاهر التي تضيئ الأنس والسرور والانشراح على النفس بدلاً من وصف مظاهر الدمن والديار المقفرة ، ولكي لا يدع مجالاً لمن تسول له نفسه أن يتوهم فيه من خلال أبياته تلك أموراً لم تدر في خلدته نراه يلفظ موقفه بشيء من الاعتذار فيقول معقبا عليها : (معاذ الله أن يكون نسيان مدارس لنا طبعاً ، ومعصية الله بشرب الراح لنا خلقا ، وكساد الهمة لنا صفة ...) ثم يؤكد إعجاب بعض السامعين بمسلكه في أبياته السابقة فيقول : (ولقد أنشدتها بعض إخواني من أهل الأدب ، فقال سروراً بها يجب أن توضع هذه في جملة عجائب الدنيا) (٢) .

(١) طوق الحمامة ١١٤ .

(٢) المصدر السابق ١١٤ .

٤ - الموازنات الأدبية :

جاءت الإشارة إلى الموازنات الأدبية عند أبي الوليد على صورتين : صورة تعتمد على شيء من الإيضاح أشبه مايكون بالموازنة المعللة التي انتهجها الأمدى من قبل أسلوباً له في الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحترى ، وسجلها في كتابه الموازنة الذي يعد كما يقول الدكتور إحسان عباس (قمة في تاريخ النقد العربي بما اجتمع له من خصائص ، لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سداجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح ، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني ، والألفاظ ، والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة) (١) ونجد هذه الصورة في الموازنات عند أبي الوليد ماثلة فيما عقده لما وقع للنواوير من تفضيل وتغليب ، أو جرى بينها من تفاضل وتفاخر ، وأورد من ذلك قصيدة لأبي عثمان بن سعيد بن فرج الجياني ، مطلعها (٢) :

عنى إليك فما القياس الفاسد إلا الذى أدى العيان الشاهد

وهو يرد بها على ابن الرومى فى قصيدته الدالية ومطلعها :

خجلت حدود الورد من تفضيله خجلاً توردها عليه شاهد

وبعد أن سرد أبو الوليد قصيدة الجياني راح يوازن بين بعض أبياتها وأبيات أخرى من قصيدة ابن الرومى ، ونراه يميل إلى جانب الجياني ، ويفضل ما جاء به على ما يوجد عند نظيره مع شيء من الإيضاح للصورة لدى الطرفين تعزيراً لموقفه فى الاستحسان والتفضيل ، ويبدو ذلك جلياً فى تعقيبه على قصيدة الجياني بقوله . « قوله : ولمن يكون الفضل فى حكم العلا . البيت رد على قول : ابن الرومى : شتان بين اثنين هذا موعِد . بتسلب الدنيا وهذا واعد ورد الجياني عليه مقنع ، لأن الموعود به أجل من النذير الواعد عنه ، وقوله

(يبنى خيار الناس) البيت رد على قوله :

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ١٥٧ .

(٢) البديع ٧٤ .

(٣) ديوان ابن الرومى (٦٤٣/٢) .

وإذا احتفظت به فأمّتع صاحب ببقائه لو أن حيا خالد
لأن البهار يبقى بنضرته أياماً ، الورد أسرع ذبولاً ، وقول الجياني (وجعلت للأسماء
حظاً زائداً) رد على ابن الرومي في قوله :

اطلب بعيشك في الملاح سميه أبداً فإنك لا محالة واجد

جعل من محاسنه التسمي به عندهم ، فترجس في أسمائهم كثير ، وذلك
لا حجة له ولا عليه ، وقوله (لو أن فعلاً للكواكب في الثرى) الأبيات رد على بيتي
ابن الرومي وهما :

هذي النجوم هي التي رتّهما بجيا السحاب كما يرى الوالد
فانظر إلى الأخوين من أدناهما شبا بوالده فذاك الماجد

(شبه البهار بالنجوم) (١) :

أما الصورة الثانية من صور الموازنات عند أبي الوليد ، فهو يطلق فيها الحكم
في تفضيل نص على آخر لمجرد الاستحسان والإعجاب الذاتي الذي يصدر فيه غالباً
عن ذوق شخصي ، وعباراته التي يطلقها في مجال التفضيل توحى بذلك ، فمرة نراه
يورد أبيات الشاعر ، ثم يتبعها بأخرى يحس بأنها أفضل ، وأحسن من سابقتها كما
صنع حينما ذكر أبيات أبي عمر القسطلي ومطلعها :

أعاره النرجس من لونه تفضلاً وازداد من طيبه

وجاء بعدها بأبيات أخرى لأبي الحسن بن علي واستهلها بقوله : (وأحسن
من هذا قول الفقيه أبي الحسن بن علي) (٢) وذكر الأبيات .

وكذلك الشأن في الأبيات التي ذكرها لأبي بكر عبادة بن ماء السماء ، ثم
أورد بعدها أبياتاً للفقيه أبي الحسن بن علي وصفها بأنها (أحسن منها مجتلي ، وأطيب

(١) البديع ٧٦ .

(٢) المصدر السابق ١١٨ .

مجتنى في هذا المعنى (^١) وحينما يخرج بالترفضيل عن مجرد الاستحسان الى ماهو أبعد من ذلك إلى الإبداع والطبع ، فحينما ذكر لأبي بكر بن القوطية بديع ما أنشده إياه من قصيدة مطلعها :

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره وأحضر شاربهِ وطر عذاره
نجده يتبعها بأبيات له أيضا ويصفها بقوله (وأبدع من هذا وأطبع ما أنشدنيهِ
أيضاً لنفسه) (^٢) ويلاحظ هنا أن المفاضلة لم تجر بين شاعرين ، وإنما جرت بين مقطوعتين مختلفتين قاهما شاعر واحد .

وتارة نراه يكتب في التفضيل بعبارة تشعر بارتياحه للمقطوعتين ، أو النصين لتلاقيهما ، وتشابههما في الرقة والدقة على نحو ما حدث عند ذكره بيتين لدى الوزارتين القاضي ابن عباد في وصف الياسمين ، ثم أتبعهما بيتين آخرين له وصدرهما بقوله (ومما يوازيه دقة ، ويضاهيه رقة قوله) (^٣) ونجد مثل هذا أيضا فيما ذكره لأبي بكر ابن القوطية من أبيات مطلعها :

لما رأى العام زمان الريد مع الطلق قد نشر عرف الكبا
ثم ذكر له قطعة أخرى قدّم لها بقوله : (ومما يوازي هذه القطعة رقة ويشاكلها دقة قوله ...) وذكر الأبيات (^٤) . وفي مجال الموازنة بين نص وآخر في بابهِ وموضوعه ووزنه وقافيته نقف لأبي الوليد على أحكام جريئة تتسم بالتعميم المطلق الذي يتعد عن الموضوعية ، بل يجعل الحكم مرفوضاً غير مقبول ، ويتجلى ذلك فيما مهد به لأبيات أبي عبد الملك الطليق بقوله : قال أبو عبد الملك الطليق ، وهو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله يصف الورد والبحار في قصيد مشهور له لم يصنع بعده ولا قبله على عروضه وقافيته ما يوازيه جمالاً ، ولا يضاهيه كمالاً ، والصف بعد صدر في سواه :

(١) المصدر السابق ٢١ .

(٢) المصدر السابق ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٩٣ .

(٤) المصدر السابق ٢٥ .

وكأن الورد يعلوه الندى وجنة المعشوق تندى عرقا
يتفقى عن بهار فاقع خلته بالورد يطوى ومقا
كالمحبين الوصولين غدا خجلاً هذا وهذا فرقا
يالها من أنجم فى روضة قد ترفت من رياه أفقا
ودنت منها إلى شمس الضحى حدق للنور تصبى الحدقا (١)

ولا شك أن الصورة البيانية التى اشتملت عليها الأبيات فيها ملامح جمالية تدعو إلى الإعجاب ، وتستحق الإشادة غير أن أبا الوليد قد خرج فى وصفها عن حد الاعتدال والمعقول إلى المبالغة والمغالاة المرفوضة حينما زعم أنه لم يصنع مثلها من قبل ومن بعد ، وهنا نتساءل هل استقرئ أبو الوليد كل ما قيل فى هذا الباب من الشعر وأحاط به ، وإذا صح ذلك فيما قيل قبل تلك الأبيات فمن أين له الاستقراء لما لم يقل ، والحكم عليه .

٥ - الألفاظ والمعاني :

وفى هذا المجال نرى أبا الوليد يوجه ، ويقترح باستعمال بعض الألفاظ والصيغ ليُستكمل بها المعنى وينجلى ، ويكون أكثر دقة ودلالة على اكتمال الصورة ، وذلك ينم عن مدى وعيه بالحاجة إلى استعمال الألفاظ الموحية والمعبرة عن الغرض ، فهو حينما ذكر أبياتا لأبى بكر بن نصر فى وصف نواوير عديدة استوقفه بيت منها هو قوله :

ومن نرجس نضر يروقك دره وياقوته السامى به وزبر جده

ولم يمر به دون أن يعلق عليه قائلا : (ومن نرجس يعنى البهار ، وصفته على ذلك دالة ، وياقوته السامى ، لو أمكنه أن يذكر لونه ، فيقول : المصفر ، أو نحوه لكان أتم إذ أن لوان اليواقيت كثيرة لكنه اكتفى بشهادة الموصوف ، وهذا للشعراء

(١) المصدر السابق ٣٩ .

كثير) (١) ويشعرنا في موطن آخر أن بعض الألفاظ قد يكون استعمالها مستحسناً في موضع إذا استعملت مع ما يناسبها ، وقد لا تكون كذلك في موضع آخر ، فأبو الحسن بن علي الفقيه عندما استعمل كلمة « قَضَفَا » في قوله :
شكت قَضَفَاً بين النواوير فاتقت وجاءت إلى غدرانها تستبحيرها

كان موفقاً في نظر أبي الوليد إذ أن القَضَفَ بمعنى الرقة ، وهو تلميح مليح في صحبتها العُدْر ، وربما كانت في غيرها) (٢) وأحسن أبو الوليد بحسن التصرف في استخدام الألفاظ للدلالة على المعاني الدقيقة التي لا تبرز لأول وهله ، وإنما تدرك بشيء من التأمل ، فأبو عمر أحمد بن دراج القسطلي قد أحسن وأبدع وأغرب واخترع في قوله يصف السوسن .

إن كان وجه الربيع مبتسماً فالسوسن المجتلى ثناياه
ياحسنه سِنَّ ضاحك عقب بطيب ريا الحبيب رياه
خاف عليه الحسود عاشقه فاشتق من ضده فسماه

وسر ذلك مقدرة ابن دراج على استعمال الألفاظ المعبرة التي يتألف منها معنى دقيق إذ أن قوله : (خاف عليه الحسود ... البيت يعنى أنه سماه سوءاً وهو حسن خوف العين والحسد ، وهو تلميح مستحسن) (٣) .

كما أشار إلى بعض المعاني المخترعة التي تثير إعجاب الأدباء والشعراء .

* * *

(١) البديع ٥٧ .-

(٢) المصدر السابق ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق ١٣٦ .

المبحث الرابع كتاب البديع عرض وتحليل

١ - تمهيد حول المختارات الأدبية في الأندلس :

لقد وجد الشعر في بلاد الأندلس أرضاً خصبة تحوطه بالرعاية والعناية منذ وقت مبكر ، ومع بداية الفتح الإسلامي سنة ٩٢ حيث كانت قرطبة مركزاً هاماً من مراكز إشعاع العلم والمعرفة ، وفي جامعتها المشهور يلتقى العلماء والأدباء والشعراء من كل حذب وصوب ، وقد كان لذلك ثمار يانعة إذ كان التقاء الأدباء والعلماء من المشرق بالأندلسيين له أثر واضح في تنمية الحركة العلمية والأدبية ولاسيما في عهد عبد الرحمن الداخل وما أعقبه ، إذ بدأت تنشط الرحلة إلى المشرق للقاء العلماء والأدباء والرواة ، فمن ذلك أن أبا موسى عبد الرحمن بن موسى الهلوي رحل إلى المشرق ، والتقى في العراق بالأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري ، وغيرهما من الرواة ورجع إلى الأندلس ^(١) ومثله معاصره الغازي بن قيس (ت ١٩٩) الذي التقى في رحلته إلى المشرق بالأصمعي ونظرائه ، وشهد تأليف مالك للموطأ ، وهو أول من أدخله إلى الأندلس ^(٢) ، ولا شك أن اللقاء بمثل أولئك الرواة المشهورين للشعر كان له أثره في تنشيط الحركة الأدبية وجانب الشعر منها على وجه الخصوص ، ولا يفوتنا في هذا الصدد أن ننوه ببعض الحكام الأمويين في الأندلس الذين كانوا يقربون الشعر ، ويولعون به ، ولديهم اطلاع على دواوين القدامى من الشعراء ، ولهم صلوات ومعرفة بمن عاصروهم من الشعراء العباسيين ، وقد اتسعت دائرة الاتصال بين الأدباء في المشرق والأندلس في أوائل القرن الثالث إذ نجد الأديب الشاعر عباس بن ناصح الثقفي (ت ٢٣٨) يتعرف بأبي نواس في رحلته إلى المشرق ، ويجتمع به ، ويقر بفضلته عليه ^(٣) ، وكذلك رحل الأديب الشاعر عثمان بن المثني القيسي (ت ٢٧٣) إلى المشرق ، ولقى

(١) بغية الوعاة (٩٠/٢) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٠/٢) .

(٣) انظر المغرب (٣٢٤/١) والرحلة السيرة (٨/١) وبغية الوعاة (٢٨/٢) .

جماعة من رواة الغريب ، وأصحاب النحو والمعاني ، وأخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وغيره ، وقرأ على أبي تمام ديوان شعره ، وأدخله إلى الأندلس (١) ولا جرم أن مثل هذا الصنيع من علماء الأندلس يعد مؤشراً كبير الدلالة على حرص الأندلسيين وتعلقهم بالتعرف على آثار المشاركة من الشعراء ورواة اللغة والأدب ، ولا بد أن الأندلسيين قد وعوا حركة الشعر وتدوينه لدى المشاركة بمناحيها المتعددة حيث عنى جماعة بجمع الأراجيز كالأصمعي ، واتجه آخرون إلى جمع ديوان شاعر بعينه ، أو شعر قبيلة بعينها ، واشتهر بذلك جمهرة من الرواة العلماء كأبي عمرو الشيباني ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ومحمد بن حبيب ، ويعقوب بن السكيت ، وأبي العباس ثعلب ، وأبي سعيد السكري ، وابن الأعرابي ، وأخذت المختارات الشعرية في الظهور ، ولعل أقدم ما وصل إلينا منها تلك المجموعة التي عرفت بالمفضليات للمفضل بن سلمة الضبي المتوفى سنة (١٧٨) اختار فيها قصائد مطولة بلغت ستا وعشرين ومائة قصيدة لسبعة وستين شاعراً جلهم من الشعراء الجاهليين ، وقلة منهم مخضرمون وإسلاميون ، وحول محتواها دار نقاش طويل إذ المعتقد أن الأصمعي زاد فيها مما أدى إلى الاختلاط بين روايتي المفضل والأصمعي ، وقد قام محققا المفضليات بجهد واضح ملموس في الكشف عن هذه الناحية الهامة (٢) ، ثم وضع الأصمعي اختياره المعروف بالأصمعيات على غرار المفضليات ، ولم يمض زمن طويل إلا وبين أيدينا لون جديد من الاختيار يسير على تبويب الشعر حسب المعاني ، ويعتبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رائد هذا اللون في حماسته التي قسم فيها الشعر المختار على عشرة أبواب هي باب الحماسة ، فالمراثي ، فالأدب ، فالنسيب ، فالهجاء ، فالأضياف والمدح ، فالصفات ، فالسير والنعاس ، فالملح ، فمذمة النساء ، وقد فتح أبو تمام بذلك باباً جديداً في الاختيار ، وسار على نهجه ، واقتفى أثره فيما بعد كثير من الأدباء والشعراء

(١) انظر تاريخ علماء الأندلس (٣٤٦/١) وبغية الوعاة (١٣٦/٢) .

(٢) انظر مقدمة المفضليات ١٠ ، وما بعدها ، وانظر كتاب مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٥ .

الذين راحوا يؤلفون مختارات شعرية ، وحماسات على غرار حماسته (١) ، ثم تناولت المختارات الشعرية والنثرية ، ومن أبرز من جمع بين النثر والشعر كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥) والكامل للمبرد (ت ٢٨٥) ، ولا ريب أن لهذه الحركة أثرها الواضح في بلاد الأندلس ، ويتجلى لنا ذلك بشكل بارز فيما قام به ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧) حينما ألف كتابه الموسوعي العقد الفريد الذى مثل فيه أدب المشرق أصدق تمثيل حتى أن الصاحب بن عباد لما وصل إليه العقد وقرأه قال عبارته المشهورة (هذه بضاعتنا ردت إلينا ظنننا أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم ، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا ولا حاجة لنا فيه) (٢) .

ولا ننسى أن نذكر صنيع أبى على القالى (ت ٣٥٦) الذى أملى من حفظه بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء كتابه الأملى الذى صنعه على غرار كتاب الكامل للمبرد ، ونقل به قدراً كبيراً من أدب المشاركة إلى الأندلس ، وكذلك صنيع صاعد بن الحسن الربيعى (ت ٤١٠) الذى ورد من المشرق إلى الأندلس فى أيام هشام بن الحكم ، وألف كتابه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبى على القالى (٣) ولم يدم الأمر على هذا المنوال إذ نجد من أدباء الأندلس وعلمائها من يمثل تياراً آخر مضاداً لتيار العناية بأدب المشاركة ، حينما راح كثير منهم يكرس جهوده للعناية بآثار أدباء الأندلس شعراً ونثراً ، والعمل على جمع شتاتها ومهما يكن من أمر فإن بلاد الأندلس أصبحت مرتعا خصبا ومورداً ثراً للشعر والشعراء ، ونبغ منها فى مختلف العصور شعراء مجيدون ، واتجه بعض ملوك الأندلس إلى الشعر ، ومالوا إليه ، وأصبحوا محط أنظار الشعراء على نحو ما حدث من بنى عباد كما عرفنا ، ولم يغفل الأندلسيون عن آثارهم فى الشعر إذ قام بعضهم برصد حركة الشعر فى مؤلفات يترجم فيها

(١) انظر الحديث عن الحماسة مفصلاً فى كتابنا (حماسة أبى تمام وشروحها دراسة وتحليل) الطبعة الأولى .

(٢) معجم الأدباء (٢١٥/٤) .

(٣) جذوة المقتبس ٢٤٠ .

للشعراء الأندلسيين ، ويذكر نماذج من شعرهم ، كما صنع كل من عثمان بن ربيعة (ت ٣١٠) في كتابه طبقات الشعراء بالأندلس (١) ، وعثمان بن سعيد حرقوص الكنانى فى كتابه شعراء الأندلس (٢) ، وأبى محمد قاسم بن نصير المعروف بابن أبى الفتح (ت ٣٣٨) فى كتابه الشعراء من الفقهاء بالأندلس (٣) ، وأبى محمد محمد ابن عبد الرؤوف الأزدي (ت ٣٤٣) فى كتابه شعراء الأندلس (٤) ، ومحمد بن هشام ابن سعد الخير (ت ٣٥٠) فى كتابه أخبار الشعراء بالأندلس ، وعبادة بن ماء السماء (ت ٤٢١) فى كتابه أخبار شعراء الأندلس (٥) وغير ذلك من المؤلفات التى تؤكد مدى حرص الأندلسيين على إبراز مآلديهم من حصيلة ثرة من الشعر والشعراء ، كما تؤكد أن الأندلس قد قطعت شوطاً بعيداً المدى فى هذا المضمار منذ بدايات الفتح الإسلامى إلى أواسط القرن الخامس الهجرى ، ولم تقف عناية الأندلسيين بآثارهم الشعرية عند هذا الحد بل إننا نجد من الأدباء الأندلسيين من أخذتهم النخوة ، والاعتزاز بآثارهم فى معترك الصراع والتنافس بينهم وبين المشاركة فعمدوا إلى انتخاب قصائد ومقطوعات شعرية لمجموعة من الشعراء الأندلسيين فقط ، تأتى غير مبوية حيناً ، ولا تخص غرضاً بعينه ، وتبوب أحياناً على عدة أغراض حسب المعانى ، أو قد تخصص لغرض واحد معين ، فمن الضرب الأول نجد ما قام به أبو محمد عبد الله بن محمد بن الصفار (ت ٣٥٢) حينما جمع فى مجلد واحد أشعار الأمويين بالأندلس بتكليف من الحكم الثانى ليكون بإزاء مختارات الصولى من أشعار بنى العباس (٦) ، ومن الضرب الثانى نجد كتاب الحدائق لأبى عمر أحمد بن فرج

(١) جذوة المقتبس ٢٨٦ ، ومعجم الأدباء (٣٢/٥) .

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (٣٤٦/١) .

(٣) المصدر السابق (٤٠٦/١) .

(٤) المصدر السابق (٦٤/٢) .

(٥) جذوة المقتبس ٢٧٤ .

(٦) جذوة المقتبس ٢٣٥ ، وهدية العارفين (٤٤٦/١) .

الجيانى (ت ٣٦٧) وهو من المختارات الأندلسية المشهورة التى لم تصل إلينا ، ولا نعرف منه سوى مايتناثر فى بعض المصادر التى تنقل عنه ، وقد قصد من تأليفه إلى أن يكون مقابلاً لكتاب الزهرة الذى ألفه أبو بكر محمد بن داود الأصفهانى (ت ٢٩٦) غير أنه اقتصر فيه على أشعار الأندلسيين بخلاف صاحب الزهرة الذى شحن كتابه بأشعار المشاركة ، واشتمل كتاب الجيانى على مائتى باب فى كل باب مئتا بيت لشعراء أندلسيين فقط ، وأهداه للحكم المستنصر ^(١) ، على أن هذا الكتاب قد فتح باب الاختيار للأدباء الأندلسيين وأفاد كثير منهم مما جاء فيه من مادة شعرية ثرة لشعراء الأندلس ، ولعل أبا عبد الله محمد بن الحسين الكتانى (ت ٤٢٠) صاحب كتاب التشبيهات من أشعار الأندلس واحد منهم ، وربما صح ذلك على كتاب مماثل لمؤلف معاصر للكتانى هو أبو الحسن على بن محمد بن الحسين الكتانى (ت ٤٣٠) الذى ذكر له الحميدى كتاباً فى التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ^(٢) ، وينقل عنه ابن الأبار فى أكثر من موضع ويسميه (الفرائد فى التشبيه من الأشعار الأندلسية) ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، أما كتاب الكتانى فقد طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، وعرفنا منه أن الكتانى قد قسم كتابه على ستة وستين باباً ، ويتناول فى كل باب موضوعاً معيناً يورد فيه نماذج من التشبيهات المختارة للشعراء الأندلسيين من ذلك - مثلاً باب من التشبيهات فى السماء والنجوم والقمرين ، باب فى السماء والمطر ، باب فى الربيع والزهر ، باب فى الورد ، باب فى الحسن ، باب فى البكاء ، باب فى الشتاء والصقيع ، باب فى السراب ، باب فى السيوف ، باب فى الحرب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتوح ، باب فى الجود ، باب فى الثقلاء ، باب فى الشيب والهزم ، باب فى ذم الدنيا ، وذكر الموت ، وغير ذلك من

(١) انظر حول كتاب الحدائق : جذوة المقتبس ١٠٤ ، ١٠٥ ، وفصائل الأندلس لابن حزم ١٦ والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٢ ، ١٣ ، ونقل عن ابن حزم أنّ مؤلفه أحسن الاختيار ماشاء ، وأجاد ببلغ الغاية .

(٢) جذوة المقتبس ٢٩٠ .

(٣) الحلة السيرة (١/٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٦٠) .

الأبواب ، وتأتى أهمية كتاب الكتانى التشبيهات من حيث إنه يعد من أوفى المجموعات الشعرية التى تشمل الفترة الواقعة ما بين عصر بنى أمية حتى أواخر الفتنة البربرية إلى حوالى سنة ٤٢٩ على وجه التقريب ، وهى فترة مهمة فى تاريخ الأدب الأندلسى لم يصلنا من داودين شعرائها سوى النزر اليسير ، وماعدا ذلك فليس لدينا سوى قصائد ومقطوعات وأبيات متناثرة فى كتب الأدب والموسوعات الأدبية .

أما الضرب الثالث من المختارات التى تمحضت لغرض واحد معين فنجد من أبرزها كتاب البديع فى وصف الربيع للكاتب الوزير الشاعر أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميرى الملقب بحبيب العامرى الأشبيلي (ت ٤٤٠) وسيأتى الحديث مفصلاً عنه فى موضعه ، ويبدو أن أبا الوليد لم ينفرد بالتأليف فى هذا الموضوع بل نجد هناك من سبقه ، أو لحقه فألف على غراره من مثل كتاب حديقة الارتياح لأبى عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة (ت) ذكر فيه ما مثل فى الرياض والبساتين والنواوير^(١) وأشار المقرئ فى نفع الطيب إلى كتاب فى الأزهار والأنوار رآه واطلع عليه ونقل عنه ولم يذكر اسم مؤلفه^(٢) .

٢ - عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه :

النسخة المطبوعة من الكتاب فى طبعها الأولى بعناية هنرى بيريس عام ١٣٥٩ جاءت تحمل اسم (البديع فى وصف الربيع) ويبدو أن المخطوطة الوحيدة للكتاب ، والمحفوطة فى مكتبة الأسكوريال ليس فيها أثر لصفحة العنوان ، وربما سقطت منها هذه الصفحة ، إذ أن الصورة التى بين أيدينا عنها ليس فيها شئ من ذلك بل بدأت مع الورقة الأولى التى تحمل مقدمة المؤلف والتى لم نجد فيها إشارة صريحة عن اسم الكتاب سوى مايدل على موضوعه وهو وصف الربيع ، ومافيه من

(١) جذوة المقتبس ٦٥ .

(٢) نفع الطيب (١٥/٣) .

أزهار وانوار ، غير أن في آخر المخطوطة وردت عبارة (تم كتاب البديع في وصف الربيع بحمد الله وعونه) وفي ثناياه جاءت عبارة مماثلة أيضاً حينما قدم المؤلف لبعض المقطوعات بقوله (ومن البديع في وصف الربيع) ولعل ذلك هو ما حمل الناشر إلى أن يضع هذا الاسم عنواناً للكتاب ، غير أننا نجد له اسماً مشابهاً في المصادر التي أشارت إليه إذ ذكرته باسم (البديع في فصل الربيع) وفي تقديري أن العنوان الأولى هو العنوان المناسب ويترجح عندي ذلك للأسباب التالية : -

١ - ماورد في آخر المخطوطة من الإشارة إلى اسم الكتاب على أنه البديع في وصف الربيع .

٢ - العبارة التي وردت في ثنايا الكتاب ، والتي توحى بهذا العنوان وهي قول المؤلف في التقديم لبعض المقطوعات (ومن البديع في وصف الربيع) مختارات من الشعر والنثر في وصف الربيع ومظاهره ، ويبدو ذلك من ترديد ما يوحى باستهداف الوصف في مستهل مقدمته للكتاب حين قال في معرض الأشادة بالربيع ومباهجه (وفصل الربيع آرج وأبهج ، وآنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته) وقال أيضاً (وهو مع هذه الصفات الرائعة والسماة الشائعة والآلات الفائقة لم يعين بتأليفه أحد ، أو انفرد لتصنيفه منفرد)

ومن الثابت أن الكتاب لأبي الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر الحميري الأشبيلي ، فقد تواتر ذكره في جل المصادر الأندلسية المعتبرة مسنداً إليه على أنه من تأليفه كما جاء عند كل من الحميدى في جذوة المقتبس ١٦٢ ، وابن بسام في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٢٥ ، والضبي في بغية الملتبس ٢١٣ ، وابن سعيد في روايات المبرزين ٣٩ ، وفي المغرب (٢٥٠/١) وابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة (١٨٠/١) والحلة السيرة (٢١٠/١) والمقرى في نفع الطيب (٤٢٧/٨) .

٣ - سبب تأليف الكتاب ومضمونه وموضوعه :

من عنوان الكتاب ومقدمته يظهر لنا أن المؤلف قصد به إلى أن يكون ضرباً

من المختارات الشعرية والنثرية في موضوع بعينه ، وهو فصل الربيع ، ومايرفل به من مظاهر الجمال في أزهاره ، وأنواره الفواحة بأطيب أريج ، والمبهجة والمؤنسة لكل نفس ، وقد لاحظ المؤلف تعلق الأندلسيين ، وهو واحد منهم بطبيعة بلادهم ، وماتعج به من مظاهر الجمال والروعة في حدائقها الغناء ، وجنانها الفيحاء التي أكسبتهم رقة المشاعر والأحاسيس ، وغرست في نفوسهم حب التنزه في البساتين والحدائق للتمتع بما فيها من روائع الزهور ، والأنوار التي تثير في ذوى المواهب المرهفة الإحساسَ بالجمال ، فيجرى الشعر على ألسنتهم عذبا سائغا ، يصفون ما شاهدوه من مجالى الربيع في طبيعة أرضهم الخصبه الفاتنة ، وكان لهم من ذلك نصيب وافر من الأدب الرفيع ، والشعر البديع ، غير أن العناية لم تتجه إلى جمع شتاته في مؤلف مستقل ، مما دفع أبو الوليد إلى أن يقوم بهذه المهمة ، ويفصح عن ذلك بقوله : (فإن أحق الأشياء بالتأليف ، وأولاها بالتصنيف ماغفل عنه المؤلفون ، ولم يعن به المصنفون ، مما تأنس النفوس إليه ، وتلقاه بالحرص عليه ، وفصل الربيع أرج ، وأبهج ، وآنس وأنفس ، وأبدع وأرفع من أن أجد حسن ذاته ، وأعد بديع صفاته ... وهو مع هذه الصفات الرائقة ، والسماة الشائقة ، والآلات الفائقة لم يعن بتأليفه أحد ، ولا انفرد لتصنيفه منفرد ، قلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمنا ذلك الباب) (١) ، وإذا تابعنا المؤلف في المقدمة يتبين لنا أمور أبرزها :

١ - أن الدافع الذى سبقت الإشارة إليه لم يكن هو الدافع الوحيد لتأليف الكتاب بل هناك دافعان آخران ، أحدهما وأهمهما أن المؤلف قصد بكتابه إبراز مواهب الأدباء الأندلسيين ، ومقدرتهم الفائقة في مجال الشعر والنثر ، ولا سيما ما يخص وصف مظاهر الطبيعة حيث لهم في ذلك روائع لا تجارى ، ولا يلحقهم فيها لاحق أو سابق من أدباء المشرق حسب تقديره ، وهو بذلك يدلى بدلوه في معترك التنافس بين أدباء المشرق والأندلس ، حيث كان تيار الدعوة إلى تحديد الذات

(١) البديع ٣ .

الأندلسية ، وإثبات شخصيتها قائماً على أشده في عصر المؤلف لدى بعض الأدباء وهو واحد منهم ، ولعله لهذا قصر كتابه على أدباء الأندلس وحدهم دون غيرهم ، وبالغ في اعتقاده بتفوقهم في هذا الباب على غيرهم من أدباء المشرق ، وعبر عن ذلك بقوله: (ولست أودعه إلا ما أذكر لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى إذ أوصافهم لم تتكرر على الأسماع ، ولا كثر امتزاجها بالطباع ... ، وأما أشعار المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر إليها حتى ماتميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العلق النفيس مع أنى أستغنى عنها ، ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتدع ، والنظم المخترع ... ولأهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم ، وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا ، والسبق لنا ، حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ، ويضيفون لحنها إلى لحنها ، لا قلة ميز بها ، بل تخرجاً عن تركها ، ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطريقة لأوردت على الحقيقة أمثال ما أوردت ، وأضعاف ما اجتلبت ، لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم منذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلم جرا لا يجدون لأنفسهم في التشبيهات في هذه الموضوعات ما وجدته لأهل بلدى) (١) ، ولا شك أن في ذلك شيئاً من المغالات ، والمبالغة الواضحة البينة ، ويلاحظ هنا أن أبا الوليد لم ينس في غمرة الإعجاب بالأندلسيين أن يشير في مقدمة كتابه إلى جهود أهل المشرق في جمع أشعارهم ، وتدوين أخبار علمائهم ، واعتراف لهم بالفضل ، والسبق في ذلك ، غير أنه لم يكن راضياً عن طريقتهم التي حرصوا فيها على جمع كل ما يصادفهم من غث وسمين في تقديره ، وليس ذلك عن قلة تمييز ، وإنما حرصاً على الإحاطة في الجمع ، ولو أراد أن يسلك هذا المسلك لجاء بأضعاف مضاعفة لما أورده ، واختاره من شعر الأندلسيين ونثرهم ، ثم جمع القلم بأبي الوليد ، وأخذته التعصب لأبناء جنسه إذ نفى أن يلحق بهم أديب أو شاعر فيما لهم من تشبيهات وموضوعات في الربيع منذ أن تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها .

(١) البديع ٤ .

وأما الدافع الآخر فيظهر في رغبة أنى الوليد في التقرب إلى ذى الوزارتين القاضى ابن عباد ، وابنه الحاجب ، وإشباع رغبتهما وميولهما إلى مثل هذا اللون من الأدب لما عرف عنهما من حب وتقدير وتشجيع للأدب والأدباء ، فقد أرجع إليهما الفضل في صنيعه حين قال : (الفضل في هذا الصنع الجميل لذى الوزارتين القاضى الجليل المنقطع المثيل ، ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثره عباد ، ورحمة الله على العباد مولى وسيدى أبقاهما الله سترأ على ، فهما اللذان أقامت مُقعدَ الهمم يُد اهتبالهما ، وأمطرت أرض الفطن سماء أفضالهما فدرت الدرر من تلك الفكر التى يسعيان لتحصين مرادهما ، وتحسين مرادهما ... ، ولولاها أطل الله بقاءهما ، وأدام اعتلاءهما ما انفردت لهذا التأليف ، ولاشغلت فكرى بهذا التصنيف ، ولا منيت نفسى به) (١) ، وإذا انتقلنا من المقدمة إلى مضمون الكتاب نجد أن المؤلف فيما يتعلق بوصف الربيع لم يقتصر على المختارات الشعرية فقط ، بل أورد فيه مختارات فى النثر أيضا ، غير أن الشعر كان له النصيب الأوفى ، ذلك لأن المؤلف قد أورد من الشعر ما يقرب من أربعين ومئتي مقطوعة (٢٤٠) فيما يقرب من عشرين وأربعمائه وألف بيت من الشعر (١٤٢٠) لمجموعة من شعراء الأندلس من أبرزهم : الوزير أبو عامر ابن مسلمة والقاضى ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن عباد ، وابنه إسماعيل بن محمد ابن عباد الحاجب ، وذو الوزارتين أبو عمرو بن عباد ، وأبو الحسن بن على الفقيه ، وأبو بكر بن القوطية ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو عمر بن يوسف بن هارون الرمادى ، وابن عبد ربه الأندلسى ، وأبو عامر المنصور بن أبى عامر ، وابن دراج القسطلى ، ويحى بن هذيل ، وعبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، وأحمد بن محمد ابن فرج الجياني أبو عمر ، وعبد الملك بن سعيد المرادى ، وأبو مروان بن عبد الملك ابن إدريس الجزرى ، وأبو على إدريس بن اليماني ، وعامر بن شهيد ، وعبد الملك بن شهير ، وأبو الأصبع عيسى بن قزمان ، وابن هانىء الأندلسى ، ومن هؤلاء الشعراء من تردد ذكره كثيراً فى الكتاب حيث اختار لهم المؤلف مقطوعات متنوعة فى مواطن

(١) المصدر السابق . ٥ .

متعددة من كتابه مثل الوزير أبى عامر بن مسلمة الذى تردد ذكره سبعاً وعشرين مره ، وتردد ذكر كل من أبى الحسن بن على الفقيه أربعاً وعشرين مرة ، وأبى بكر بن القوطية ثلاثاً وعشرين مرة ، وأبى جعفر بن الأبار ثمان عشرة مرة ، وأبى عمر يوسف ابن هارون الرمادى عشر مرات ، ولا ننسى كل من القاضى ذى الوزارتين أبى القاسم محمد بن عباد الذى تردد ذكره سبعاً وعشرين مرة ، وابنه إسماعيل بن محمد بن عباد الحاجب تردد ذكره اثنتى عشرة مرة ، وأبى عمرو بن عباد ذكره أربع عشرة مرة ، وهذه المواطن غالباً ما يرد فيها ذكر هؤلاء مع بعض المقطوعات التى قيلت من أجلهم ، أو فى مدحهم ، وأقل من ذلك يرد ذكرهم مقروناً بمقطوعات من إنشائهم .

وأما النثر فلم يكن له ما كان للشعر من حظ ونصيب وافر إذ لم نجد منه سوى أربع عشرة رسالة ، أو قطعة نثرية منها رسالة لذى الوزارتين القاضى ابن عباد ، وأخرى لأبى إسحاق بن الحمام ، ورسالتان لعمر بن هشام ، ومثلهما لأبى الوليد العثماني ، ورسالتان أيضاً لكل من أبى مروان عبد الملك بن إدريس الجزرى ، وأبى حفص أحمد ابن برد واحدة منهما رسالة خيالية بديعة مطولة فى المفاضلة بين الزهور شغلت نحواً من سبعة وثمانين سطراً ، وأربع رسائل للمؤلف أبى الوليد منها رسالة خيالية مطولة صاغها على غرار رسالة أبى حفص أحمد بن برد رداً على ماجاء فى رسالته فى تفضيل الورد على البهار وسائر الأزهار ، وهى تعد أطول رسالة فى الكتاب حيث شغلت منه ما يقرب من عشر صفحات ، ونحو خمسة وخمسين ومئة سطر^(١) ، وقد جاءت المقطوعات الشعرية والنثرية التى اشتمل عليها الكتاب لتصف مدحاً - وهو الغالب - أو قدحاً - وهو القليل - مجموعة من الزهور والأنوار وهى مرتبة على حروف الهجاء (الآس ، والأقحوان ، الباقلاء ، البهار ، الجلنار ، الحزم ، والخيرى الأصفر ، والخيرى الثمام ، والسوسن أو السوسان ، والشقائق ، والشفيق ، والظيان ، والورد ، والنرجس الأصفر ، والنسرین ، ونور الرمان ، ونور الغالية ، ونور

(١) سبق الحديث عن هذه الرسالة ودراستها فيما ذكر عن أبى الوليد الكاتب .

الكتان ، ونور اللوز ، والنيلوفر ، والورد والياسمين ، وأكثر هذه الأزهار والأنوار دورانا في الكتاب هو البهار حيث تردد ذكره في اثنين وعشرين موطناً ، ثم النرجس الأصفر في واحد وعشرين موطناً ، ثم الخيري الأصفر في سبعة عشر موطناً ، ومثله البنفسج ، فالأقحوان في ستة عشر موطناً ، فالسوسن في أربعة عشر موطناً ، فالخيري التمام في ثلاثة عشر موطناً ، فالورد في عشرة مواطن ، فالياسمين في ثمانية مواطن ، فالنيلوفر في خمسة مواطن ، وهذا يعكس لنا كثرة ما قيل في هذه الأزهار من شعر ونثر ، ثم يفصح عن مدى الميل من الأدباء إليها والعناية بوصفها لما يتجلى فيها من محاسن وجمال يستوجب ذلك ، وربما كان لتوفر بعضها عن بعض دخل في هذه العناية ، وذلك الاهتمام .

وفي خاتمة الكتاب نبه المؤلف إلى أنه لا يدعى الإحاطة بكل ما قيل في موضوعه ، بل إنه اجتهد في التقصي ، ولا يزال الباب مفتوحاً للمستزيد ، وحسبه أنه أول من ولج هذا الباب ، وأورد منه كل بديع ورفيع ، وإذا كان فيما أورده ما ينقص عن ذلك ، ويتوجه إليه النقد فهو يعلمه ولا يجهره ، وإنما تغاضى عنه لندرته وقد عبر عن ذلك كله في نهاية كتابه بقوله : (هذا ما عثرت عليه وانتهيت البحث إليه ، وإن وقع إليّ بعدُ وصف رائق ، أو معنى فائق ألحقته في هذا الكتاب ، ووضعته بموضعه من كل باب ، والبشر غير معصوم ، ومن بذل جهد نفسه فليس بمذموم ، وحسبي أني قد جمعت من غرائب الأندلسيين ونواديرهم ، وأوردت من فضائلهم ومآثرهم ما يمكن أن يتعمد به ، ويصفح من أجله عما عرض من زلل ، أو وقع من خطل ، وربما أدخلت لأهل عصرى ما يقرب في البديع ، ولا يبعد عن الرفيع فمن نقد ذلك فليعلم أني لم أجهره ، وإنما تحفظت من ناظميه ، وأغضيت لهم على ما فيه ، وليس ذلك إلا في أبيات يسيرة ، وصفات غير كثيرة) .

ويبدو من هذا أن أبا الوليد لم يحاول محاولة جادة في توجيه النقد لما يورده من نصوص شعرية ونثرية بإبراز الوجه الآخر الذي يفصح عن بعض العيوب والأخطاء الفنية ، بل اكتفى بجانب الإعجاب والاستحسان واستجلاء مظاهرها ، ولعله لجأ إلى

ذلك لاعتقاده أنه تخير من النصوص ما يقرب من البديع ، ولا يبعد عن الرفيع ، وإذا كان هناك شيء من العيوب فهو يسير لا يستوجب التنويه في تقديره .

على أن الكتاب حافل بمادة أدبية ثرة من شعر ونثر لفن من فنون الأدب برع فيه الأندلسيون براعة ظاهرة ، وهو فن الوصف ، وقد حوى الكتاب بين دفتيه نصوصاً قيمة في هذا الجانب تفتح أمام الباحثين في الأدب الأندلسي آفاقاً فسيحة ، ومنافذ جديدة لدراسة هذا الأدب الذى لا يزال بحاجة إلى المزيد من التأمل والدرس .

٤ - منهج الكتاب وأبرز سماته وملاحظته الأدبية :

الذى يتأمل الصفحات الأولى من الكتاب يحس أن أبا الوليد يتطلع منذ البداية إلى وضع المنهج السليم الذى ينبغى أن يسير عليه هو وغيره من المؤلفين حينما وجه بقوله : (قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر من الصواب فى الدواوين ، والحذق فى التواليف أن يضاف المثل إلى مثله ، ويقرن الشكل بشكله ، فيقصد الطالب أى معنى شاء فيجد مقصده ، ويعتمد القارئ أى فصل أراد فيلقى معتمده) (١) فهو هنا يهدف إذاً إلى شيء من التنظيم ، والتنسيق لمادة الكتاب على أساس واضح بين يعتمد على تصنيف المادة فى فصول ينحصر كل واحد منها فى جانب معين تتماثل وتتجانس فى داخله المادة المعروضة تسهيلاً للباحثين ، ومن هذا المنطلق قسم كتابه إلى ثلاثة فصول أشار إليها بقوله : (وهذا الباب كثير الفصول غزير الفروع والأصول ، على قلة الوصف له ، والقول فيه ، لكنى رددته إلى ثلاثة فصول ، وقصرته عليها ، وقيدته بها ، فالفصل الأول : القطع فى الربيع التى لم يسم فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع ، الفصل الثانى : القطع التى لم تنفرد بوصف نور بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار ، والفصل الثالث فى القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حدة) (٢) ، ويعد الفصل الأول أقل فصول الكتاب مادة حيث بدأ به وانتهى عند

(١) البديع ٦ .

(٢) المصدر السابق ٦ .

ص ٣٥ ، ويليه الفصل الثاني الذى جاء أكبر من سابقه بدأ من ص ٣٥ - ٨٩ ، أما الفصل الثالث فهو أكبر فصول الكتاب ، وأوفرها خطأً من صفحاته بدأ من ٨٩ - ١٦٣ ، ويبدو أن أبا الوليد أراد أن ينهج نهجاً محدداً فى ترتيب الأزهار داخل الفصل الذى خصصه لما قيل فى نوع بعينه من الزهور والأنوار ، غير أن ملاحظ هذا النهج لم تتحدد عنده تماماً فهو حينما يؤكد على ضرورة البدء بأول الأنوار ، وأبكر الأزهار ، وهو نور البهار نراه يتراجع فىرى تقديم غيره أو تأخيره لاعتبارات أخرى منها :

١ - استمرار بعض الأنوار وبقاؤها على مدار الفصل مما يستوجب تقديمها على الحقيقة كالآس ، والياسمين لذا بدأ بهما ، ووعد بالعودة إلى مبدأ التقديم على أساس زمنى من حيث التبكير فى الظهور ، وعبر عن ذلك فى مطلع هذا الفصل بقوله : (يجب أن نبدأ بأول الأنوار ، وأبكر الأزهار ، وهو من النواوير الربيعية نور البهار ، ولكن ما كان من النواوير باقيا فى كل وقت ، وثاويماً مع كل فصل هو أول على الحقيقة ، وصدر فى هذه الطريقة كالآس والياسمين ، فنبداً بهما ، ثم نذكر النواوير على أزمنتها) (١) .

٢ - قلة ما قيل من الوصف لبعض النواوير المبكرة مما يستوجب تأخيرها وإن كان حقها التقديم على الاعتبار الأول بالنظر إلى زمن الظهور المبكر للأزهار لذلك أخرج « نور اللوز » عن غيره ، وعلل ذلك بقوله : (كاد أن يكون أبكر النواوير ، وأول الأزاهير ، ولم أعامله بالتأخير إلا لقلّة الوصف له) (٢) وفى بعض المواطن قد لا يضطرد هذان الاعتباران عند المؤلف - وأعنى بهما اعتبار بقاء الأنوار على مدار الفصل ، واعتبار قلة الوصف - إذ يجد نفسه أحيانا مدفوعاً إلى سلوك النهج العام الذى أفصح عنه فى مطلع الكتاب ، وهو أن يضاف المثل إلى مثله ، ويقرن الشكل بشكله ، كما حدث فى الياسمين البستاني الذى قدمه لاستمراره وبقائه على مدار

(١) المصدر السابق ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ١٥٠ .

الفصل غير أنه ألحق به الياسمين البري ، وهو الظيان ، في حين أن من حقه التأخير لكونه ليس مما يبقى طوال العام ، أو ممن كثر وصفه ، وإنما لجأ إلى ذلك لما بين النوعين من تماثل وتشابه انطلاقاً من اعتقاده بضرورة ضم كل مثل إلى مثله ، وصرح بذلك حين قال : (قال أبو الوليد : هذا ما وقع إلى في الياسمين البستاني ، وعثرت على قطع من الياسمين البري ، وهو الظيان ، وليس يبقى مدة العام ، إنما هو ربيعي ، ولكن قدمته على الربيعية لتسميته باسم المتقدم ، وانتسابه به ، فوصلت ذكره بذكره ، وما قيل فيه مما قيل فيه مع أن وصفه لم يكثر ، وذكره لم يتكرر ، فليس يحتمل إفراداً ، وإنما يجب أن يكون لهذا تبعاً ، وخلق شجره ، ونوره كخلق البستاني ، لأن نوره أصفر) (١) .

على أن هناك ملاحح وسمات عامة تتعلق بمنهج الكتاب ، وطريقة المؤلف في تناول مادته ومضمونه يمكن إلقاء الضوء عليها فيما يلي :

١ - أن المؤلف اعتمد كثيراً على التلقى المباشر لما أورده في كتابه من مقطوعات شعرية إما عن طريق ما يمكن تسميته بالإنشاد الشخصي من أفواه الشعراء أنفسهم حيث نجد بعض المقطوعات مصدرة بمثل قوله (وأنشدني لنفسه أيضاً أبو الحسن (٢) ، أو ومن المصنوع المطبوع في وصف الربيع ما أنشدني لنفسه أبو القاسم البلبيسي ، أو وأنشدني لنفسه فيه الفقيه أبو الحسن (٣) بن علي ، وغير ذلك من العبارات التي تشعر بالتلقى المباشر عن طريق السماع بالإنشاد ، وهناك صورة أخرى لهذا التلقى صرح فيها بصيغة السماع حين عقب على أبيات لذي الوزارتين القاضي بن عباد بقوله : (قال أبو الوليد سمعت أبي وأبا الأصبح يقولان : والله ما أكمل إملاء الأبيات بتلك التشبيهات الرائقة ، والصفات الرائعة إلا ونحن قد بهتنا من سرعة بديهته) (٤) ، وهذه الصورة تجرنا أيضاً إلى صورة أخرى هي التلقى عما

(١) المصدر السابق ٩٧ .

(٢) المصدر السابق ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ١١٠ .

(٤) المصدر السابق ٥٢ .

يلقى على البديهة سماعاً ، ويسجل إملاء عليه في المجلس ، ويذكرنا هذا بما كان يحدث في مجالس الإملاء والاستملاء المعهودة لدى العلماء المسلمين في عصور العلم الزاهية حتى ألفوا في آدابه الكتب كما صنع السمعاني حينما ألف كتابه أدب الإملاء والاستملاء ونجد من ذلك عند أبي الوليد فيما صدر به ثلاث مقطوعات لدى الوزارتين القاضي ابن عباد في وصف الياسمين إذ قال في الأولى : (أبدع ما قيل فيه وأبزغ ماشبه به ، وأرفع ما أملّ عليّ لنفسه فيه ذو الوزارتين القاضي حرس الله حوباءه ، وصان ذكاهه) (١) ، وقال في الثانية ، ومما يوازيه دقة ، ويضاهيه رقة قوله أمله على أبقاه الله ، وقال في الثالثة : وأمل أعزه الله ، وأحسن ذكره على فيه له قطعة قوية الوصف ، سرية الرصف وهي (٢) وقد لا يكون الإملاء مباشراً له ، وإنما بواسطة آخر هو والده ، ويظهر هذا مما مهد به لأبيات قالها القاضي بن عباد تعقياً على أبيات أنشدها أبو الأصبغ ، وجاء فيه قوله : (ولما أكمل أبو الأصبغ إنشاد هذا الشعر أمر القاضي أعزه الله والذي عبده الناصح له دأبه الحسن فيه ظاهره وغيبه بالجلوس بين يديه ثم أملّ بديهة عليه) (٣) .

٢ - يتثبت مما يقال فلا يذكر غالباً إلا ماصح عنده كما يبدو في تمهيد لأبيات ابن دراج القسطلي حين قال في إثنائه : (صح عندي أن عبادة بن ماء السماء كان يقول : لم يخترع بالأندلس في معنى من المعاني كاختراع القسطلي في السوسان) (٤) .

٣ - يبدو أن أبا الوليد قد جعل من أسس الاختيار عنده الاقتصار على الجزء الذي يتعلق بموضوعه من القصيدة ، وحذف ما عداه مما لا يتناسب مع غرضه وهدفه في الكتاب ، فالقصيدة التي قالها ابن دراج القسطلي واشتملت على وصف للسوسن

(١) المصدر السابق ٩٣ .

(٢) المصدر السابق ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ٥٢ .

(٤) المصدر السابق ١٣٦ .

لم يوردها كاملة ، وإنما اقتصر منها على ما يتصل بهذا الغرض ، وأفصح عن ذلك في التمهيد لها بقوله: (ولأى عمر أيضا فيه وصف ثان معدوم المثال موسوم بالجمال ... ، وهو في قطعة مطولة كتب بها إلى المظفر بن أبي عامر أنا ذاكر منها ماتشبت بذكر السوسن من المستحسن) (١) ، وكذلك الشأن فيما مهد به لأبيات أبي جعفر بن الأبار يصف الورد قائلا: (فأحسن إحسانا يقرب على متأمليه ، ويبعد عن متناوليه ، وصف الورد بعد صدر متقدم من الشعر) (٢) وهذا يعنى أن هناك أبياتا سابقة لما ذكره تغاضى عنها لعدم تعلقها بموضوعه وقد يضع ذلك في النثر أيضا ، فقطعة ذى الوزارتين القاضي بن عباد جاء في التمهيد لها ما يوحى بحذف جزء منها ، والاكتفاء بما يتناسب مع غرضه حين أشار إلى ذلك بقوله (والقطعة بعد صدرها) ، وكذلك الشأن في قطعة أخرى للوزير الكاتب أبي حفص بن برد (٣) ، غير أن هذا المسلك قد لا يضطرد في كل حال إذ ربما أعوزته بعض النصوص إلى خلافه ، ولا سيما في النثر ولا يترك الأمر دون أن يفصح عن الموقف الطارئ ، ومادفعه إليه ، فحينما أورد رسالة لعمر بن هشام لاحظ خروج ماجاء في آخر الرسالة عن غرضه بما اشتملت عليه من وصف الكؤوس ، وسرور النفوس ، ولكنه لا يجد مناصاً من ذلك إذ لو فصل هذا الجزء عن الرسالة لاختل سياقها ، بل يرى أن بعض الأشياء يزداد حسنها بما وصلت به ، جاء ذلك في تعقيبه على الرسالة المذكورة بقوله (قال أبو الوليد في آخر هذه الرسالة من وصف الكؤوس ، وسرور النفوس بمن خوطب فيها ، وكتب بها ما لم أعد به ، ولا قصدت قصد ذكره لكنى لوفصلته منها لأخللت بها ، فمن الأشياء أشياء يزداد حسنها بما وصلت به ، وقرنت معه ، وربما أن في كتابي مثل هذا ، فمن رآه فليعلم أني إنما أسعى في استكمال الحديث ، واستيعاب الخبر لئلا أخل بما ابتدئ به بالنقص منه) (٤) وفي ذلك ملحظ دقيق من المؤلف يشير به إلى أن بعض النصوص

(١) البديع ١٣٦ .

(٢) وانظر أيضا المصدر السابق ١٣٠ .

(٣) وانظر أيضاً المصدر السابق ص ٣٤ حيث أشار إلى الاستغناء عن صدر رسالة له .

(٤) المصدر السابق ٩ .

عند الاختيار لا تقبل التجزئة ، بل هي كل متكامل ، ولا يبرز جمالها إلا بإيرادها على هذا النحو الذى لا يخل بتناسقها ، وانسجام معانيها التى يأخذ بعضها بحجر بعض ومن هنا نجد أن أبا الوليد لم يتمكن بشكل دقيق وكامل من تطبيق مبدأ الاختيار لما يناسب غرضه من القصائد والمقطوعات الشعرية كما نوه في بعض المواطن ، وإن تمكن من ذلك أحيانا ، فقد يغفل عنه حيناً ، وها هو يذكر لصاحب الشرطة أبى بكر بن القوطية قصيدة كاملة موصولة بمدح ذى الوزارتين القاضى ، وينص على ذكرها من أولها إلى آخرها (١) ، ويشيع عند أبى الوليد فى معظم كتابه ما يقرب من ذلك حينما يذكر بعض المقطوعات موصولة بمدح بعض الوجهاء ، وأصحاب الحكم والرياسة (٢) ، ولعله يمثل هذا الصنيع لا يتعد كثيراً عن غرضه إذ أن ماجاء به من المدح موصولاً بالأبيات التى يذكرها فى وصف الربيع وأزهاره ، إنما هى وثيقة الصلة بهذا الوصف ، وتمثل براعة بعض الشعراء فى الانتقال من الوصف إلى المدح ، وتجديدهم فى نمط القصيدة حيث اتجهوا إلى بدء قصائدهم بمقدمات وصفية ، يصفون فيها مظاهر الطبيعة من ربيع وأزهار ونحوها ، ثم ينتقلون إلى غرضهم بشكل محكم يربط السابق باللاحق خروجاً على ما كان مألوفاً لدى بعض الشعراء ، ولاسيما فى المشرق من الالتزام بالمقدمات الطللية ، كما سبق أن عرفنا فى الحديث عن جانب النقد لدى أبى الوليد ، ولا ننسى أن نذكر فى هذا المقام أن أبا الوليد قد جعل نصب عينه فى مجال الاختيار أن يختار من النصوص شعراً ونثراً ما يبدو فيه الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل والتشبيه ، وما هو من أغرب التشبيهات ، وأعجب الصفات ، وأبرع الأبيات ، وأبدع الكلمات على حد قوله فى مقدمة الكتاب .

٤ - درج على أن يصدر كل مقطوعة بتمهيد لها يذكر فيه غالباً اسم القائل ، والغرض الذى قيلت من أجله ، مع بعض العبارات التى تحمل الإعجاب

(١) البديع ٧٦ .

(٢) انظر مثلاً كتاب البديع ١٩ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٥٦ .

والاستحسان ، كما يعقب على بعض المقطوعات موضعاً بعض الجوانب التي تحتاج إلى إيضاح من مثل الإفصاح عن معاني بعض الأبيات كما نرى في تعقيبه على أبيات ابن القوطية في وصف السوسن ، ومنها قوله :

وفوقها رقية منها لها محترسة
نابلة راحة سائفه مترسة
كان اسمها نسوس لا كين قرئت منكسة

ومثل هذه الأبيات تشتمل في تقدير المؤلف على معانٍ تحتاج إلى إيضاح لذلك أخذ في إيضاحها وشرحها بقوله : (قوله : وفوقها رقية . يعنى القائمة وسط السوسنة ، نابلة : ذات نبل ، جعل التي تحديق بالرقية في أسفلها نبلاً ، وجعل أيضاً منها ربحاً في قوله : راحة ، وسائفه يحتمل أن يجعل الوشائع الصفر التي حول الرقية سيوفاً ، ويحتمل أن تكون السيوف الأوراق البيض ، ومترسة : ذات ثرس ، ولاشك أنه من الأوراق البيض ، وقوله : نسوس : أراد مستقبل فعل الساسة وهو مליح فيه معنى التنويه) (١) وفي بعض المواطن يعقب مبدياً رأيه ، أو ذكراً بعض ما يتعلق بالمقطوعة مما يستوجه المقام من لمحات أدبية ، أو نقدية تشتمل على تقويم لبعض الأبيات ، أو موازنة ومقارنة بين بعضها مما سبق بيانه في الحديث عن جانب النقد عند أبي الوليد ، وقد يكون التعقيب لتفسير بعض الألفاظ اللغوية التي تحتاج إلى تفسير وشرح لمعناها على نحو ما صنع في تعقيبه على أبيات أبي بكر بن القوطية في وصف الورد والسوسن حيث عقب عليها قائلاً : (قوله : على الورد الذي فغما : أى الذى سدت ريحه الخياشيم ، وقوله : الذى نجم : أى الذى طلع ، والطلية : صفحة العنق وهى واحدة الطلى ، ولغة ثانية فى الطلية : طلاة ، ونصت : رفعت ، وجرى على هذا النهج فى مواطن عديدة من كتابه) (٢).

(١) المصدر السابق ١٣٨ .

(٢) انظر مثلاً ص ١٢ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٠ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ١٣٨ ، ١٥٩ .

٥ - أهمية الكتاب وقيمته في دراسة الأدب الأندلسي :

يمكن أن نتلمس أهمية كتاب البديع وقيمته في دراسة الأدب الأندلسي

فيمايلي :

١ - أن الكتاب ضم بين دفتيه مجموعة قيمة من الشعر الأندلسي في أزهى عصوره عصر ملوك الطوائف لأبرز الشعراء الأندلسيين عموماً ، وشعراء إشبيلية على وجه الخصوص ، وبعضهم لم تصل إلينا دواوينهم سوى ماتناثر لهم من شعر في المصادر الأندلسية ، ومنها كتاب البديع الذي اشتمل لبعض الشعراء على مجموعة كبيرة من الشعر قل أن توجد في غيره من مثل أبي بكر بن القوطية الذي لم يصل إلينا ديوانه ، وحفظ له صاحب البديع ما يقرب من ٢٣ قطعة ، ومن مثل أبي جعفر ابن الأبار ، وأبي الحسن بن علي الفقيه وغيرهم .

٢ - في الكتاب نصوص للون بديع من ألوان الكتابة في الأندلس يتمثل في الكتابة الوصفية التي برع فيها الأندلسيون مما قد لا يتوفر في غيره من المصادر ، ومن أبرز ما جاء فيه من هذا القبيل رسالة أبي حفص بن برد في المفاضلة بين الزهور ، وتفضيل الورد (١) عليها ، ورسالة المؤلف أبي الوليد التي رد فيها على رسالة أبي حفص ، ومال فيها إلى تفضيل البهار على الورد وسواه من الأزهار ، وقد تناولنا هذه الرسالة بالدراسة في الحديث عن أبي الوليد كاتباً .

٣ - أن الكتاب اشتمل على نصوص ومقطوعات ، وقف عليها المؤلف عن طريق التلقى المباشر من السماع لها بواسطة الإنشاد ، أو القول على البديهة ، وتسجيلها إملاء من أفواه قائلها ، كما أن منها ما قيل في مناسبات وقتية تخص المؤلف ، أو في مراسلات بينه وبين أدباء عصره ، من ذلك مثلاً ما كان بينه وبين أبي الوليد بن العثماني الذي بعث له بخيرى ، ومعه قطعة نثر ، فأجابه بمثلها (٢) ، ومثل هذه النصوص والمقطوعات قد تكون مما انفرد به المؤلف .

(١) انظر البديع ٥٧ .

(٢) انظر البديع ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ .

٤ - يعد الكتاب مصدراً أساسياً لدارسي الأدب الأندلسي بصورة عامة ، وما يتعلق منه بوصف الطبيعة بصورة خاصة حيث يعد أحفل مصدر ، وأوفى مورد ، بل منبع ثر لمثل هذا اللون في الأدب .

٥ - يعد الكتاب من أهم المصادر لدراسة مؤلفه أبي الوليد إسماعيل بن محمد ابن عامر ، وهو أحد علماء الأندلس وأدبائها ونقادها المرموقين ، بل يكاد يكون المصدر الوحيد الذي حوى أكبر قدر من المعلومات التي تلقى الضوء على جوانب من حياته الشخصية ، والعلمية ، والأدبية ، إلى جانب ما حفل به من مقطوعات شعرية ونثرية للمؤلف نفسه الذي لم يصل إلينا عنه سوى ما ذكره في كتابه ، وتناقلته عنه بعض المصادر الأندلسية الأخرى .

٦ - طرح المؤلف في كتابه بعض القضايا والآراء والأقوال ، واللمحات التي تدخل في نطاق النقد الأدبي ^(١) ، ولاشك أنه يعد بذلك من المصادر اللازمة للباحثين في هذا المضمار ، حيث يقفون فيه على مادة تعينهم على تحديد ملامح وتيارات النقد الأدبي في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف ، أو في القرن الخامس على وجه التحديد .

* * *

(١) انظر حول ذلك ما سبق أن تحدثنا به عن أبي الوليد ناقداً .

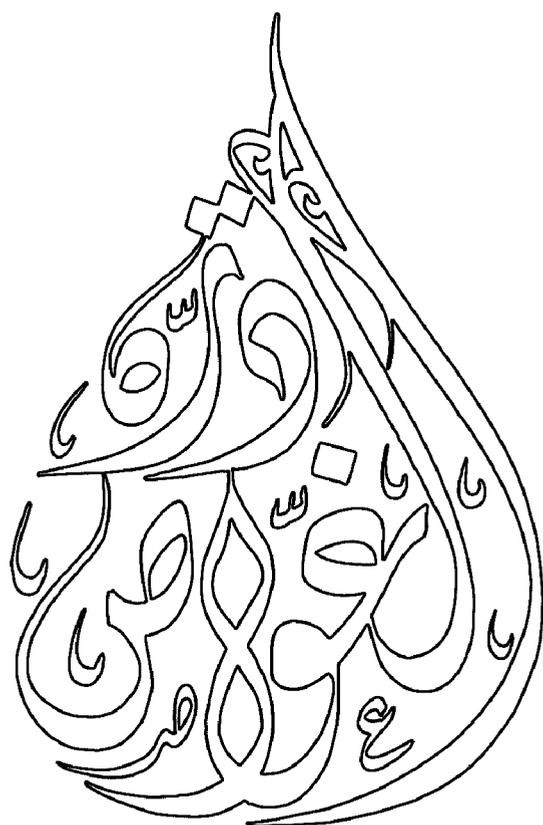
فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة : للدكتور أحمد هىكل ، الطبعة السادسة - دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ٢ - إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى . دراسة أدبية تاريخية : للدكتور صلاح خالص - دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ م .
- ٣ - أعمال الأعلام - للسان الدين بن الخطيب : بتحقيق ليفى بروفنسال ، طبع بيروت دار المكشوف ١٩٦٥ ، وتحقيق الدكتور أحمد مختار - طبع الدار البيضاء المغرب ١٩٦٤ .
- ٤ - إنباه الرواة على أنباه النحاة - لجمال الدين القفطى (ت ٦٤٦ هـ) : تحقيق محمد أنى الفضل إبراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٥٢ - ١٩٥٥ م .
- ٥ - بدائع البدائه - لعلى بن ظافر (ت ٦١٣ هـ) : تحقيق محمد أنى الفضل إبراهيم - القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠ هـ .
- ٦ - البديع فى وصف الربيع - لأنى الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميرى (ت ٤٤٠) بتحقيق الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان - الطبعة الثانية ، مطبعة المدنى ١٤٠٧ هـ .
- ٧ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس : لأحمد بن يحيى الضبى (ت ٥٩٩ هـ) الطبعة الأوربية الأولى ١٨٨٤ م .
- ٨ - بغية الوعاة - جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أنى الفضل إبراهيم ، القاهرة - طبع عيسى البابى الحلبي ١٣٨٤ هـ .
- ٩ - بنو عباد بإشبيلية : للأستاذ عبد السلام أحمد الطود - الطبعة الأولى تطوان المغرب ١٣٦٥ هـ .
- ١٠ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب - لابن عذارى المراكشى . تحقيق ليفى بروفنسال - دار الثقافة ، بيروت .
- ١١ - تاريخ الأدب الأندلسى عصر الطوائف والمرابطين : الدكتور إحسان عباس بيروت دار الثقافة ١٩٦٩ م .

- ١٢ - تاريخ علماء الأندلس : لأبي الوليد عبد الله بن محمد الفرضي
(ت ٤٠٣ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م
- ١٣ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب : للدكتور إحسان عباس - دار الأمانة ،
ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩١ هـ
- ١٤ - تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - للدكتور محمد رضوان الدابة بيروت دار
الأنوار - الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ
- ١٥ - التكملة لكتاب الصلة - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف
بابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ) عنى بنشره و صححه : السيد عزت العطار -
مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ .
- ١٦ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس : لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر
الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .
- ١٧ - الحلة السيرة - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار
(ت ٦٥٨ هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة
والنشر ١٩٦٣ م .
- ١٨ - حماسة أبي تمام وشروحها - دراسة وتحليل : للدكتور عبد الله عبد الرحيم
عسيلان - الطبعة الأولى بمطبعة عيسى الباني الحلبي بمصر ١٣٩٨ هـ
- ١٩ - دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي : محمد عبد الله عفان مكتبة
الخانجي بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ
- ٢٠ - ديوان ابن الرومي : تحقيق الدكتور حسين نصار - القاهرة مطبعة دار
الكتب المصرية ١٣٩٣ هـ .
- ٢١ - ديوان الشافعي : جمعه نعيم زرزور - دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .
- ٢٢ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني
(ت ٥٤٢ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت دار الثقافة ،
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

- ٢٣ - رايات المبرزين وغايات المميزين - لعلى بن موسى بن محمد بن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥ هـ) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٣ هـ .
- ٢٤ - الروض المعطار فى خبر الأقطار - لمحمد بن عبد المنعم الحميرى : تحقيق الدكتور إحسان عباس : بيروت دار القلم ١٩٧٥ م .
- ٢٥ - الصلة - لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٤٩٤ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .
- ٢٦ - طوق الحمامة - على بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق حسن كامل الصيرفى القاهرة - المكتبة التجارية .
- ٢٧ - العمدة فى صناعة الشعر ونقده - لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) بتصحيح محمد بدر الدين النعسانى - الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ
- ٢٨ - فضائل الأندلس - ضمن رسائل ابن حزم الأندلسى : تحقيق الدكتور إحسان عباس - القاهرة مكتبة الخانجى ، ومكتبة المثنى ببغداد .
- ٢٩ - مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد - الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر. ١٩٦٩ م .
- ٣٠ - معجم الأدباء - لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) الطبعة الأولى .
- ٣١ - المفضليات - للمفضل بن سلمة الضبى الكوفى (ت ١٧٨ هـ) تحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون - الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر .
- ٣٢ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى : تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ، دار صادر ١٣٨٨ هـ .
- ٣٣ - نهاية الأرب فى فنون الأدب - أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣ هـ) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
- ٣٤ - هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين - لإسماعيل بن محمد بن أمين البغدادى (ت ١٣٣٩ هـ) تصوير مكتبة المثنى ببغداد .

* * *



الدراسة حول أبي الوليد ومواهبه الأدبية وكتابه البديع

الصفحة

الموضوع

المقدمة ه - ز

المبحث الأول : عصره

- ١ - الحالة السياسية ١
- ٢ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية ٤
- ٣ - الحالة الثقافية ٦

المبحث الثاني : حياته

- ١ - اسمه ونسبه وأسرته ٩
- ٢ - نشأته وصلاته الاجتماعية والأدبية ١٠
- ٣ - مكانته العلمية والأدبية ١٤
- ٤ - وفاته وآثاره ١٥

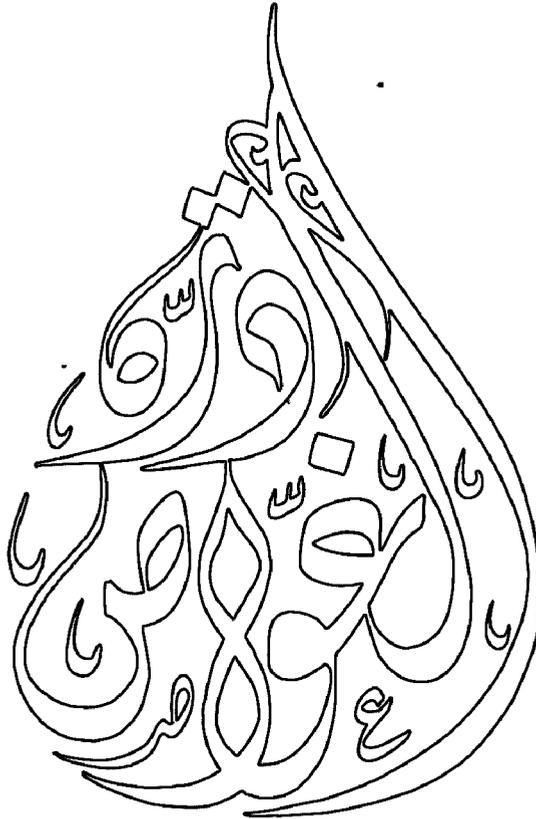
المبحث الثالث : مواهبه الأدبية

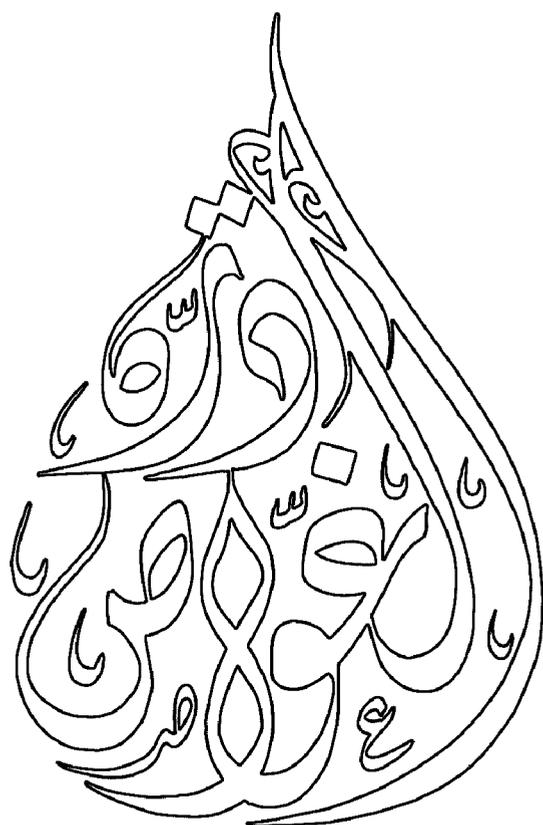
- أولاً - أبو الوليد الشاعر ١٦
- ١ - شعر البديهة ١٨
- ٢ - التصوير والتشخيص ١٩
- ٣ - التشبيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ٢٠
- ٤ - استخدام الألوان في التشبيه ٢٠
- ٥ - الألفاظ ٢١
- ٦ - امتزاج المدح بوصف الطبيعة ٢٢
- ٧ - المعارضات ٢٤
- ٨ - المفاضلات والمحاورات بين الأزهار ٢٦

الصفحة	الموضوع
٢٦	٩ - السرقة
٢٧	١٠ - شعر الغزل
٢٨	١١ - الموسيقى والأوزان
	ثانيا - أبو الوليد الناثر
٢٩	أ - تمهيد وعرض
٣٤	ب - خصائص وسمات نثر أبي الوليد
٣٥	١ - التضمن
٣٧	٢ - العناية بالأمثال والحكم
٣٧	٣ - القيم الأخلاقية والإنسانية
٣٨	٤ - التشخيص
٣٩	٥ - استعمال الجمل الدعائية والمعتضة
٤٠	٦ - الأسلوب القصصى
٤٢	٧ - المحسنات البديعة
٤٣	٨ - الألفاظ
	ثالثا - أبو الوليد الناقد
	أ - تمهيد حول النقد في الأندلس
٤٥	قبل بي الوليد وفي عصره
	ب - المعالم والقضايا النقدية
٤٨	عند أبي الوليد
٤٨	١ - الصور البيانية والتشبيهات
٥٤	٢ - البديهة والارتجال
٥٧	٣ - الفنون الأدبية أو الأغراض الشعرية
٦١	٤ - الموازنات الأدبية

- ٦٤ ٥ - الألفاظ والمعاني
- المبحث الرابع : كتاب البديع عرض وتحليل
- ٦٦ ١ - تمهيد حول المختارات الأدبية في الأندلس
- ٧١ ٢ - عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه
- ٧٢ ٣ - سبب تأليف الكتاب ومضمونه وموضوعه
- ٧٨ ٤ - منهج الكتاب وأبرز سماته وملامحه الأدبية
- ٨٥ ٥ - أهمية الكتاب وقيمه في دراسة الأدب الأندلسي
- ٨٧ فهرس المصادر والمراجع
- ٩١ فهرس الدراسة

* * *



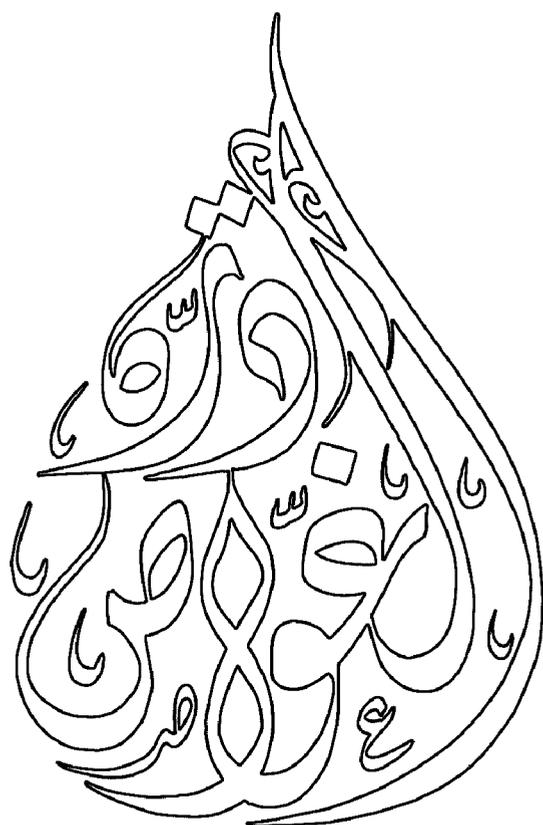


مكتبة
الدكتور محمد زهران الوطنية

القسم الثاني

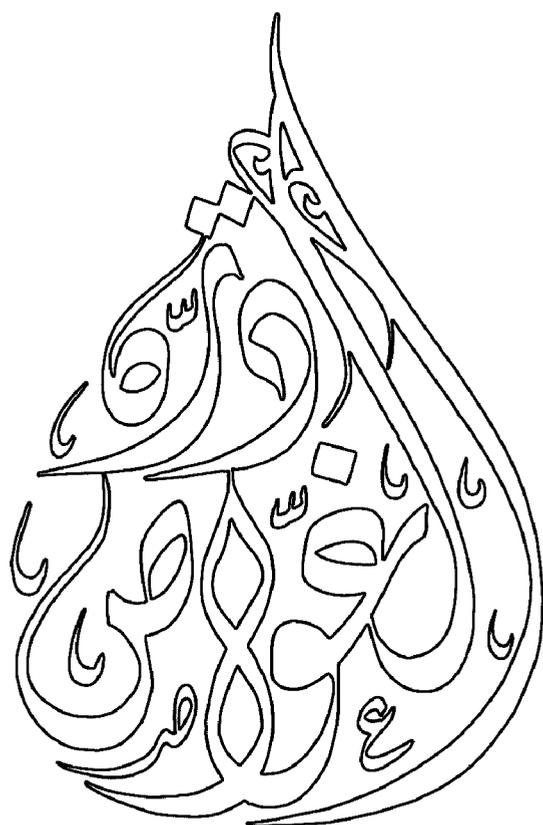
تحقيق كتاب

البدائع في وصف البع
٧٥١



مخطوطة الكتاب

لا يوجد لمخطوطة كتاب « البديع في وصف الربيع » حسب علمى سوى نسخة واحدة فريدة محفوظة في مكتبة الأسكوريال بأسبانيا ، وقد جاءت النسخة خلواً من صفحة العنوان ، وهى ماعدا ذلك تامة ، وليس فيها خرم سوى بعض الكلمات القليلة التى سقطت وبقي مكانها فارغاً ، واستهلت الورقة الأولى بمقدمة المؤلف التى جاء فى صدرها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر رحمه الله ، أما بعد حمد الله على فضله المتناهى ، والصلاة على خاتم رسله ، وناهج سبله ، فإن أحق الأشياء بالتأليف ..) وختمت النسخة بقول المؤلف : (هذا ما عثرت عليه وانتهيت البحث إليه ، وإن وقع إلى بعد وصف رائق أو معنى فائق ألحقته فى هذا الكتاب) وتلى ذلك عبارات التختيم وهى : (تم كتاب البديع فى وصف الربيع بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد خيرته من خلقه ، وعلى أهله وسلم تسليماً) وفى هذه العبارات نلاحظ النص على عنوان الكتاب الذى لم نقف عليه فى صفحة العنوان أو فى مقدمة الكتاب ، وأثبت ماجاء فى الخاتمة عنوانا للكتاب لاعتبارات سبق الحديث عنها ، وقد كتبت النسخة بخط أندلسى جلى واضح ، وبحرف كبير نوعاً ما ، وميزت العناوين وعبارات البدء بخط عريض ، وعدد أوراقها حوالى تسع وثلاثين ورقة ، وكل وجه من وجوه الورقة يشتمل على ثمانية عشر سطرًا ، وفى كل سطر ما يتراوح بين ثمان أو تسع أو عشر كلمات فى الغالب ، تميزت النسخة بميزة ظاهرة وهى ضبط أبيات الشعر بالشكل الذى يكاد يكون تاماً مع ضبط كثير من كلمات النثر ، كما تميزت بالاتقان والضبط ، وقلة التصحيف والتحريف ، ولا ندرى على وجه التحديد متى نسخت ، ومن قام بنسخها إذ لم نجد إشارة إلى ذلك فى خاتمة النسخة ، ويبدو من خطها أنه قديم ، وربما تكون منسوخة فى القرن السابع أو الثامن تقديراً .



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله

قال أبو الوليد اسمعيل بن

عمر بن عامر رحمه الله

خاتمه على فضله المتسامي والعلامة على خاتمه مثله وتشم
سنته في حق الأئمة إمامنا محمد وآله بالانصاف من
عدوهم من غير أن يفرق بينهم وبين الأئمة من جهة
إيمانه وبقائه في حرمه وبقائه في حرمه وأنتج
فأس وأفقس وأزغ وأزغ من أن أحسن إليه و
أحسن إليه من أن يصيبه ما يتعلمه التمامه وغيره
تمه من غير ما قصه وديده على ما قصه ومعه من
أصفيته من إيمانه والميتة من إيمانه والآيات القوية
في حقهم من غير أن يفرق بينهم وبين الأئمة من جهة

قال أبو الوليد بن مهران

مقتضى ذلك التمجيد وأنت أو دعه الإلهام إذ تروا من الأئمة
حاشية من المعنى إذا وظفهم تكثر على الاستماع وأ
أنه من جهة اليمين بغير ما سبقه وتروا من إيمانه وأما
من أن يصيبه من الأئمة من غير أن يفرق بينهم وبين الأئمة من جهة
منه من غير أن يفرق بينهم وبين الأئمة من جهة

سجود حنين لا يحرو من الاكل لا يعفب ذو كبرها ويزاد
عنه عشر حورها ولعمري جلد من العلة بما حجت لسنه انها
واخرت انحنما ثقا واستغرا ايمان واما اشعار اهرامه
فقوله الوفاء علمنا والنظر النها حتى ما قيل نحوها العو
ولا يروى منها العلق السليم مع اني استغني عنها ولا اخرج
النها انما انظره لان ترسيم من الشر المشرق والنهر المخرج
والكم ذلك اهرامه انما بعد نواذره عند حركته واما
من بعد عظه وهو فيهم من جليل قلبي فقلنا اوردت في
اللعنة التي نقره في علم من اهل الماء تصيرها ولا غل المشو
مودة ليد اسعد من عرقه وتروى من انحاء رطله به العطر
علمنا والسنه لما حتى لفرجه من حشمة مع حشمة او يصير
لحشا الزينة لافله من بين اهل حرمها ولو جرى لامل
الاندره على بعد الصريف لاوردت على اخمها لامل ما اورد
واضعاف ما اجتمعت لانها من المشوق على تاليه مع الاستغنى
وتفسيده لانهم لم ينكلموا العرب بكاتبه
بشرها ونظامه ان يملك جزا الانحرو ولا يملكه من حشمة
يدور في الموصوفين ما وجدته لا على طين حلي في نظامه
عزله باللعنة التي ذكرها حشا وقله الله سبحانه

عمر الأثرين مشهوراً وسلاماً وفيه شجر الحكيم وهو
فأخروا عن أذى راحة العسر فير في تراجو وشجر وفتحوا
عمرها فيه على قتل جوهر وشجر لكانوا أحفاداً بها للشيخ الأثر
في المنهج وفيه بوي فضائله وفرصته أيدى الحسن المصطفى
فمنذ بالحبسة حتمت وهو العاقل نضنه عن المطالب
قلعة فيه من الاختراع العجايب والآثار العجائب وحسن
العسر والتسمية ما يعود إلى ما تقدم ذكره وفيه
في من أخته العجيب في العذار من في غير المقدم
مبداً في يومه فيجب التمسك بالمدف من أخته في
في أمة في العجايب مؤمنين وبيوتهم ما تقدم
شجر في الأثر في أمة متعدياً فيهم براضية فيهم وأقرب
أثر في العجايب في العجايب في الأثر من ثلث العجايب
التي شعير في تنصير في أمة فيهم فيهم فيهم وتامل في
الناظر في كتابه تامل العجايب المشير والعمير المنته في
شجر في العجايب والتشبيبات وأجبت العجايب وأبرع الأبيات و
أبرع العجايب من كان هو العجايب من العجايب في العجايب
عليه في متعدياً بين أمة فيهم فيهم فيهم فيهم وأما
في الأثر في العجايب فيهم وتعاقد أمة فيهم فيهم فيهم

اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ الْكَلِيمِ وَأَنْعَمَ النَّظِيرِ
وَيُحْيِي الْأَمْواتِ وَيُحْيِي الْأَمْواتِ وَيُحْيِي الْأَمْواتِ
الْمُتَعَمَّرِينَ وَكُنْتُمْ أَجْزَاءً مِمَّا كَانَتْ تُعْبَدُ الْأَسْوَاقَ
بِمُرْتَضٍ مِنْ تَحْتِهَا يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ وَأَخْلَاخًا خَالٍ
الْعِلْمِ الْبَاسِطِ وَحِجَّةِ الْمُنْتَهَى لَمَّا وَالْمَحْمُولِ فِيهَا وَلَوْلَا مِمَّا أَطَالَ
اللَّهُ بَعْدَ مَا وَهَبَ إِتْمَانًا إِعْتِلَاءً حَمَامًا الْفُرْدَانِ لَعَلَّ النَّالِيَةَ وَالْأَ
سْتَعْمَاءَ فَتَرَى بَعْدَ الْمَضِيَّةِ وَمَا تَمَيَّنَتْ بِنَفْسِهِ وَرَأَى
بِهِ يَدُ تَرْقِيهِ إِذْ كُنَّ بَطْنُهُ الْكَبِيرُ وَبَعْدَ الْكَبِيرِ الْكَبِيرُ
الضَّرِيحُ وَعَلِمَتْ لَيْقًا أَقْوَالُ الْفُجْرَانِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْمَرُ
إِلَّا بِدِينِ الْحَمْدِ بِدِينِ تَرْقِيَّتِهِ وَقَدْ بَاغَتْ الْقُلُوبُ حُدُودَهُ
وَشَكَرَتْ الْكُفُوفُ حُدُودَهُ وَكَثُرَتْ الْغُوبُ عَنْ أَنْبِيَاءِهِ وَأَقَامَتْ
الْأَبْيَادُ إِعْتِدَادَهُ بَعْدَ مَا جَزَاءُ الْجُوزِ وَرَضْمِهِ مِنْ حُجُورِ مَنَامِهِ
وَبَعْدَ الْحَجْرِ عَنِ اسْتِنْعَابِ حَبْلِ الْعِزَّةِ وَأَسْتِمَالِ حَبْلِ
الْبَعَالِيَةِ وَبَعْدَ الْإِنِّ مَا وَغْدَانِيَّةِ وَجَنَّتِيَّةِ بِتَشْنُوتِهَا عَلَى الْجَبَلِ
وَبِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْعَوْنُ عَلَى الْبُرْدِ وَالنُّظْمِ

بَابُ مَا جَاءَ فِيهِ الرَّبِيعُ وَالْأَنْوَارُ

مِنْ الْمَبْرِيعِ الْمَخَارِقِ فَسَأَلَ الْوَالِدُ لِبَرِّهِ مَعْبُودًا
عَامِرًا مِنَ الصُّوَابِ فِي الرَّوَابِقِ الْكَرِيمِ وَالْغَوَابِ الْبَرِّ

منظر الزمان زاعجراً لا شئ منه ينظر بلا حجة
 منظر بلا غير ما رآه لا يعجز كما يعجز عز الزمان قال أبو الوليد
 ولي فيه فمعه زماناً فمعه زماناً وهو يوم منيته **وماني**
 وحينما شئته فمخالع حارثاً أجتلا جلاماً من جمع النوار والازهار
 على العزازي فراشاً ثياباً حزاراً وخيشة بالها الأخاصة الأضر
 حارثاً بعد الفافية مفصولاً وإنما هو جازم من نوار فاعية فمعه ثياب
 ونفسه **قال أبو الوليد** سمعنا من أبا عبد الله
 عليه وآله وأسميت شئاً من أبا عبد الله وأبو عبد الله
 من غير أن يكون له في الدنيا شيئاً وهو جليل جداً
 وتستر غير معصوم ومزينة جداً والله أعلم وحسب
 في حقه من أبا عبد الله عليه وآله وأبو عبد الله
 فصل في معرفة ما ينزل من السماء وهو صفة من شئ عرو
 من نوار فاعية مفصولاً وإنما هو جازم من نوار فاعية فمعه ثياب
 من غير أن يكون له في الدنيا شيئاً وهو جليل جداً
 وتستر غير معصوم ومزينة جداً والله أعلم وحسب
 في حقه من أبا عبد الله عليه وآله وأبو عبد الله
 فصل في معرفة ما ينزل من السماء وهو صفة من شئ عرو
 من نوار فاعية مفصولاً وإنما هو جازم من نوار فاعية فمعه ثياب
 من غير أن يكون له في الدنيا شيئاً وهو جليل جداً
 وتستر غير معصوم ومزينة جداً والله أعلم وحسب
 في حقه من أبا عبد الله عليه وآله وأبو عبد الله

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس عن يونس بن يعقوب عن فضيلة بن يونس

Vertical marginal notes on the left side of the page, including phrases like 'عن يونس بن يعقوب' and 'عن فضيلة بن يونس'.

النسخة المطبوعة

طبع كتاب البديع في وصف الربيع أول ما طبع عام ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م في مدينة الرباط بالمغرب ضمن مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية وعنى بنشره وتصحيحه عن النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة الأسكوريال الأستاذ هنرى بيريس المدرس بجامعة الجزائر ، وخرج الكتاب في ثمان وتسعين ومائة صفحة مع الفهارس التي وضعها للكتاب وهي فهرس الموضوعات ، وفهرست أسماء الرجال ، فهرست أسماء الأماكن ، وفهرست أسماء الأنوار ، وفهرست القوافي ، استغرقت الفهارس من صفحات الكتاب ما يقرب من سبع وثلاثين صفحة .

غير أن ناشره لم يبذل فيه أى جهد يذكر سوى بعض الفهارس التي لم يلتزم فيها الدقة وحسن التبويب والترتيب والتنسيق ، وهي أوضح شيء بذل فيها جهده كما يبدو ومع ذلك فاته فيها قدر لا بأس به مما يجب ذكره في هذه الفهارس مما هو واضح نحو « إشبيلية » التي لم يرد لها ذكر في فهرس الأماكن ، ونحو « حبيب بن عامر - أبو المؤلف » الذي لم يرد له ذكر في فهرست الرجال وغير ذلك ، ولا نجد مع هذا الجهد في الفهارس سوى بعض التعليقات النادرة جداً التي لو جمعت من الكتاب كله لا تُكوّن أكثر من صفحة واحدة ، ولم يعتمد إلى تخرّيج ما فيه من نصوص شعرية ونثرية إلا في القليل النادر جداً ، ولم يترجم لأحد من الأعلام ، كما لم يقم بتحرير النص وتصحيحه تصحيحاً دقيقاً إذ تناثرت في الكتاب أخطاء وتصحيفات وتحريفات كثيرة إلى جانب التصرف في النص بإضافة كلمات ، أو عبارات في صلب النص دون الإشارة ، أو التنبيه على أنها إضافة منه حتى لا يتوهم متوهم أنها موجودة في الأصل ، مما يتنافى مع أصول التحقيق ، ويمكن أن نورد نماذج من ذلك لبعض التصحيفات والأخطاء والإضافات التي لم ترد في النص على النحو التالي :

أولاً : التصحيحات والأخطاء :

المسلسل	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٢٥	١	اشتبشر	استبشر بالسين المهملة
٢	٢٦	١٤	اختلال الوزن	والصواب نقل كلمة « بها » إلى صدر البيت
			في قول الشاعر	ليكون هكذا « فأجل جفونك فيه تجل صدأً بها »
فأجل جفونك فيه تجل صدأً				
بها لولا انبراء جماله لم تبره				
٣	٣٦	٦	الأزهير	الأزاهر : ليستقيم وزن البيت
٤	٣٦	٦	بسوسى :	بسوسى : بفتح الباء
٥	٥١	٢	أما لها أشفار	مالها أشفار : بدون ألف وبدون تشديد
٦	٥٦	٥	يمنى	يمينى
٧	٦١	١٦	تأنيبها	تأنيبنا
٨	٦٧	١٥	الجداله	الجزالة
٩	٦٨	١٥	ضمّنت بالمسك	ضمّخت بالمسك
١٠	٨٩	٥	مكتشفا	منكشفا
١١	٨٩	١١	الغدائر بالذال	الغدائر بالذال
			المعجمة	الغدائر بالذال المهملة
١٢	٩٠	٢	من جزل بالزاي	من جزل : بالذال المعجمة
١٣	٩٣	٤	لا يخاف	لا يُخاف بالبناء للمجهول حيث إن القافية مرفوعة

مكتبة الدكتور وزير التربية الوطنية

الصواب	الخطأ	المسلسل الصفحة السطر		
أهدى : بالدال المهملة	أهوى : بالواو	١٤	٩٦	١٤
لداعى الطرب	لراعى الطرب	١١	١٠٠	١٥
حبال الحرير	حبال الحديد	١٥	١٠٠	١٦
بيتين أنيقتى	بيتين أنيقتى	١١	١٠٨	١٧
بيتين أنيقتى التشبيه	التشبيه			
	المعشوقين :	١١	١٢٩	١٨
المعشوقين : بصيغة الجمع	بصيغة المثني			
	سوسن : بضم	٢	١٣٠	١٩
سوسن : بفتح السين	السين			
في الأصل (دهرأ بهيئته) وكتب فوقها « أنا » وقراها الناشر خطأ « أنا » والصواب إذا أثبتنا القراءة الثانية « أنا » بالمد من الآن .	أنا بهيئته	٨	١٤٠	٢٠
	لا أعدمنا الله	١٥	١٤٣	٢١
جَاهُهُ : بالفتح إذ لا يجوز أن تكون فاعلاً لا عرفاً ولا شرعاً	جَاهُهُ : بالضم			
بالنأى : بدون همزة إذ أن النأى بالهمزة البعد ، ولا مناسبة في ذلك من حيث المعنى .	وبالنأى والقدح	١٣	١٥٢	٢٢
وُغَلِّتْ بالفاء إذ هو المناسب للمعنى ففي اللغة يقال غلف لحيته بالطيب والحناء والغالية : لطحها .	بيض غُلِّتْ : بالقاف	٦	١٥٤	٢٣

ثانيا : التصرف بالإضافات في الأصل دون التبيه أو الإشارة :

- ١ - تكملة بعض الأسماء على نحو ماجاء في الصفحة السابقة حيث قال المؤلف (ولأبي عمر) فأكمل الناشر الاسم (أحمد بن فرج الجياني) ومثل ذلك ماجاء في ص ٩ ، ١٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٩ .
- ٢ - ص ٥٣ س ٤ أضاف (أنا) بين « من » « وأفديه » في رسالة الوزير أبي حفص .
- ٣ - ص ٥٣ س ١٣ - أضاف (الله تعالى) في رسالة أبي حفص نفسها .
- ٤ - ص ٥٨ س ١٥ - أضاف (والنجس) .
- ٥ - ص ٥٨ س ١٨ - أضاف (ذلك) .
- ٦ - ص ٧٢ س ٥ - أضاف تكملة صدر بيت ابن الرومي (شتان بين اثنين) .
- ٧ - ص ١٠٤ س ٧ ، أشار المؤلف إلى بيتين ذكر بأنهما سبقا ، فجاء الناشر وأورد البيتين دون الإشارة إلى ذلك في الهامش .

* * *

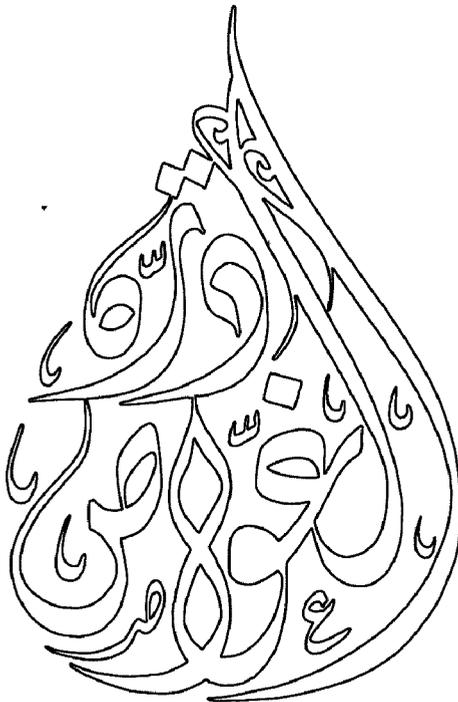
مَكْتَبَةُ
الدُّرُورِ وَرَأْسُ الْوَطِينِ

الْبَدِيعُ فِي وَصْفِ الْبَيْعِ

تَأَلِيفُ

أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَبِيبِ الْمُخَيْرِيِّ الْإِسْطِيقِيَّ

الْمُتَوَفَى قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ ٤٤٠ هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً

قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر رحمه الله . أما بعد حمد الله على فضله المتناهي ، والصلاة على خاتم رسله ، وناهج سبله فإن أحق الأشياء بالتأليف ، وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ، ولم يُعَنَ به المصنفون مما تأنس النفوس إليه وتلقاه بالحرص عليه ، وفصل الربيع آرج وأبهج وأنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحد حسن ذاته وأعدّ بديع صفاته . وحسبي بما يعلم الكل منها ، ويخبر به الجميع عنها شهيداً لما نقلته ودليلاً على ما قلته ، وهو مع هذه الصفات الرائقة والسماة الشائقة والآلات الفائقة لم يُعَنَ بتأليفه أحد ولا انفرد لتصنيفه منفرد .

قال أبو الوليد :

فلما رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمناً ذلك الباب ، ولست أودعه إلا ما أذكر لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى إذ أوصافهم لم تتكرّر على الأسماع ، ولا كثر امتزاجها بالطباع فتردها شيقاً وترودها تيقاً وإنما ذلك لتضييع أهل بلدهم لأكثرهم وغفلتهم عن جُلّها إنكاراً لفضلها مدة بقاء أهلها فإذا انقضوا تأسفوا بقدر ما كانوا تنسّفوا وحينئذ لا يجدون إلا قليلاً يغيب في كثيرها ، وثماداً يفيض عند مجورها ، ولعمري إن هذه العلة مما صحّحت استغرابها وأكدت استحسانها واستعذابها .

وأما أشعار أهل المشرق فقد كثر الوقوف عليها ، والنظر إليها حتى ما تميل نحوها النفوس ، ولا يروقها منها العلق النفيس مع أني أستغني عنها ، ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المتدع ، والنظم المخترع ، وأكثر ذلك لأهل عصري إذ لم تغب نوادرهم عن ذكري .

وأما من بعد عصره ، وم فيهم من جليل قدره فقلما أوردت لهم شيئاً للعلة التي تقدم ذكري لها من إهمالها وتضييعها . ولأهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم ، وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا ، والسبق لنا حتى لقد يجمعون خشينها مع حسنها ، ويضيفون لحنها إلى لحنها لا قلة مميّز بها بل تحرجا عن تركها ، ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطريقة لأوردت على الحقيقة أمثال ما أوردت وأضعاف ما اجتلبت لكن أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم ، وتثقيفهم لأخبارهم مذ تكلمت العرب بكلامها ، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلمّ جرّاً ، لا يجدون لأنفهم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدي على كثرة ما سقط منها عن يدي بالغفلة التي ذكرتها عنها ، وقلة التهمم بها ، وعلى قرب عهد الأندلس بمنتحلي الإسلام فكيف بمنتحلي الكلام ، ولو تأخروا عن إدراك المشرقين في كل نحو وغرض ، وتقهقروا عن لحاقهم في كل جوهر وعرض لكانوا أحقاء بالتأخر ، وأحرياء بالتقهقر . فكيف يرى فضلهم وقد سبقوا في أحسن المعاني مجتلى وأطيبها مجتئى ، وهو الباب الذي تضمّنه هذا الكتاب فلهم فيه من الاختراع الفائق ، والابتداع الرائق ، وحسن التمثيل والتشبيه ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه ، والفضل في هذا الصنع الجميل لذي الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثل ، ولابنه الحاجب الشهاب الثاقب نثره عبّاد ، ورحمة الله على العباد مولى وسيدى أبقاهما الله ستراً عليّ . فهما اللذان أقامت مقعد الهمم يد اهتمهما ،

وأمرت أرض الفطن سماءً أفضالهما ، فدرت الدرر من تلك الفكر التي
يسعيان لتحسين مرادهما وتحسين مرادهما .

وتأمل أيها الناظر في كتابي تأمل اليقظ المنتقد والمميز ترَّ أغرب
التشبيهات ، وأعجب الصفات ، وأبرع الأبيات ، وأبدع الكلمات لمن
كام حواليهما من مُسندٍ إليهما مُعَوَّلٍ عليهما ، ومتصرِّفٍ بين أيديهما ،
ومتورطٍ على أيديهما . وإنما ذلك لترادف إحسانهما وتعاقب امتنانهما
وقديماً قيل اللها تفتح اللها ، وبقدر ذلك أعملوا الفكر وأنعموا النظر
فنظموا في جودهما درراً من الكلام ، لا تسلك على سلكها غير الأيام ،
وكسواً جميل فعلهما جُملاً من الجمال تبقى بقاء الليال . فله درهما من
ملكين نفقا سوق الأدب الكاسدة وأصلحا حال العلم الفاسدة فكثروا
المتحلون لها ، والمتحلون بها ولولاهما - أطال الله بقاءهما وأدام
اعتلاءهما - ما انفردت لهذا التأليف ، ولا شغلت فكري بهذا التصنيف ،
ولا منيتُ نفسي به ، ولا وثقتُ بها في ترتيبه . لكن بفضلهما الجزيل ،
وفعلهما الجميل لاح السبيل وعلمت كيف أقول فجزاهما الله عما يُوليان
من الأيادي الحسان التي تداركتنا وقد بلغتِ القلوبُ حناجرها ،
وشحذت الخطوب حناجرها ، وكشَّرت الثوبُ عن أنيابها ، وأدالت الأيام
إِعتابها بعِتابها جزاءً يجوز رضاها بل يجوز مُناهما ، وبعد العجز عن
استيعاب جزيل أفضالهما واستكمال جميل أفعالهما فنعود إلى ما وعدنا
به ، ونجتلب ما بنينا على اجتلابه وبالله ذي الجلال والإكرام العونُ على
البدء والتمام .

باب ما جاء في الربيع والأنوار من البديع المختار

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر : من الصواب في الدواوين والحدق في التواليف أن يُضاف المثل إلى مثله ويُقرن الشكل بشكله فيقصد الطالب أي معنى شاء فيجد مقصده ويعتمد القاريء أي فصل أراد فيلقي مُعتمده .

وهذا الباب كثير الفصول غزير الفروع ، والأصول على قلة الوصف له والقول فيه لكني رددته إلى ثلاثة فصول وقصرته عليها وقيدته بها .

الفصل الأول - القطع في الربيع التي لم يُسمَّ فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع .

والفصل الثاني - القطع التي لم تتفرّد بوصف نوار بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار .

والفصل الثالث - في القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حدّة ممن طلب شيئاً قُرب عليه وجُدأته ولم يعزب عنه مكانه .

وبعد الرغبة في التسديد ، والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق نبداً بالفصل الأول .

الفصل الأول

القطع في الربيع التي لم يسمَّ فيها نُورٌ ، ولا قصد بوصفها منه نوع .

قال أبو الوليد : من المستحسن في هذا الباب قول أبي عمر أحمد ابن عبد ربّهِ (١) :

وروضةٍ عَقَدَتْ أَيْدِي الرِّبِيعِ بِهَا نَوْرًا بَنُورٍ وَتَزْوِجًا بِتَزْوِيجِ (٢)
بُمُلَقَّحٍ مِنْ سَوَارِيهَا وَمُلَقَّحَةٍ وَنَاتِجٍ مِنْ غَوَادِيهَا وَمَنْتُوجِ
تَوْشَّحَتْ بِمُلَاةٍ غَيْرِ مُلْحَمَةٍ مِنْ نَوْرِهَا وَرَدَائِ غَيْرِ مَنْسُوجِ

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا عمر علم مشهور من أقطاب العلم والأدب في بلاد الأندلس ولد سنة ست وأربعين ومائتين لعشر خلون من شهر رمضان ونشأ في مدينة قرطبة تلك المدينة الزاهية بجمال الطبيعة وثناء العلم والثقافة ، واشتهر ابن عبد ربه بكتاب العقد الفريد الذي له نصيب من اسمه حيث حوى جواهر ثمينية من أدب المغرب والمشرق ، كان عالماً ثبتاً له بالعلم جلاله وبالأدب رئاسة وشهرة مع ديانته وصيانتته كما وصفه الحميدى وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة لانتى عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وانظر ترجمته في جذوة المقتبس ص ١٠١ رقم ١٧٢ ، وبغية الملمس ص ١٣٧ رقم ٣٢٧ وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ص ٣٨ رقم ١١٨ ، ومعجم الأدباء (٢١١/٤) ووفيات الأعيان (١١٠/١) .

(٢) الأبيات في ديوانه ٨٤ ، وفي كتابه العقد الفريد (٤٢٣/٥) .

فألبيستُ حُللَ المُوْشِيّ زهْرَتَها وجلّلتُها بأنماطِ الِديايِيجِ (١)
 سَواريها : سَحائِبها الآتية ليلاً من السرى وهو سير الليل .
 وغواديها : الآتية في الغداة .

ومن غريب الوصف في عجيب الرصف قول أبي عمر أحمد بن
 فرج الجياني (٢) :

أما الربيعُ فقد أراكِ حدائقاً لبستُ بها الأيامُ وشياً رائقاً
 فكأنما تجرّ أذيالَ الصبّا فيها البروقُ أزهاراً وشقائقاً
 متقسّماتٍ وسمَ الهوى تحكي المشوقُ تارةً والشائِقا (٣)
 من قاني خجلٍ وأصفرٍ مُظهِرٍ للوجدِ كالمعشوقِ فاجا العاشِقا
 وكأتما نثرتُ على أجفانها غرَّ السحائبُ لؤلؤاً مُتناسِقا
 فإذا الصبّا لعبتُ به في روضة ذُكرَ الفراقُ بها بكاءً وتعانقا

شبه اضطرابَ النوار بالرياح ، وقربَ بعضها من بعض ، وسقوط
 الندى منها بذلك الاضطراب بالتعانق عند الفراق ، والبكى من أجله .
 ولأبي عمر أيضاً فيه قطعة غريبة التشبيه وهي :

يا غيْمُ أكبرُ حاجتي سقّي الحمى إن كنت تُسْعِفُ (٤)

(١) الِديايِيجِ : جمع دياج وهو الحرير الغليظ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن فرج الجياني أبو عمر من أدباء الأندلس وافر الأدب

كثير الشعر ، واشتهر بكتابه الحدائق الذي ألفه للحكم المستنصر وعارض فيه كتاب
 الزهرة لأبي بكر الأصبهاني ، وكان الحكم قد سجنه لامر نقمه عليه وقيل مات في سجنه
 وانظر في ترجمته جذوة المقتبس ١٠٤ رقم ١٧٦ ، وبغية الملتبس ١٤٠ رقم ٣٣١
 والمغرب (٥٦/١) ومعجم الأدباء (٢٣٦/٤) ونفح الطيب (١٧٣/٣ ، ١٧٥ ،
 ١٧٨ ، ١٩٦/١٨٢ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٥ ، ٦ .

(٣) كذا في الأصل وربما كانت الكلمة الساقطة « نوزها ، أو حسنها » .

(٤) الأبيات في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٣٩ .

رَشْفٌ صِداه فطال ما رَوَى الصَّدَى فِيهِ التَّرشْفُ
واخلع عليه من الرِّيبِ — ع ووشيه بُرداً مُصنَّفُ
حتى تُرى أنواره وكأنها أعشار مُصْحَفُ (١)
وتخال مرفض الندى في روضه شكلا وأحرف

وكتب عمر بن هشام إلى صديق له يستدعيه في رأس الربيع من
جنة له فأحسن إحساناً يقرب على من تأمله ، ويبعد على من رآه :

كتبت والأرض تستطير باستطارة شوقنا إليك ، وتهم أن تستقل بنا
نحوك إذ صرنا بروضة استعارت لون السماء بخضرتها ، وزهر نجومها
بأنوارها ، ويدور تمها بأقمارها . فقد افترشنا ثوب السماء ، وحوينا زهرة
الدنيا ، وبيننا متطلعة إليك بأعناق الغزلان ولسمع حسك مُصيخة الآذان
فإن عجلت فقهت طرباً وتبودرت نُخباً ، وإن أبطأت أظلم في أعيننا
النور ، وكادت الأرض بنا تمور . والسلام .

قال أبو الوليد : في آخر هذه الرسالة من وصف الكؤوس ،
وسرور النفوس بمن خوطب فيها وكوتب بها ما لم أعد به ، ولا قصدت
قصد ذكره لكني لو فصلته منها لأخلت بها ، فمن الأشياء أشياء يزداد
حسنها بما وُصِلت به ، وقرنت معه ، وربما أن في كتابي مثل هذا . فمن
رآه فليعلم أنني إنما أسعى في استكمال الحديث ، واستيعاب الخبر لئلا
أخل بما أبتدئ به بالنقص منه ، ولست أفعل هذا إلا فيما يكون تبعاً لما
أقصد إلى جمعه وأشغل بتأليفه .

(١) في التشبيهات (أنهاء) . عواشر القرآن : الآى التى يتم بها العشر .

ولذي الوزارتين القاضي (١) - أدام الله عزّه ووصل حرزه - قطعة نثر بل نفثة سحر جاوب بها أبا عامر بن أبي عامر - رحمه الله - وقت كونه بإشبيلية ، وقد كتب إليه يسأله إباحة الخروج له إلى بعض ضياعه للتنزه في فصل الربيع .

والقطعة بعد صدرها :

وقفتُ على كتابك - أكرمُ به - وفهمت ما تضمّنه ، وهي أوقات التنزه وأحيان التفرُّج . فقد أشرقَت الأرض ، وزهِيَ الروض ، وأقبل فصل الربيع بكل حسن بديع ، وأفصحَت الطيرُ بعد عُجمتها وأبدت النواوير (٢) غرائب زهرتها ، وكست الورقُ شجرها ، وغطت الزروع مَدَرها فلست ترى إلا خضرة تسطع ، وثماراً تينع تجلو الصدى (٣) من الكبد الحَرى ، وتريح الأسي عن النفوس المرضى ، وقد قال - عليه السلام - رُوِّحوا هذه الأنفس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد ، وهذا كله بما منَّ الله به من الغيث المغيث فله الشكر واصبأ والحمد دائماً على آلائه التي تَتَرى ، ونعمه التي لا تحصى ، وهذا فيضُ بديهته ، وعفوُ سجيته

(١) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد مؤسس دولة بني عباد في أشبيلية وله في العلم والأدب باع ولدوى المعارف عنده بها سوق وارتفاع وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة وأخباره كثيرة متناثره في كتب التاريخ وانظر حول مصادر ترجمته وبعض أخباره كتاب بنو عباد بأشبيلية للأستاذ عبد السلام أحمد الطلود وانظر أيضاً الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣ ، والبيان المغرب (١٩٣/٣) والحلة السراء (٣٩/٢) ومطمح الأنفس ١٦٩ .

(٢) الجمع الصحيح أنوار مفرد النور أو النورة وهو الزهر وقيل الأبيض منه وانظر اللسان (١٠٢/٧) .

(٣) الصدى : العطش الشديد ، وفي هامش الأصل : خضرة ساطعة وثماراً يانعة وأزاهير رائعة .

ولو رَوَى لكان أرفع على أن لا أرفع ، وأبدع على أن لا أبدع - حرس الله
حوباءه وصان ذكائه .

ومن البديع في وصف الربيع ما جاء به أبو عمر يوسف بن
هَارُون الرَّمَادِي (١) في قصيد يمدح به الوزير ابن بلشّر فقال بعد صدر
منه :

« على روضة قامت لنا »

على روضةٍ قامت لنا بدرانك وقام لنا فيها الذبابُ بِمُسْمِعِ (٢)
إذا ما شربنا كأسنا صبَّ فضلها على فصصنا للمُسْمِعِ (٣) المتخلع (٤)
كأن السحابَ الجونَ أعرسَ بالثرى فلاح شوار الأرض في كل موضع (٥)

(١) هو يوسف بن هارون الكندي أبو عمر ويعرف بالرمادي نسبة إلى موضع في
المغرب شاعر قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند العامة والخاصة لسلوكه في
فنون من المنظوم ، وذكر الحميدى أن كثيراً من شيوخ الأدب في وقته يقولون :
فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امرئ القيس والمنتبى ويوسف بن هارون
مدح بشعره بعض الملوك والرؤساء ومنهم الحكم المستنصر ، وكان قد سجن وألف في
سجنه كتاباً سماه (كتاب الطير) وصف فيه كل طائر معروف أطلع عليه الحميدى وأثنى
عليه وتوفى سنة ٤٠٣ ، وانظر في ترجمته جذوة المقتبس ٣٦٩ رقم ٨٧٨ ، وبغية المتلمس
٤٧٨ ، ومطعم الأنفس ٣١١ ، والمغرب (٣٩٢/١) والصلة لابن بشكوال
(٦٣٧/٢) ونفح الطيب (٣٥/٤) والمطرب ٣ ووفيات الأعيان (٢٢٥/٧) والحلة
السراء (٢١١/١) .

(٢) البيت الثالث ، والخامس والسادس من هذه الأبيات في التشبيهات من أشعار
أهل الأندلس ٤٣ .

(٣) كذا في الأصل ، لم أتبين الكلمة ، ولعلها فضلنا .

(٤) يقال تخلع في الشراب : أى انهمك فيه .

(٥) الشثور ، والثيار ، والشوار : الحسن والجمال ، والهيئة واللباس .

رياضٌ يُضاحِكن الغزاة بعد ما بكت فوقها عينُ السماءِ بأربع
 كأن سرورَ الأرضِ حُزنُ سحابِها إذا ما بكتْ لاحتْ لنا في تصنُّع
 حباب لا يسمحن إلا بلحظةٍ وشمة أنفٍ للمحبِّ الممتَّع
 بدائع ما أهدى الوزيرُ بنائهُ إلى صكِّه إلا أتانا بأبدع

شبه خط ممدوحه بالربيع في حسن منظره ، وجمال مخبره ، ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مفضل له مستحسن منه . والغزاة الشمس . يقال طلعت الغزاة ، ولا يقال غابت الغزاة . وقال الأصمعي : الغزاة وقت طلوع الشمس وليست الشمس . والجون من الأضداد يكون الأبيض والأسود . وهو هاهنا الأسود ، والتصنُّع التحسُّن والتزيُّن .

ومن حسن ما له في هذا المعنى قوله في قصيدة يمدح بها العارض أحمد بن سعد بعد وصف سحابة ورعد وبرق وهو :

كستِ الأرضَ بساطاً رائقاً بطئها سندها والأرضُ نَسَجْ
 أخرجتْ أسرارها إذ أخرجتْ ربَّ سرٍّ أخرجَ الصدرَ خرجْ
 كمحبِّ ضاقَ وجداً صدره فبدا ما كان في الصدرِ اعتلجْ (١)
 صاج إن يُبهجك وجهٌ حسنٌ فليكن وجهَ الربيعِ المُبتَهجْ (٢)
 أعرسَ الروضُ ومن قيناته أم من خالف في الاسمِ السِجْ
 تتغنَّى أولاً في رجزٍ فإذا امتدت تُغنِّي في الهزجْ

ثم دخل إلى المدح كدخوله المتقدم فقال :

وكان الروض من خط أبي بكر العارض وشي ودبج

(١) اعتلج : مأخوذ من اعتلجت الأمواج : أي تلاطمت .

(٢) سَجْ ككُرْم سماجة : قبح فهو سَجْ وسِجْ .

قيناته : مغنياته واحدهم قينة . ومن خالف في الاسم السمع :
أراد أم الحسن لأن الحسن ضد السمع .

ولأبي عمر أيضا قطعة حسنة يصف فيها الربيع من قصيد مطول
بديع التشبيهات بديع الصفات يمدح به أبا علي البغدادي - رحمه الله -
والقطعة بعد صدر من القصيد :

التأريخ بين سحائبٍ ومُحوِلٍ	في إثرها وقعت ملاحمٌ تُجْتَلِي
غازٍ إلى جيشٍ بشُهْبِ خيولٍ	فكأنها جيشٌ بدُهمِ خيولٍ
(١) في حَرَبِها وبروقها بُصُولٍ	قامت رواعدها بطبولٍ
في قلبِ كلِّ مُتيمٍ معذولٍ	ولت جنود المحل ثم تحصنت
(٢) منها عروساً من دموعِ ثكولٍ	بكت السحابُ على الرياض فحسنت
وشيُّ يُحاك بلؤلؤ مفصولٍ	فكأنها والطلُّ يُشرق فوقها
منها ظهيرتها ثياب أصيلٍ	غلبت على شمس النهار فألبست
ليحوزها مثلي بغير نُزولٍ	فنزلت في فرش الرياض ولم يكن
لطمت سوائفه يدا مغلولٍ	سلب العمامة بيننا مُتعمم
يهوى بريق حبيبه المعسولٍ	فوضعت في فمه فمي فعل الذي
طرباً فهجن شمائلاً بشمولٍ	غنى الطراة من الذباب لنا بها
(٣) متعاهدٌ من علم إسماعيل	رؤضٌ تعاهده السحاب كأنه

(١) يبدو أن صدر هذا البيت فيه خلل من حيث الوزن ، ولا بد من تقدير كلمة

بين رواعدها وبطبول .

(٢) هذا البيت والذي يليه في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٤٢ .

(٣) المقصود بإسماعيل هنا هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي صاحب

كتاب الأمالي والذي قيلت الأبيات في مدحه كما ذكر أبو الوليد في المقدمة لها .

قوله : فكأنها جيش بدهم خيول البيت . شبه السحاب في اسودادها بالخيول الدهم ، والأرض في أيضاضها قبل النبات بالخيول الشهب . وهذا من أبدع ما استُعير لهذا الموضع ومما حسنه ذكر الغزو بينهما . وقوله : سلب العمامة بيننا متعمم البيت . أراد ظرف الخمر الذي تسميه العامة الكوز شبه مقبضه في عنقه بيدي مغلول . وعمامته فدامه (١) وهو من مخترعاته الطريفة ومبتدعاته الشريفة .

ومما حسن له - رحمه الله - في هذا المعنى قطعة من قصيدة شأى فيها من تقدم يمدح بها ابن القرشية ، وهو عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (٢) بعد أبيات غريبة في صفات عجيبة وهي أعني القطعة :

تأمل ياثر الغيم من زهرة الثرى	حياة عيونٍ مُتَنِّ قبل التَنُّمِ (٣)
كأنَّ الربيع الطلق أقبل مُهْدِيَاً	بطلعةٍ معشوقٍ إلى عين مُعْرِمِ
تعجبت من غوص الحيا في حشا الثرى	فأفشى الذي فيه ولم يتكلم
كأنَّ الذي يسقى الثرى صِرْفَ قهوةٍ	تئمُّ عليه بالضمير المكتم
أرى حسناً في صفحةٍ قد تغيَّرت	كبشراً بدا في الوجه بعد التجهُّم
ألا يا سماء الأرض أعطيت بهجةً	تطالعنا منها بوجهٍ مُقسِّمِ

(١) الفدامة : شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي .

(٢) ذكره صاحب الحلة السيرة وأشار إلى أنه من ذوى القعدد في بنى مروان ، وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « أئى القرشية » لأن أمه فاطمة بنت الأمير أئى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر الحلة السيرة (٢١٠/١) .

(٣) الأبيات في الحلة السيرة (٢١١/١ ، ٢١٢) لأئى عمر يوسف بن هارون الرمادى .

وإن قالت الأرض المنعم أرضها
فخضرة ما فيها يفوقك خضرة
وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا
بعبد العزيز بن الخلائف والذي
لي الفضل في فخري عليك فسلمي
ونوارها فيها ثواقب أنجم
مُفاخرة جاءت بأسني وأكرم
جميع المعالي ينتمي حيث ينتمي

ودخوله في هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعاني التي سبق فيها ، واستولى على الأمد بها . وقوله : كأن الذي يسقى الثرى صرف قهوة البيت . شبه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسرارهُ المكتومة بالقهوة . وقوله : ينم مستقبل من النيمة . يقال ينم بكسر النون وضمها والكسر أفصح . وقوله : بوجه مقسم أي محسن من القسام وهو الحُسن . وقوله : فسلمي أراد : فأذعني لها وأقرّي بفضلها .

ولعبد الملك بن نُفَيْل قطعة مُحْكَمَة في هذا المعنى كتب بها إلى المنصور أبي عامر بن أبي عامر (١) - رحمه الله - بأرملاط :

انظرُ إلى حُسنِ الزمان كأنما
يلقاك عن بشرٍ لوجهك مُبشِرٍ
بكتِ السماءُ على الرُّبى فتبسّمت
منها ثغورٌ عن عقائلِ جُوهِرٍ
أهدى الربيعُ إليه سكب سَمائِهِ
فكسَا الثرى من كل لونٍ أزهرٍ

(١) هو المنصور عبد العزيز بن الناصر بن المنصور بن أبي عامر تولى شؤون بلنسية سنة ٤١٧ ، وقيل سنة ٤١٢ ، وكان باراً بأهل بيته وبالرعية ، وخاطب لأول حينه الخليفة بقرطبة القاسم بن حمود ، وقد توطن سلطانه وطالت أمارته إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، وتوفى في ذى الحجة منها .

انظر المغرب (٣٠٠/٢) والبيان المغرب (١٦٤/٣) والذخيرة القسم الثالث المجلد الأول

ضحكت متون الأرض عند بكائه
وكذاك لم تكشف سريرة روضة
غيث أَرانا كلَّ نور ضاحكاً
مُتبخترٌ في مشيه فكأنه
وكأنما زهرُ الرياض كواكبٌ
فصيل السرورَ بقهوةٍ مشمولةٍ
عن أبيضِ يَقَقِ يروق وأصفرٍ^(١)
يوماً بأفصحٍ من غمامٍ مُمطرٍ
مُتطلّعاً منها بنورٍ أنورٍ
ثانٍ لها عطفاً وكاسيرٍ مَحجِرٍ
حسرت لنا عن كلِ أزهَرٍ مُقمِرٍ
تُغنيك عن قبسٍ ومِسكٍ أذفرٍ^(٢)

شبهه بشر الزمان ببشر وجهه ممدوحه في أول بيت ، وشبهه ضياء
الخمير بالقبس ، ويرجها بالمسك إذا أقامها مقامها في آخر بيت .

وللكاتب أبي الإصبع عيسى بن عبد الملك بن قزمان^(٣) من جملة
قصيد مطول قطعة في هذا المعنى وهي أثر وصف البرق :

كم ذا أكن ضميره من روضة
يُخفي ويضميره الحيا فكأنه
حتى إذا ما عانق الروض الثرى
متخالفات في الرّبي فنظائر
ترئو إليك جفونها عن أعين
لا شيء أحسن منظراً إن قستّه
والغيث ملآن بنور زاهرٍ
بحرٌ تستر فيه نور جواهرٍ
طلعت أوائل نبتة المتظاهرٍ
حُسناً وفي الألوان غير نظائرٍ
أجلى وأملح من عيون جاذرٍ
أو مخبراً من حُسن روض ناظرٍ^(٤)

(١) يقال أبيض يقق : أى شديد البياض .

(٢) الذفر والذفرة : شدة الرائحة .

(٣) شاعر وأديب معدود في علماء الحديث والأدب ، وكان المنصور بن أبى عامر

قد جعله يؤدب هشاماً المؤيد ، انظر جنوة المقتبس ٢٩٩ ، وبغية الملتبس ٣٩١ ،
والمغرب (٢١٠/١) وبيمة الدهر (٣٤/٢) .

(٤) هذا البيت والذي يليه في المغرب (٢١٠/١) ورواية صدره (لا شيء

أحسن منظراً إن زرته) .

إِنْ جِئْتَهُ أَعْطَاكَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ أَوْ غَبَّتْ زَادَكَ فِي النَّسِيمِ الْحَاضِرِ
 وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ سَلِيمَانَ بْنِ بَطَّالِ الْمَتَلَمِّسِ (١) فِي هَذَا الْمَعْنَى

فَأَحْسَنُ :

تَبَدَّتْ لَنَا الْأَرْضُ مَزْهُوَّةً عَلَيْنَا بِيَهْجَةٍ أَثْوَابِهَا (٢)
 كَأَنَّ أَزَاهِرَهَا أَكُوسٌ حَدَّثَهَا أَنَامِلُ شُرَابِهَا
 كَأَنَّ الْغَصُونَ لَهَا أَذْرُعٌ تُنَاوِلُهَا بَعْضُ أَصْحَابِهَا
 وَقَدْ أَعْجَبَ النَّوْرَ فِيهَا الذُّبَابُ فَيَهْرَجُ مِنْ فَرْطِ إِعْجَابِهَا
 كَأَنَّ تَعَانِقَهَا فِي الْجَنُوبِ تَعَانِقُ خَوْدِ وَأَتْرَابِهَا
 كَأَنَّ تَرَقُّقَ أَجْفَانِهَا بُكَاهَا لِفُرْقَةِ أَحْبَابِهَا

مزهرة : مفعولة من الزهو ومعناه متعجبة من حالها متكبرة
 لجمالها . وترقُّق الأجفان : امتلاؤها بالدمع ، واستعار للنور أجفاناً .

وقال محمد بن مسعود البجاني (٣) فأحسن في الوصف كل

الإحسان :

(١) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوس المعروف بالمتلمس فقيه
 مقدم وشاعر محسن كثير الشعر كان قريباً من الأربعمائة وهو صاحب كتاب الأحكام
 فيما لا يستغنى عنه الحكام . انظر جذوة المقتبس ٢٢٢ - رقم ٤٤٨ ، وبغية المتلمس
 ٢٨٢ رقم ٧٦٢ ، ونفح الطيب (٢٩٢/٣) .

(٢) الأبيات ما عدا الرابع منها في التشبيهات ٤١ ، ٤٢ ، وزاد بيتا هو :

ترى خمرها من رضاب الهوى لآلئ في عين مرتابها

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن مسعود الغساني البجاني ، أصله من بجانة وسكن

قرطبة فنسب إليها ، وكان شاعراً مشهوراً منتجاً للملوك كثير الشعر مليح الغزل ، طيب
 الهزل ، كان في حدود الأربعمائة ، جذوة المقتبس ٩٢ رقم ١٤٨ ونفح الطيب

(٣٨٨/٣) .

أما ترى الأرضَ الَبِسْتَ حُللاً
 كأنَّ أشجارها وقد كُسِيتْ
 من أحمرٍ كالعقيقِ منظرُهُ
 وأبيضٍ فوقه سقيطُ ندى
 وثمرٍ في الغصونِ تحسبه
 أو أنجمِ الشرقِ بانَ مَطْلَعُها
 خرائدٌ يلتقِينَ في عُرْسِ
 والماءِ يجري خِلالَ ساحتِها
 وللصِّبَا نَفْحَةٌ تُذَكِّرُنَا
 والطيرُ في أيكها مَعْرَدَةٌ
 أعجَبَ بها من نواطقِ خُرْسِ
 تُفهِمُنِي عَجْمَةٌ بِألسِنِها
 من نسجِ أيدي السحائبِ الصُّوبِ (١)
 بدائِعاً من حُلِيِّها المَعجَبِ
 وأصفرٍ كالفريدِ لم يُثَقِّبِ
 كماءٍ وردٍ في عنبرِ أشهبِ
 جامدِ خمرٍ في الجوّ لم يُسَكِّبِ
 فَسِرْنَ من مشرقٍ إلى مَغْرِبِ
 تسكُنُ حيناً وتارة تَلْعَبُ
 كأنه جِسْمُ فضةٍ ذُوبِ
 طيبِ نسيمِ الصبَا فما أطيَّبِ
 كأنها في منابرٍ تخطُبُ
 تُوجِزُ حيناً وتارة تُسَهِّبُ
 معنى الكلامِ المبيِّنِ المَغْرِبِ

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد (٢) - رحمه الله - في الربيع قطعة

(١) يقال صاب صوباً ومصاباً : المطر : انصب ونزل ، والشئء جاء ونزل من

عل .

(٢) هو أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن وضاح الأشجعي شاعر وأديب مشهور من أدباء الأندلس يعود إلى أسرة شامية كانت قد استقرت في أسبانيا في حكم عبد الرحمن الأول ، ولد في قرطبة سنة ٣٨٢ ، وبلغ مكانة كبيرة في الأدب واستوزه المستظهر ثم المعتمد بالله وهو صاحب الكتاب المشهور « رسالة التوايح والزوايح » وتوفي سنة ٤٢٦ وانظر في ترجمته مطمح الأنفس ١٨٩ ، وجذوة المقتبس ١٣١ رقم ٢٢٩ وبغية الملتبس ١٧٧ رقم ٤٣٧ ، والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٩١ والمغرب (٧٧/١) والمطرب ١٥٨ ، ووفيات الأعيان (١١٦/١) ومعجم الأدباء (٢١٨/١) ومقدمة ديوانه جمع يعقوب زكي .

عجبية من قصيدة طويلة مشتملة على أوصاف سواها مستغربة ، ومعان غيرها مستعذبة . والقطعة :

سَهْر الحيا برياضِها فأسأها والنَّورُ نائمٌ^(١)
 حتى اغتَدتْ زَهْرَاتها كالغَيْدِ باللُّججِ العوائِمِ^(٢)
 من ثَبَّاتٍ لم تُبَلِّ كَشَفِ الخدودِ ولا المعاصِمِ
 وصِغارِ أبكارٍ شكَّتْ حَجَلًا فعازتْ بالكمائمِ
 حَيَّيتُ بطوفانِ الحيا فَتَضاحكتُ والجُوِّ واجِمِ^(٣)
 أصنافُ زَهْرِ طُوقَتْ دُررًا تذبذبٌ بكفِّ ناظِمِ
 من باسمِ باكٍ إلي — كِ نِدِ وياك وهو باسمِ

وقال الوزير أبو عامر بن مَسْلَمَةَ^(٤) يصفه بوصف أبدع فيه وأغرب وأنبأ عن حدقه وأعرب . أنشدنيه موصولا بوصف الحاجب - أدام الله عزّه ووصل حرزّه - وهو :

(١) الأبيات في ديوانه المجموع ١٥٥ ، وهي من قصيدة طويلة في مدح عبد العزيز المؤمن والحيا : المطر لإحيائه الأرض .

(٢) جمع لُجَّة : معظم الماء ، ويقال بحر لجاج أى واسع .

(٣) الحيا : المراد به المطر لأنه يحيى الأرض .

(٤) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة وزير وأديب عالم شاعر من بيت أدب ورياسة سكن إشبيلية وله كتاب سماه « الارتياح بوصف الراح » أطلع عليه الحميدى وذكر أنه اشتمل على ما قيل في الراح والرياض والبساتين والنواوير ، وقد انتجع المعتضد بن عباد وقيل هو الذى أذاقه حتفه ، والمعتضد هو صاحب إشبيلية من سنة ٤٣٤ - ٤٦٤ ، وانظر الجدوة ٦٥ رقم ٨٩ ، وبغية الملتبس ٨٠ رقم ١٦٠ ، والمغرب (٩٦/١) ومطمح الأنفس ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، الذخيرة القسم الثانى المجلد الأول ١٠٥ .

أهلاً وسهلاً بوفود الربيع
 كأنما أنواره حُلَّة
 أحبُّ به من زائرٍ زاهرٍ
 بثَّ على الأرضِ دَرَانِيكَه
 كأنما الحاجب ذو المَنِّ والـ
 أهدى إليه طيبَ أخلاقه
 لا زال يبقى سالماً ما دعت
 وثغره البسَّام عند الطلوع^(١)
 من وشي صنعاء السرى الرفيع
 دعا إلى اللهو فكنتُ السميع
 فكلُّ ما تُبصِرُ منها بديع^(٢)
 إحسان إسماعيل مولى الجميع
 فنحنُ منها دَهْرَنَا في ربيع
 قُمْرِيَّةٍ في فَنِّ ذِي فروع

وقال أبو بكر عبادة بن ماء السماء^(٣) يصفه بأوصاف بديعة

وتشبيهات رفيعة وبدأ بذكر سحابة :

وَلَعُوبٍ عَشِيقَتْ رَوْضَ الثَّرَى
 فَيَرَى الرَوْضُ إِذَا مَا وَصَلَتْ
 عَطْرًا مُلْتَبِسًا مُلْتَحِفًا
 كَمَحَبِّ زَارٍ مَحْبُوبًا لَهُ
 وَإِذَا مَا وَدَّعَتْ أَبْصَرْتَهَا
 تَلْحَظُ النَّوْرَ بِلِحْظِ فَاتِرٍ
 فَهِيَ تَأْتِيهِ عَلَى طُولِ الْبَعْدِ
 أَرِجَ الْعَرَفِ مِنَ الطَّيِّبِ الْجَسَدِ^(٤)
 فِي سَرَايِلَ مِنَ الْحَسَنِ جُدُدُ
 فَتَحَلَّى لِلِقَاهُ وَاسْتَعَدُّ
 فِي نَحْوِ الْعَاشِقِ الصَّبِّ الْكَمِدُ
 مِثْلَ جَفْنِ حَائِرٍ فِيهِ رَمَدُ

(١) الأبيات ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ في الذخيرة القسم الثاني المجد الأول ١١١ .

(٢) الدرانيك : البسط .

(٣) هو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عباد الأنصاري الخزرجي ويعرف بابن

ماء السماء شاعر وأديب وعالم عاش في الفترة العامرية وأو لها دولة بنى حمود ومدح
 أمراءها ، أوله كتاب في أخبار شعراء الأندلس توفي سنة ٤١٩ وقيل كان حيا عام ٤٢١ ،
 وانظر جذوة المقتبس ٢٩٣ رقم ٦٦٢ ، وبغية الملتبس ٣٨٣ رقم ١١٢٣ ، والذخيرة
 القسم الأول المجلد الأول ٤٦٨ ومطمح الأنفس ٣٤٤ .

(٤) أريج العرف : أريج أرجا وأريجا وتأرج : فاحت منه رائحة طيبة والعرف بفتح

العين وسكون الراء : الرائحة مطلقا وأكثر استعماله في الطيبة .

وجفونُ النَّورِ تَهْمِي بالبكا
فهما في حَيْرَةٍ عند النَّوى
كجفونِ الصَّبِّ من فَقْدِ الجِلْدِ
كمجِبِّينَ أَحْسًا بِالْبَعْدِ

ولأى بكر أيضاً قطعة بديهة وهي :

أما ترى باكرَ النَّورِ الذي نجما
والقَطْرُ ساقٍ له والبرقُ يُعْجِبُه
كأنه سِلْكُ دُرِّ حُلٍّ أو كَلِفٍ
كأن مُبْدِئُه في الأفقِ مُنتَثِراً
فلا تُرَدُّ على السَّاقِي حُكومتُه
فإنَّ دينَ الهوى راضٍ بما حَكَمَا

أشار إلى حسن الساقى في آخر بيت .

وأحسَنُ منها مجتلى ، وأطيبُ مجتنى في هذا المعنى ما أنشدنيه
لنفسه الفقيه أبو الحسن بن عليّ (٢) ممتوجاً يمدح الوزير أبا بكر عبد الله
ابن ذي الوزارتين القاضي - أعزهما الله - وهو :

قد قلت للروض ونوّاره
وعرفه مختلف طيبه
ووجه عبد الله قد لاح لي
نوعانٍ تَبْرِيٍّ وِفْضِيٍّ (٣)
صِنْفانٍ خَمْرِيٍّ وَمِسْكِيٍّ
وهو من الهجة دُرِّيٍّ

(١) نجم نجومًا : ظهر وطلع .

(٢) هو علي بن عبد الله بن علي المعروف بالاستبحى من أهل الأدب والفضل
وكان فقيها نحويًا من أهل قرطبة وسكن إشبيلية . جدوة المقتبس ٣١٤ وبغية الملتمس
٥٠٥ رقم ١٥٢٢ ، والذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٠٠ .

(٣) الأبيات في بغية الملتمس ٥٠٦ ، وما عدا الأخير منها في الذخيرة القسم الثاني
المجلد الأول ٢٠٠ .

شِمَّ غَرَسَكَ الْأَرْضِي إِنْ الَّذِي أَبْصَرْتَهُ غَرَسٌ سَمَاوِيَّ
 حَسْنُكَ نُورِي بِلَا مَرِيَّةٍ وَحُسْنُ عَبْدِ اللَّهِ نُورِي
 أَضْحَى صَغِيرًا وَهُوَ فِي قَدْرِهِ نِيلاً كَبِيرَ الشَّأْنِ عَلَوِيَّ
 قوله : شِمَّ أمر من شام يَشِيم إذا سَلَّ ، وأعمد من الأضداد وهو
 ها هنا الإغماد . ومعنى القطعة أنيق ومغزاها دقيق .

ومن الصفات المطبوعة في الكلمات المصنوعة قطعة لأبي الحسن
 أيضاً أنشدنيها وهي :

وَقَفْتُ عَلَى الرَّوْضِ فِي يَوْمِ طَشٍ وَلِلدَّجِنِ ظِلٌّ كَظَلِّ الْعَبَشِ (١)
 وَقَدْ صَقَلَ الطَّلُّ نُورَهُ وَأَذْهَبَ مَا فَوْقَهُ مِنْ نَمَشٍ
 فَمَا غُصْنٌ يَشْتَكِي عُظْلَةً وَلَا شَجَرٌ يَتَشَكَّى عَطَشٍ
 تَرَى النَّبْتَ صِنْفَيْنِ مِنْ بَهْجَةٍ فَمِنْ مُسْتَقِلٍّ وَمِنْ مُنْعَرِشٍ (٢)
 وَمِنْ لَابِسٍ ثَوْبَ طَاوُوسَةٍ وَمِنْ مُتَرَدِّدٍ بَوْشِي الْحَنْشِ (٣)
 وَفِصٌّ مِنَ النَّوْرِ لَمْ يَنْتَقِشْ وَثَانٍ لَطِيعَ الْمَنَى قَدْ نُقِشَ
 جَمَالٌ يُحَيِّرُ لُبَّ الْفَتَى وَيُكْسِبُهُ مِنْ سُرُورٍ دَهْشَ

ومن النهاية في الحسن والإحسان قول أبي عبد الله محمد بن
 سليمان المعروف بابن الحنَّاط (٤) في قصيد أوله :

(١) الطش : المطر الضعيف ، والغبش : بقية الليل أو ظلمة آخره .

(٢) يقال عَرَّشَ الكرم : ارتفعت دواليه على الخشب .

(٣) الحنش : نوع من الحيات .

(٤) هو محمد بن سليمان الرعيني أبو عبد الله البصير يعرف بابن الحنَّاط لأن أباه

كان يبيع الحنطة في قرطبة كان متقدماً في الأدب والبلاغة والشعر ، وشعره كثير مجموع
 مدح الملوك والوزراء وكانت بينه وبين ابن شهيد مناوشات ومعارضات ، واتصل بدولة
 بني حمود ومدح أمراءها وتوفي سنة ٤٣٧ ، وانظر جذوة الملتبس ٥٧ رقم ٦٠ ، وبغية
 الملتبس ٦٧ رقم ١٢٤ والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٣٧ ، نفع الطيب
 (٤٨٣/١) والتكملة (٣٨٧/١) والذيل والتكملة (٢٢١/٦) والمغرب
 (١٢١/١) .

راحت تذكّر بالتّسيم الراحا وطفاءً تكسير للجَنُوحِ جَناحا (١)
يعني السجّاب . ثم خرج من وصفها بعد أبيات إلى وصف
الروض .
فقال :

جادتْ على التَّلعاتِ فاكتست الرُّبى حُللاً أقام لها الربيع وشاحا (٢)
فانظر إلى الروض الأريض وقد غدا لبكا الغوادي ضاحكاً مُرتاحا
والنور ييسط نحو ديمتها يداً أهدى لها ساقى الندى أقداحا
وتخاله حياً الحيا من فَوْحِهِ بِذَكِيهِ فإذا سقاه فاحا

وأخبرني الفقيه أبو الحسن بن علي قال : كان في داري بقُرْطُبَة
حائر صنّع فيه مَرَجٌ بديع ، وظلّل بالياسمين . فنزّهتُ إليه أبا حفص
التَّدْمُرِيّ في زمن الربيع . فقال : ينبغي أن تُسمّي هذا المَرَجَ السُّنْدُسَةَ ،
وصنع على البديهة أبياتاً تشاكل هذا الباب وتطابق غرض الكتاب وهي :
نهارٌ نعيمك ما أنفسه وررّع سرورك ما آنسه
تأمل وقيت ملّم الخطو ب فعل الربيع وما أسسه
بحائر قصرِكَ من صوغه دنائيرُ قد قارنتُ أفلسه (٣)
وأسطارُ نورٍ قد استوسقت وسطرٌّ على الغمر قد طلّسه (٤)

(١) البيتان الأول والثاني في الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٤٤٥ ، والبيت
الأول منها في نفع الطيب (٤٨٣/١) والأبيات في المغرب (١٢٢/١) وهي من قصيدة
في مدح علي بن حمود العلوي وفي البيعة ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٢) التلعات : ما علا من الأرض .

(٣) بحائر : لعله من الحور : وهو شجر يشبه الصفصاف .

(٤) استوسقت : اجتمعت وانقادت ، والغمر : الماء الكثير ، ومعظم البحر ،

وطلّسه : محاه .

ونبت له مدرع أخضر بصفرة أصباغه ورسة (١)
فأبدع ما صاغ لأكفه أجل بدائعه السندسه
مدارغها خضرة غضة أعاد النعيم لها ملبسه
كان الظلال علينا بها أواخر ليل على مغلسته
كان النواوير في أفقها نجوم تطلعن في حنسته
ومهما تأملت تحسبها فعيني بقرتها مغيرسه
محل لعمرك قد طيب الـ إله ثراه وقد قدسه

المغلسة : جمع مغلس وهو الداخل في الغلس .

ولصاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية (٢) في هذا المعنى الذي
غرّضت إليه في كتابي ، وقصدته بتألفي نوادر مبتدعة ومعان مخترة ،
وقطع من السحر مقتطعة ستقع في أبوابها وتوضع مع أشكالها .

فمن بديع ما أنشدنيه قوله :

ضحك الثرى وبدالك استبشاره واخضر شاربه وطر عذاره (٣)

(١) مدرع : الدراعة والمدرعة : نوع من اللباس أو الثياب أو الحبة المشقوقة
المقدم .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية أصله من
إشبيلية وسكن قرطبة كان أدبياً وشاعراً وعالماً بالنحو واللغة وأخبار الأندلس وأحوال
فقائها وشعرائها وكان هو صاحب الشرطة ، وله كتاب الأفعال ، وكتاب المقصود
والممدود ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، وانظر بغية الملتبس ٥٠٤ رقم ١٥١٨ ، وإنباه
الرواه (١٧٨/٣) ومعجم الأدباء (٢٧٢/١٨) ووفيات الأعيان (٣٦٨/٤) وبيمة
الدهر (٧٣/٢) والذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢١٥ .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ في بغية الملتبس ٥٠٤ والأبيات ١ ،
٢ ، ٣ ، ٤ في نفع الطيب (٢٥/٤) ومعجم الأدباء (٢٧٦/١٨) وطر عذاره : طر :
طلع ، والعذار : ما سال من اللجام على خد الفرس ، وجانب اللحية أى الشعر الذي
يحاذى الأذن .

وربَّتْ حَدَائِقَهُ وَأَزَّرَ نَبْتَهُ
 وَاهْتَزَّتْ ذَابِلُ نَبْتِ كُلِّ قَرَارَةٍ
 وَتَعَمَّمَتْ صُلْعُ الرِّبَا بِنَبَاتِهَا
 وَكَانَتْما الرُّوضُ الْأَنْيَقُ وَقَدْ بَدَتْ
 بِيضاً وَصُفْراً فَاقْعَاتِ صَائِعِ
 سَبَكِ الْخَمِيلَةَ عَسْجِداً وَوَذِيلَةَ
 فَتَوَسَّدَ الدِّيَابِجَ وَافْتَرِشْنَ لَهُ الـ
 وَتَضَوَّعَتْ رِيحُ الرِّيَاضِ كَأَتْمَا
 فَاشْرَبَ إِذَا اعْتَدَلَ الزَّمَانُ وَوَزَنَهُ

وتفطرت أنواره وثماره
 لما أتى متطلعا آذاره
 وترنمت من عجمة أطياره
 متلونات غضة أنواره
 لم ينأ درهمه ولا ديناره
 لما غدت شمس الظهيرة ناره
 شوي الذي من غير صنعا داره (١)
 فت العبير بأرضها عطاره
 وإذا استوى بالليل منه نهاره

شبه الروض بالصائغ ، وأبيض نوره وأصفره بدرهمه ودنانيره .
 والخميلة مُسترق الرملة . والوذيلة الصفيحة من الفضة وجمعها على
 فعائل .

وأبدع من هذا وأطبع ما أنشدنيه أيضا لنفسه :

لما رأى العامَ زمانَ الرِّيبِ
 أجزى إلى غايته مُجْهِداً
 والنور قد بتَّ دنانيره
 استعمل الحيلة لما وني
 فقال أسلفني يوماً بشهـ
 هذا الرِّبا والله في وحيه الـ

ع الطلق قد نشر عرف الكبا (٢)
 فكلما رام لحاقاً كبا
 مفضضاً إن شئت أو مذهباً
 ولم يجد عن قصده مذهباً
 ر فأجابته رياض الرِّبا
 منزل قد حرم فعل الرِّبا

ومما يوازي هذه القطعة رقّة ويشاكلها دقة قوله :

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب (وافترشت) مما يناسب سياق المعنى في

البيت .

(٢) الكبا : بكسر الكاف عود البخور .

قد أخذ الأفق في البكاءِ واغرورت مُقلّة السماءِ
 فالأرض إن أظهرت جفاءً أرسل عينيه بالبكاءِ
 كأنه عاشقٌ مشوّقٌ يشكو هواه إلى الهواءِ
 مُرجياً أن يُلينَ منها ما أظهرته من الجفاءِ
 حتى إذا راضها سَفيراً حدّت بوجهٍ من الحياءِ
 وانتقبت بالنبات عنه والتحفّت منه في رداءِ

وللوزير الكاتب أبي حفص بن بُرد (١) في هذا المعنى قطعة نثر
 مقطعة من السّحر في رسالة كتب بها عند صدّره من دانية إلى الوزير
 الكاتب أبي إسحاق بن حُمام ، وقد خرجا مُتتزهين في ما يقرب من
 مدينة قرطبة في زمن الربيع يصف حسن شمائلها ويورد شرف فضائلها .

وهي أعني القطعة بعد صدر :

كيف شاهدت أنهارها ، وقد درت عليها أخلاف الأنوار
 فأناقتها ، وأنوارها ، وقد سرّت اليها خيالات الأنداءِ فأرقتها ، وكيف
 تأملت الربيع وقد صاغ لمفارقها تيجانا ، وفتق لمعاصمها أردانا ، فكأنما
 راسلت الأرض زهرُ النجوم ، مع كُدرِ الغيوم أن تُبديها عند جلائها ،

(١) هو أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن الأصغر كاتب بليغ الكتابة وشاعر
 مليح الشعر من أهل بيت أدب ورياسة له رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم ، ويعد
 بهذه الرسالة أول من كتب في هذا اللون من الأدب في الأندلس كما أفاد الحميدى وأشار
 إلى أنه رأى ابن برد في المريّة بعد الأربعين وأربعمائة وانظر جنوة المقتبس ١١٥
 رقم ١٩٢ ، وبغية الملتبس ١٥٣ رقم ٣٥٤ ، والمغرب (٨٦/١) والذخيرة القسم الأول
 المجلد الأول ٤٨٦ ، ومطمح الأنفس ٢٠٧ ، والمطرب ١٢٧ ونفح الطيب (٥٤٦/٣) .

في هيئة سمائها ، وكيف عانيت انشقاق تلك الأباطح ، عن نهرها السابح ، كأنه فضة تحتها نار ، فليس لها أبداً قرار ، يلبس للريح لأمة ، ويُسلُّ على الشمس صَمَّصامه .

قوله : أخلاف الأنواء من حسن الاستعارة . وأتأقها ملأتها . وبعد هذا وقبله من المعاني الطريفة والنوادر الظريفة ما يحلُّ من الأسماع محلَّ السماع ويجري على الأفواه مجرى الأمواه ولكنها ليست مما قصدتُ إلى جمعه ولا عُنيْتُ بذكره .

قال أبو الوليد : فجاوبه الوزير الكاتب أبو إسحاق بن حُمام عن تلك المعاني بشكلها براعةً وبزاعة ، وعلى تلك الفصول بمثلها صياغةً وصناعة . وفي آخر جوابه أوصاف في أصناف النواوير ، وتشبيهات لأنواعه الأزاهير تُعجب متأمليها ، وتعجز متبعيها . وهي إثر ذكر الأنواء :

قد نسجت لها من زهر الربيع حلاً ، وسقتها من مجاجتها (١) عذباً غللاً ، وأطلعت فيها آثار الغيوم ، أشباه النجوم ، فازدانت بأبهج لبوس ، وبرزت للناظرين في حلي العروس ، كأنما اختلست لفظك فلبسته أو أمكنها كلامك فتوشحته ، فمن قانيء صبغ الهواء غلائله ، وغذت السماء خمائله لا يشتكي من نداها بشرق ، ولا بيت من ظمأٍ على فرق ، حتى بدا في لون شفق ، فكأنما شرب رحيقاً ، أو لبس عقيقاً ، أو كأنما خاف عذلاً فاحمر خجلاً يحمل من طله فرائد ، كأنها أدمع خرائد ، أو فاقع يجنيك تبراً ، ويريك من لونه سحراً ، يلقاك من حسنه في أجمل منظر ، ويختال من جلايبه في معصفر ، كأنما خافت

(١) مُجاج المزن : المطر ، ومجاج النحل : العسل .

هجرأ ، واستشعرت ذعرا ، ترنو اليك بمقل حسان ، لا تنطبق منها
الأجفان ، فكأنما تشكو سهراً ، أضعف منها نظراً ، إلى تحاسين (١) قد
لبست ثوب بهائها ، وضحكت عن بكاء سمائها ، تروك من حسنها
فنون ، وترنو نحوك منها عيون ، فمن بصير وأكمه وكحيل وأمره .

قوله عذباً غللاً الغلل الماء الجاري بين الأشجار عن الأصمعي .
أبو عبيدة : الغلل الماء الظاهر الجاري وهو الغيل أيضاً . والقانيء
الأحمر . والفاقع الأصفر ويقال في الأسود : حالكٌ وحانكٌ . وفي
الأبيض يَقُقُ . والأكمه المولود أعمى . والأمره الذي لا يكتحل .

ومن السنّي البديع ، والسّرّي الرفيع ، في فصل الربيع ،
ما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر بن الأبار (٢) موصولاً بمدح الحاجب وهو :
لبسَ الربيعُ الطلق بُردَ شبابه وافتَرَّ عن عُتْباه بعدَ عِتَابِهِ (٣)
ملكَ الفصول حبا الثرى بثرائه مُتبرِّجاً لِهَوَاهِ وهِضَابِهِ
فأراك بالأنوارِ وشيَ بروده وأراك بالأشجارِ خُضرِ قِبَابِهِ

(١) التحاسين : جمع التّحسين اسم بنى على تفعيل .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي الأشبيلي المعروف بابن الأبار
الشاعر المشهور كان من شعراء المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية كان عالماً جمع وصنف
وله في صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة
وانظر جذرة المقتبس ١١٥ رقم ١٩٠ ، المغرب (٢٦٤/١) والذخيرة القسم الثاني المجلد
الأول ١٣٥ ، ونفح الطيب (٤٧٧/٣) ووفيات الأعيان (١٤١/١) .

(٣) افتَرَّ : ضحك ضحكاً حسناً .

أَمْسَى يُذْهِبُهَا بِشَمْسٍ أَصِيلِهِ وَعَدَا يُفَضِّضُهَا بِدَمْعِ جَنَابِهِ
عَقْلَ الْعَقُولِ فَمَا تَكَيَّفَ حَسَنَهُ وَثَنَى الْعَيُونَ جَنَائِبًا بِجَنَابِهِ
بِالْحَاجِبِ الْمَأْمُورِ أَضْحَكَ ثَغْرَهُ فَرِحًا وَأَنْطَقَ جَهْرُنَا بِصَوَابِهِ
بِعِمَادِ هَذَا الدِّينِ وَالْمَلِكِ الَّذِي تَتَبَادَرُ الْأَمْلاكَ لَثَمَ رِكَابِهِ
هَزَّ الصَّعَادَ فَأُرْعِدَتْ مِنْ خَوْفِهِ وَعَلَا الْجِيَادَ فَأَصْبَحَتْ تُزْهِى بِهِ

عُتْبَاهُ رِضَاهُ . وَعِتَابُهُ سَخَطُهُ . وَوَهَادَهُ الْمَوَاضِعَ الْمُنخَفِضَةَ .
وَنَجَادَهُ الْمُرْتَفِعَةَ . جَنَائِبًا مَقُودَةً إِلَيْهِ مَوْقُوفَةٌ النَّظْرَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ : هَزَّ الصَّعَادَ
جَمْعُ صَعَدَ وَهِيَ الْقَنَاةُ الثَّابِتَةُ مُسْتَقِيمَةً لَا تَحْتَاجُ إِلَى ثِقَافٍ وَتَقْوِيمٍ .
وَلَهُ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى قِطْعَةٌ بَدِيعَةٌ الْغَرَضُ مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ أَبِي
- وَقَاهُ اللَّهُ بِي - وَهِيَ :

إِسْتَبَشَرَ الدَّهْرُ بَعْدَ مَا اسْتَبَصَّرَ فَرَاقَ مِنْهُ الرِّوَاءُ وَالْخَبِيرُ
وَجَرَّدَ الْجَوُّ ثُوبَ دُكْنَتِهِ وَاکْتَسَتِ الْأَرْضُ ثُوبَهَا الْأَخْضَرَ^(١)
وَأَضْحَكَ عَنْ بَدِيعِ زَهْرَتِهَا لَمَّا بَكَى الْغَيْثُ قَبْلُ وَاسْتَعْبَرَ
مَا دَرَّ دُرُّ الْغَمَامِ مَنْتَرًا إِلَّا انْتَحَى الرُّوضُ نَظْمَ مَا يَنْثُرُ
وَلَا انْتَضَى الْبُرُقُ فِيهِ أَنْصَلُهُ إِلَّا دَمُ الْمَحْلِ بَيْنَهَا يُهْدَرُ
لَوْلَا عَقِيْقُ الْبُرُوقِ حِينَ سَرَى لَمْ يَكُنِ الرُّوضُ يُشِعِّرُ الْجَوْهَرَ
حَدَائِقُ بَلْ كَأَنَّهَا حَدَقُ تَهَجُّعٌ طَوْرًا وَتَارَةً تَسْهَرُ
إِذَا صَبَّتْ نَحْوَهَا الصَّبَا فَتَقَّتْ لِلْأَنْفِ مَسْكَا . مِنْ رَدْعِهَا أَذْفَرُ^(٢)
أَرْضٌ تَبَاهِي السَّمَاءَ مُشْرِقَةً بِكُلِّ نَجْمٍ مِنْ زَهْرِهَا أَزْهَرُ
وَقَبْلُ مَا فَاخَرَتْ كَوَاكِبَهَا بِالْغُرِّ وَالصَّيْدِ مِنْ بَنِي جَمِيرٍ

(١) الدُّكْنَةُ : لَوْنٌ يَمِيلُ إِلَى السَّوَادِ .

(٢) الرَّدْعُ : الْعِنَقُ ، وَالذَّفْرُ : شِدَّةُ ذِكَاةِ الرَّيْحِ وَمَسْكٌ أَذْفَرٌ جَيِّدٌ إِلَى الْغَايَةِ .

بكلُّ غَيْثٍ إِذَا السَّمَاءُ صَحَّتْ وكلُّ لَيْثٍ إِذَا الْقَنَا كُسِّرَ
 وكلُّ سَهْمٍ إِذَا انْتَحَى غَرَضاً وكلُّ شَهْمٍ إِذَا عَلَا مِنْبَرٌ
 بحارٌ جُودٌ تَفِيضُ مِنْ كَرَمٍ ذَا الْمَجْدِ بَيْنَهَا الْكُوْثُرُ (١)

قوله : وكل شهم الشهم الذكي القلب .
 وقال صاحب الشَّرْطَةِ أَبُو بَكْرٍ بِنِ الْقَوِطِيَّةِ (٢) يصف الربيع

وَيَمْدَحُ ذَا الْوِزَارَتَيْنِ أَبَا عَمْرٍو أَحْمَدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :

أَمَا تَرَى الرُّوضَ جَوْهَرِيًّا يَنْظِمُ دُرَّ السَّمَاءِ مَلِيًّا
 وَالتُّورَ مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ مَتَى غَذَا النَّبْتُ صَبْرِيًّا
 حَتَّى كَأَنَّ الرَّبِيعَ مَلَكٌ يُحْيِي لَهُ نُورَهَا الْبَهِيًّا
 تَرَى نَوَاوِيْرَهُ كَتَبْرٍ مُحَضِّ وَأَذَارُ قِسْطِرِيًّا (٣)
 قَدْ مَدَّ نَطْعاً عَلَى رُبَاهَا يَنْتَقِدُ الْمُحَضَّ وَالرَّدِيًّا (٤)
 مِثْلَ انْتِقَادِ الْعُلَا أَبَا عَمْرٍو رُو نَجَلِ عَبَّادِ السَّرِيَّا
 الرَّاجِعِ الْوَاضِحِ الْحَيَّا وَالْحُوْلُ الْقَلْبِ الْكَمِيَّا
 وَالْمَنْجَبِ الْمَعْجَبِ افْتِنَانًا وَالْمُنْبِهِ الْمِدْرَةَ الذَّكِيَّا

قال أبو الوليد (٥) : ومما قلته في هذا المعنى قطعة موصولة بمدح

الحاجب - أطال الله بقاءه وحرس حوباءه - وهي :

(١) بياض في الأصل ولعل الكلمة الساقطة (تخال) .

(٢) مضت ترجمته .

(٣) القسْطِرِيُّ : الجسم والجهد ومنتقد الدراهم .

(٤) النطع بالكسر والفتح والتحريك : بساط من الأديم .

(٥) لعل الكلمة مأخوذة من المدرية وهي رماح كانت تتركب فيها القرون المحددة

ومكان الأسنة .

أبشِرْ فقد سَفَرُ الثرى عن بشره
متحصناً من حسنه في معقل
فضَّ الربيع ختامه فبدلنا
من بعد ما سحب السحابُ ذيوله
فأجل جفونك فيه تجلُّ صدأً بها
واشكُرْ لآذارٍ بدائع ما ترى
شهرٌ كأن الحاجب بنَ محمد
مَلِكٌ تملكَ رِقْنَا بمكارمِ
لا زال خَطْبُ زمانه في أسره

وأَتاك ينشُرُ ما طوى من نشره (١)
عقلَ العيون علي رِعايةِ زهره
ما كان من سَرَّائه في سِرِّه
فيه ودرٌّ عليه أنفَسُ دُرِّه
لولا انبِراءُ جماله لم تَبْرِه
من حسن منظره النضيرِ وخبره
ألقى عليه مَسْحَةً من بشره (٢)
جعلتْ له غفر النجوم كغفره
فلقد رأيتُ به هوائِي بأسره

العَفْرُ نَجْمٌ . والعفر التراب . يقال عَفْرٌ وَعَفَرَ . فكأنه لعلو منزله
وسمَّو درجته قد استويا في بُعدهما منه وتباينهما عنه . وأسره في شطر
البيت : في ملكه وتحت حُكمه من الأسر المعروف . وبأسره في القافية
بمعنى كله وجميعه . يقال أخذت الشيء بأسره أي جميعه .

ولي أيضاً في مثل ذلك :

بمدامع نظمت عليه جوهرا
وكأنه مُسْتَعْنِمُ أن يُنْشِرا
وجُمانه فَرْداً لذاك مُشْمِرا
وأعدّه أذكى لأنفٍ مَخْبِرا
لولا الرِّبيعُ لَمَا تجلَّتْ للورى

بكت السماء فأضحكت سِنَّ الثرى
فكأنها خرقاء تنثر عِقْدَها
عكفت يدها علي نظام فريده
وأعادها أبهى لَطْرِفٍ منظرأ
فانظرُ محاسنَ للرِّبيعِ تبرَّجتْ

(١) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب مؤلف هذا الكتاب .

(٢) الأبيات ما عدا الخامس منها في جذوة المقتبس ١٦٢ وبغية الملتبس ٢١٣ .

ومن المستحسن المستغرب ، والمستطاب المستعذب في هذا المعنى
قطعة لأبي بكر بن نصر كتب بها إليّ في زمن الربيع يسألني الخروج إلى
حيث يبدو كماله ويظهر جماله . والقطعة :

أَنْظُرُ نَسِيمَ الرُّوضِ رِقَّ فُوجِهِهِ لَكَ عَنِ أَسْرَتِهِ السَّرِيَّةِ يَسْفِرُ
خَضِيلُ بَرِيْعَانِ الرَّبِيْعِ وَقَدْ غَدَا لِلْعَيْنِ وَهُوَ مِنَ النَّضَارَةِ مَنْظَرُ^(١)
قَدْ طُرُزْتُ مِنْهُ الْبُرُودُ وَطَرَّتْ بِالْوَشِيِّ فَهُوَ مُطْرَزٌ وَمُطْرَرٌ
وَكَأْتَمَا تَلِكُ الرِّيَاضُ عِرَائِسُ مَلْبُوسُهُنَّ مُعْصَفَرٌ وَمَزْعَفَرُ^(٢)
أَوْ كَالْقِيَانِ لِبَسْنِ مَوْشِيِّ الْحُلِيِّ فَلِهِنَّ مِنْ وَشِيِّ اللَّبَاسِ تَبَخَّرُ
أَرْضٍ مُدْبِجَةِ الرِّوَابِيِّ غَضَّةِ الـ تَلْعَاتُ فَهِيَ عَنِ الْعَبِيرِ تُعْبَرُ
يَتَعَطَّلُ الْمَسْكُ الذَّكِيُّ لِعَرَفِهَا وَبِهِ الزَّمَانُ وَحُسْنُهُ يَتَعَطَّرُ
مَصْفُوفَةٌ أَنْمَاطُهَا^(٣) مَمْدُودَةٌ حَبْرَاتُهَا تَبْدُو إِلَيْكَ وَتَظْهَرُ^(٤)
فَكَأَنَّمَا صَنَعَاءُ أَهْدَتْ وَشِيهَا وَرَمَتْ مَطَارِفَهَا الطَّرِيفَةَ عَبَقَرُ
حُسْنٌ يُقَدَّرُ فِي الرَّبِيْعِ وَلَا تَرَى ذَا الْحُسْنِ إِلَّا فِي الرَّبِيْعِ يُقَدَّرُ
أَنْوَارُ أَشْجَارٍ غَدَتْ أَوْرَاقُهَا وَرِقًا تَرَقَّرَقَ بِالْحَبَابِ فَتَقَطَّرُ
فَاسْمَحْ لَصَحْبِكَ أَنْ تَرُودَ رِيَاضَهَا مَعَهُمْ فَإِنْ عَيُونَهُمْ بِكَ تَنْظُرُ
مَهْدٌ لَهُمْ نَحْوَ الْبَطَاحِ نَزَاهَةٌ غَرَاءَ تُزْهِى بِالسَّمَاحِ وَتَفْخَرُ

فلما وصلت هذه القطعة إليّ ووردت عليّ أثارت مني كامناً ،
وحرّكت ساكناً في ما ندب إليه وحضّ عليه . فخاطبتُ أبي - وقاه الله
بي - برسالة فيها بعض أصناف هذه الأوصاف أسأله إباحة الخروج لي
فبلغني أملي .

(١) الخَضِيلُ : كل شيء نَدِ يَتَرَشَّفُ نَدَاهُ .

(٢) هذا البيت والذي يليه لأبي بكر محمد بن نصر الإشبيلي في نفع الطيب (٤٨٤/٣) .

(٣) الأنمَاطُ : ضرب من البسط .

(٤) الحبرة : ضرب من برود اليمن ، أو البرد الموشى والثوب الجديد .

والرسالة بعد صدرها (١) :

لما حُلِقَ الربيع من أخلاقك العُرِّ ، وسُرِقَ زهره من شيمك الزهر
حسُن لكل عين منظره ، وطاب في كل سمع حَبْرُه ، وتاقت النفوس إلى
الراحة فيه ومالت إلى الإشراف على بعض ما تحتويه من النور الذي كسا
الأرض حُللاً ، لا يرى الناظر في أثنائها خللاً ، فكأنها نجوم نثرت على
الثرى وقد مُلئت مسكاً وعنبراً ، إن تنسّمها فأرجة ، أو توسّمها فبهجة ،
تروق العيون أجناسُها وتحيي النفوس أنفاسُها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانع الزهر تُزري إذا قسّتها بالوشي والجبر (٢)
قد أحكمتها أكف المزن واكفة وطرزتها بما تُهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى وفتنة بعد طول السر والخفر

فأوجدني بمعاليك سبيلاً إلى إعمال بصري فيها لأجلو بصيرتي
بمحاسن نواحيها . فالفصل على أن يكمل أوائه ، وينصرم وقته وزمائه ،
فلا تُخلني من بعض التشفي منه لأصدر نفسي متيقظة عنه فعهدي
بمثل ما سألته بعيد ، وشوقني إليه شديد ، والنفوس تصدأ كما يصدأ
الحديد ومن أجملها فهو السديد الرشيد .
واكفة في الشعر هاطلة غزيرة .

ومن المصنوع المطبوع في وصف الربيع ما أنشدنيه لنفسه
أبو القاسم البلميّ وهو (٣) :

أنظر ونزه ناظرئك بروضة غناء ما زالت تُراح وتمطر (٤)

(١) أورد هذه الرسالة صاحب الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٦ .

(٢) الأبيات في الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٧ .

(٣) هو أحمد بن محمد البلميّ الإشبيلي ذكره صاحب الذخيرة في القسم الثاني

المجلد الأول ٢١٣ ، والمغرب (٢٥٩/١) ونفح الطيب (٤٨٤/٣) .

(٤) الأبيات في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢١٤ .

لتريك من صنعاء صنعة وشيها بمطارفٍ من تُسْتَرِّ لا تُسْتَرِّ
 ألوانها شتى وطيبُ نسيمها يُقْصِي العبير به ويُنْسِي العنبر^(١)
 تُراح من الريح مثل تُمَطَّر من المطر .

قال أبو الوليد : وخرجتُ متزّهاً في زمن الربيع إلى بعض ضياعي
 فكتبت منها إلى صاحب الشرطة أبي الوليد بن العثمانيّ قطعة نثر تحتمل
 أن تدخل في هذا الباب . وهي بعد صدرها (٢) :

قد علم سيدي أن بمرآه يكمل جذلي ، ويدنو أمني ، وقد حللتُ
 محلا غنيّ الجوُّ بتحسينه وانفرد الربيع لتحسينه فكساه حُلاًّ من الأنوار
 بها ينجلي صدأ البصائر ، والأبصار . فمن مكّموم (٣) يَعْبِق مِسْكَه ،
 ولا يمنعه مَسْكَه ، ومن بادٍ يروق مُجتلاه ، ويفوق مُجتناه ، في مرآه
 وريّاه ، فتفضّل بالخفوف نحوي ، وتعجيل اللحاق بي لنجدد للأنس
 مغاني . قد درستُ ، ونفكّ من السرور معاني قد أشكلتُ ، ونشكر
 للربيع ما أرانا من البديع إن شاء الله .

المكّموم هو الذي في كِمَامته لم يبيدُ . ومَسْكَه جِلده أعني
 الكمامة .

(١) في الذخيرة : مثنى .

(٢) الرسالة في الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) في الذخيرة : مكّموم .

الفصل الثاني

في القطع التي لم تنفرد بنوار وإنما اشتملت على نورين ،
أو أنوار .

قال أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير ابن الإمام
الحكم (١) - رضي الله عنهم - يصف النرجس (٢) والورد من جملة
قصيد مطول :

أَنْظُرْ إِلَى الرُّوضِ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرُهُ ضَاكِكٌ وَأَصْفَرُهُ (٣)
إِذَا هَفَّتْ فَوْقَهُ الرِّيحُ سَرَى بِهِفُوهَا مَسْكُهُ وَعَنْبَرُهُ
نَرْجِسُهُ تَسْتَجِدُّ صُفْرَتَهُ حَتَّى كَأَنَّ الْحَبِيبَ يَهْجُرُهُ
وَالْوَرْدُ يَخْتَالُ فِي مَنَابِتِهِ تَطْوِيهِ أَكِمَامُهُ وَتَنْشُرُهُ

وقال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه (٤) :

بَاكِرِ الرُّوضِ فِي رِيَاضِ السَّرُورِ بَيْنَ نَظْمِ الرَّبِيعِ وَالْمَنْشُورِ (٥)
فِي رِيَاضٍ مِنَ الْبَنْفَسِجِ يَحْكِي أَثَرَ الْعَضِّ فِي بِيَاضِ الصَّدُورِ
وَتَرَى السُّوسَنَ الْمَنْعَمَ يَحْكِي ذَهَبًا نَابِتًا عَلَى كَافُورِ

(١) هو أبو عمر أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعيد الخير بن الأمير
الحكم أديب شاعر مشهور . بغية الملتمس ١٩٦ رقم ٤٧٥ والمطرب ١٥٧ .

(٢) سيأق الحديث عنه ص ١١٩ وانظر حوله هامش الصفحة نفسها .

(٣) الأبيات في المطرب ١٥٧ ، وفي بغية الملتمس ١٩٦ .

(٤) مضت ترجمته .

(٥) الأبيات في ديوانه المجموع جمع رضوان الداية ص ٨٦ .

. فمنها قوله :

كَأَنَّ جَنِيَّ الْوَرْدِ أَحْدَقَ حَوْلَهُ جَنِي سَوْسَنِ مُسْتَطَرِفِ اللَّوْنِ أَزْهَرِ
خُدُودِ الْعَذَارَى الْمُخْجَلَاتِ تَحْفَهَا عَوَارِضُهَا مُبْيَضَّةٌ لَمْ تُخْفَرِ (١)

وَأَعِينِ عَقِيَانِ بِأَجْفَانِ لَوْلُؤٍ عَلَى كُلِّ فَرْعٍ كَالزَّمْرِدِ أَخْضَرِ

وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصْحَفِي (٢) - رحمه

الله - في هذا المعنى أبيات بارعة فيها تشبيهات رائعة . وهي :

أَنْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ الْأَرْضِيِّ تَخَالَهُ كَالْوَشِيِّ نُمُقَ أَحْسَنَ التَّنْمِيقِ (٣)
وَكَأَنَّما السَّوْسَانَ صَبَّ مُدْنَفٌ لَعِبَتْ يَدَاهُ بِجَبِيهِ الْمَشْقُوقِ
يَوْمَ الْوَدَاعِ وَمُزَّتْ أَثْوَابُهُ جَزَعاً عَلَيْهِ أَيْمًا تَمْزِيقِ
وَالنَّرْجَسِ الْغَضِّ الذَّكِيِّ مَحَاجِرٌ تَعِبَتْ مِنَ التَّسْهِيدِ وَالتَّارِيقِ
يُحْكِي لَنَا لَوْنَ الْمَحَبِّ بِلَوْنِهِ وَإِذَا تُنْسَمُ نَكْهَةً الْمَعْشُوقِ
وَكَأَنَّ دَائِرَةَ الْحَدِيقَةِ عِنْدَمَا جَادَ الْغَمَامُ لَهَا بِرَشْفِ الرِّيقِ
فَلَكَّ مِنَ الْيَاقُوتِ تَسْطَعُ نَوْرَهُ فِيهِ كَوَاكِبُ جَوْهَرٍ وَعَقِيقِ

(١) الخفر ، محرّكة : شدة الحياء .

(٢) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كُسيْلَةَ
الحاجب المصْحَفِي من بربر بلنسية أديب شاعر عمل كاتباً زمن الناصر ، وفي زمن الحكم
تولى خطة الوزارة ، واستطاع المنصور بن أبي عامر أن يصرفه عن الحجابة ويلقى به في
السجن وتوفى سنة ٣٧٢ - الحلة السيرة (٢٥٧/١) ومطمح الأنفس ١٥٣ ، والمغرب
(٢٠٠/١) والبيان المغرب (٢٦٥/٢) ورايات المبرزين ٦٩ ، والذخيرة القسم الرابع
المجلد الأول ٥٨ .

(٣) يقال أَرْضَتِ الْأَرْضُ - ككُرْمٍ - فهي أرض أريضة : أي زكية معجبة

شبه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق وهو معنى دقيق أنيق وقد تداوله جماعة وأظنه من اختراعه . وتشبيهه الأخير في الحديقة من التشبيهات العقم على الحقيقة .

ولأبي القاسم بن هانيء الأندلسي (١) قطعةً بديهةً سريةً كلها سنيةً يصف فيها الورد والياسمين والنرجس صنعها في مجلس جعفر بن الأندلسية وقيل في مجلس جعفر بن فلاح . وهي :

وثلاثة لم تجتمع في مجلسي إلا لمثلك والأديب أريب (٢)
الورد في شمامة من فضة والياسمين وكلُّ ذاك عجيب (٣)
والنرجس الغضُّ الذكي ولونه لونُ المحبِّ إذا جفاه حبيب
فاحمرُّ ذا وبيضُّ ذا واصفرُّ ذا فبدت دلائلُ كلهنَّ غريب (٤)
فكانَ هذا عاشقٌ وكانَ ذا ك مُعشَّقٍ وكانَ ذاك رقيب

وقال أبو عبد الملك الطليق وهو مروان بن عبد الرحمن بن مروان

(١) هو محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأندلسي شاعر وأديب يعد من أبرز شعراء الأندلس وألمهم وأكثرهم شهرة بل أطلق عليه متنبى المغرب ولد بقرية تكون من قرى إشبيلية سنة ٣٢٠ أو ٣٢٦ كما في الرواية الأخرى ، ومات مقتولا سنة ٣٦٢ ، وله ديوان مطبوع بتحقيق الدكتور زاهد علي - مطمح الأنفس ٣٢٢ ، وبغية الملمس ١٣٠ ، والمغرب (٩٧/٢) والمطرب ١٩٢ ، والإحاطة (٢٨٨/٢) ، ومعجم الأدباء (٩٢/١٩) ورايات المبرزين ٨٦ ، ووفيات الأعيان (٤٢١/٤) .

(٢) الأبيات ما عدا الثالث في ديوان ابن هانيء ١١٩ .

(٣) روايته في الديوان :

والورد في رامشنة من نرجس والياسمين وكلهن غريب

(٤) روايته في الديوان :

فاحمر ذا وأصفر ذا وأبيض ذا فبدت دلائل أمرهن عجيب

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله (١) يصف الورد والبهار في قصيد مشهور له لم يُصنَع بعده ولا قبله على عَرُوضه وقافيته ما يُوازيه جمالا ولا يضاهيه كمالا . والوصف بعد صدرٍ في سواه :

وَكأنَّ الوردَ يعلوه النَّدى وَجَنَّةُ المعشوقِ تَندى عَرَقا (٢)
 يتفقَى عن بهارٍ فاقعِ خِلته بالوردِ يطوي وَمَقا (٣)
 كالمحبِّين الوصولين غدا حَجِلاً هذا وهذا فَرِقا
 يالها من أنجِمٍ في روضةٍ قد ترقّت من رباها أفقا
 ودنّت منها إلى شمس الضُّحى حَدَقَ للنورِ تُصبِي الحدقا (٤)

تشبيه الورد بوجنة المعشوق كثير إلا أنه أعرب بزيادة الندى ومقابلته بالعرق . وقوله : يتفقاً أراد ينشق وينجاب ومنه حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - « نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقات عنه » أراد انشقت وانجابت . ودل على أن البهار بين الورد .

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي (٥) يصف الورد والأقاحي :

(١) هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر يعرف بالطلق كان شاعراً كثيراً سجن وقال جل شعره في السجن ، ويشبهه بابن المعتز من شعراء بني العباس مات قريبا من الأربعمئة . جذوة المقتبس ٣٤٢ ، رقم ٧٩٩ ، وبغية الملتبس رقم ١٣٤٣ ، والذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٥٦٣ ونفح الطيب (٥٨٦/٣) والمغرب (١٩١/١) والحلة السيرة (٢٢٠/١) ورايات المرزيرين ٦٧ .
 (٢) الأبيات ما عدا الرابع في الحلة السيرة (٢٢٤/١) ضمن قصيدة طويلة ، والبيت الأول مع أبيات في الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ٥٦٦ .
 (٣) يتفقى : أى يتشقق ، والمتفقتة الأودية تشق الأرض .
 (٤) في الحلة السيرة : ورتت منه .
 (٥) مضت ترجمته .

وفي الوردِ غَضًّا والأقاحي محاسنٌ سُرقن من الأحباب للمتشوقِ
خُدودُ عذاري لو تقصَى حياؤها وأفواه حورٍ لو سمحنَ بمنطِقِ

هذان التشبيهان معروفان لا سيّما قلبهما ولكن لو فهّما حسنتهما
معا وأبدعت فيهما بدعاً .

وللمتوكّل بن أبي الحسين قطعة بديعة يصف فيها نواوير وهي :
في رياضٍ بسطها زهرٌ مُظهرٌ من أيكها قُبيا
نرجس يرنو بلحظته نحو وَرْدٍ طال ما انتقبا
فترى ذا سافراً خجلاً وترى ذا عاشقاً نصبا
وترى الخيريّ مُكْتَمًا مثل لَصٍّ كاد أن يثبا
فاذا ما الليل ستره أظهر الفتكة واستلبا

ولأبي بكر بن هذيل (١) قطعة رفيعة الصفات بديعة التشبيهات

في نواوير عدّة . وهي :

حديقة نفسٍ تملأ النفسَ بهجةً وتثنى عيونُ الناظرين بها حسرى
كانَ جنّيّ الجُننارِ ووردها عشيقان لما استجمعا أظهرَا خفرا

(١) هو أبو بكر يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل من أهل العلم والأدب

والشعر في الأندلس غلب عليه الشعر ، وسمع الحديث من أحمد بن غالب وغيره مات سنة
خمس أو ست وثمانين وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين وكان قد بلغ من الأدب والشعر
مبلغاً مشهوراً - جذوة المقتبس ٣٨١ رقم ٩٠٨ ، وبغية الملمس رقم ١٩٤٥ ، ویتيمة

الدهر (١٤/٢) ونكت الهمان ٣٠٧ .

كَأَنَّ جَنِي سَوْسَانِيهَا فِي سَنَا الضُّحَى كَوُّوسٍ مِنَ الْبَلُّورِ قَدْ حُشِيَتْ تَبْرًا
كَأَنَّ عَيُونَ النَّرْجَسِ الْغَضَّ بِاللَّنْدَى عَيُونَ تَدَارِي الدَّمْعِ خَيْفَةً أَنْ يَدْرَى
كَأَنَّ جَنِي الْخَيْرِي فِي غَبَشِ الدُّجَى نَسِيمٌ حَبِيبٍ زَارَ عَاشِقَهُ سِرًّا
كَأَنَّ يَنَابِيعَ الْمِيَاهِ مَرَاجِلٌ تَفُورُ وَقَدْ أَذَكْتَ لَهْنَ الْحَصَى جَمْرًا

شبه المياه في آخر بيت بالمرجل وهي القدور واحدها مِرْجَل .

وللوزير أبي عامر بن شهيد (١) - رحمه الله - قصيد يمدح به
سليمان المستعين (٢) بالله - نصر الله وجهه - في فصل النيروز وفيه
قطعة عجيبة في نواوير عِدَّة :

وَأَتَاكَ بِالنَّيْرُوزِ شَوْقٌ حَافِرٌ وَتَطَلَّعَ لِلزَّوْرِ غِبٌّ تَطَلَّعٌ (٣)
وَإِفَاكَ فِي زَمَنِ عَجِيبٍ مُونِقٍ وَأَتَاكَ فِي زَهْرِ كَرِيمٍ مُمْتَعٍ
فَانظُرْ إِلَى حَسَنِ الرَّبِيعِ وَقَدْ جَلَّتْ عَنِ ثَوْبِ نَوْرِ اللَّرْبِيعِ مُجَزَّعٌ (٤)
فَكَأَنَّ نَرْجِسَهَا وَقَدْ حَشَدَتْ بِهِ زُهُرُ النُّجُومِ تَقَارَبَتْ فِي مَطَلَعٍ
أَوْ أَعْيُنُ الْأَحْبَابِ حِينَ تَرَأَسَتْ بِاللَّحِظِ تَحْتَ تَخَوُّفٍ وَتَوَقُّعٍ
وَبِهَا الْبِنْفَسَجِ قَدْ حَكَى بِخَضُوعِهِ وَقُنُو لَوْنٍ فِي سَوَادٍ مُشْبَعٍ (٥)
خَدَّ الْحَبِيبِ وَقَدْ عَضَضْتَ بِحَنَّةٍ فَشَكَا إِلَيْكَ بِأَنَّةٍ وَتَوَجُّعٍ

(١) مضت ترجمته .

(٢) هو المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان الناصر ، وانظر في ترجمته

نفع الطيب (٤٢٨/١) والحلة السراء (٥/٢) .

(٣) الأبيات في ديوانه المجموع ١٢٥ - والنيروز : أول يوم من السنة الشمسية ،

وعند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل فارسيته نوروز ، ومعناه يوم جديد ، وانظر

الألفاظ الفارسية المعربة ١٥١ .

(٤) المجزَّع : الشيء الذي يحمل أكثر من لون أو كل ما فيه سواد وبياض .

(٥) يريد شدة اللون ، والمعروف وصف الحمرة بقولهم (أحمر قاني) أى شديد

الحمرة .

وكأنما خيرٌها تحت الدُّجى بين الأزاهر قام كالمطلع
يرجو زيارة مَنْ يُحبُّ لوَعده كَلْفاً فبات مُراقباً لم يَهْجَع

وكتب الوزير أبو عامر بنُ مَسْلَمَة (١) وبين يديه ورد وسوسان
ونيلوفر إلى صاحب الشرطه أبي بكر بن القوطية (٢) يسأله وصفها وشرط
في رغبته أن يكون أول الشعر :

وثلاثة لما اجتمعن بمجلس نبهن مني همّة لم تنعس (٣)

فأضاف أبو بكر إليه بديهةً أحياناً سرية تعجز من رامها روية

وبعث بها إليه . وهي :

وثلاثة لما اجتمعن بمجلس ندعون حي على الصبوح فسقننى
ودعوتى على الصبوح فسقننى
ورد كمثل دم الوريد وسوسن
وردي كمثل دم الوريد وسوسن
وزينه نيلوفر أوراقه
فإذا سرت أنفاسها لك أبرأت
الورد والسوسان والنيلوفر ال
فاقت بحسن روائها وأريجها
نبهن مني همّة لم تنعس
بدعائهن إلى لقاء الأكوس
غض بسوسى الغلائل مكثس
ورق جرى من فوق أخضر أملس
بلطيف رياها عليل الأنفس
أرج المشم محركي وموسوي
فيها من النوار أعمر مجلسي

(١) مضت ترجمته .

(٢) مضت ترجمته .

(٣) صدر هذا البيت سبق أن ورد مع أبيات لابن هانيء الأندلسي ص ٣٨ .

(٤) من الانبساس بمعنى الانسياب .

(٥) من الوسوسة : بمعنى الهمس ، أو حديث النفس .

وأنشدني أيضاً لنفسه صاحب الشرطة أبو بكر أبياتاً يصف فيها الورد
والسوسان قصرَ على جميع تشبيهاها وبيدع صفاتها الحُسْنَ والإحسان .
وهي :

قم فاسقنيها على الوردِ الذي فَعَمَا وباكِرِ السَّوسَنِ الغَضِّ الذي نَجْمَا
كأنَّما ارتضعا خِلْفِي سَمَائِهِمَا فأَرْضَعْتُ لَبِنًا هَذَا وَذَاكَ دَمَا
جِسْمَانِ قَدْ كَفَرَ الكَافُورَ ذَاكَ وَقَدْ عَقَّ العَقِيقَ احْمِرَارًا ذَا وَمَا احْتَشَمَا
كَأَنَّ ذَا طَلِيَّةٍ نُصِّتْ لِمُعْتَرِضٍ وَذَاكَ خَدَّ غَدَاةَ البَيْنِ قَدْ لُطِمَا
أَوْ لَا فِذَاكَ أَنَايِبُ اللُّجَيْنِ وَذَا جَمْرَ الغَضَا حَرَكْتَهُ النَّارَ فَاضْطَرَّمَا

قوله : على الورد الذي فغما : أي الذي سدَّت رِيحُه الخياشيم .
وقوله : الذي نجم أي الذي طلع . والطلية صفحة العنق وهي واحدة
الطلي . ولغة ثانية في الطلية : طلاة . ونُصِّتْ رُفِعَتْ .

وأنشدني لنفسه الوزير أبو عامر بن مسلمة قطعة يصف فيها البهار
والبنفسج بأوصاف غريبة ويشبهها بتشبيهات عجيبة :

قَدِمَ البهَارُ مَعَ البَنَفْسِجِ فَابْشَرِ نَّ عَلِيهِمَا بَيْنَ الرِّيَاضِ الغَضَّةِ
هَذَا كَمَعشُوقٍ وَعَاشِقِهِ وَذَا مِثْلُ الحَزِينِ دَمُوعُهُ مُرْفَضَّةٌ (١)
وَتَرَى البهَارَ (٢) كَأَنَّهُ يَاقُوتَةٌ صَفْرَاءُ تَحْمِلُهَا أَكْفٌ بَضَّةٌ (٣)
قَدْ سَتَّرَتْ حَذَرَ الرَّقِيبِ مَعَاصِمًا بِمِطَارِفِ حُضْرٍ وَأَبَدَتْ فِضَّةً
وَجَرَى التُّضَارُ بِهَا فَحَسَنَ خَلْقَهَا كَمِثَالِ مَعشُوقٍ تَشَكَّى مَرَضَهُ (٤)
وَكَأَنَّ ذَاكَ بِخَدِّهَا وَبِنَحْرِهَا عِنْدَ العَيَانِ لَنَا بَقَايَا عَضَّةِ

(١) إرفضاض الدموع : ترشُّشُهَا ، ومن الشيء : تفرق وذهابه .

(٢) البهار : نبت طيب الريح .

(٣) البض : الجسد الرقيق الجلد الممتليء .

(٤) التضار : الذهب أو الفضة .

قوله : كَانَ ذَاكَ أَشَارَ إِلَى الْبِنْفَسِجِ إِذْ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِاسْتِغَالِهِ
بوصف البهار .

وللوزير أبي عامر أيضاً قطعة في جملة من النواوير وعدة من الأزهير
أبدع من المتقدمة على أن لا أبدع ، وأرفع منها على أن لا أرفع ، تضمنت
من التشبيهات غريبها ومن الصفات عجبها أنشدنيها موصولة بمدح ذي
الوزارتين القاضي - وصل الله حُرْمَتَهُ وأدام عِزَّتَهُ - وهي :

وروضةٍ مُشْرِقِيَةٍ	بكلِّ نُورٍ مُجْتَنِيٍّ
فيها بهارٌ باهرٌ	ونرجس يشكو الضنى
وياسمين أرضه	ونوره تلوننا
كالليل مُخَضَّرًا ولـ	كن بالنجوم زينا
فاجتن ورداً واردةً	وسوسناً مُلَسَّنًا
وحوله تيلوفرٌ	فِتنُهُ رانَ إن رنا
تخاله مضارباً	من المَهَا تروقنا
والآسُ آسٍ كاسمه	بنوره قد حُسْنَا
تنويرُهُ جواهرٌ	من غير بحرٍ تُقْتَنِي
وحبُّه من سبَّحٍ	أو سُنْدُسٍ قد لُونَا (١)
وقد بدا فيها البنفسج	حج الندي الغض الجنى
وأرضه مَطَّرَفٍ	خُضْرٍ أَتْنَا بِالْمُنَى (٢)
طابت بطيبٍ ماجدٍ	فاق سنَاءً وَسْنَا
ذاك ابن عبّادِ عما	دي وسِراجي في الدُّنَا
فهو يُشِيرُ الحَقِّ والـ	عَدْلٍ وَيُحْيِي السُّنَا

(١) السَّبَّحُ : الخرز الأسود .

(٢) المطارف : جمع مُطَّرَفٍ - كُمُكْرَمٍ - رداء من خز مربع ذو أعلام .

وَنَوْرَهُ مِسْكٌ فَتِيَتْ حُسْنَهُ يَفْتِنُنَا
 قَاضٍ بِنَشْرِ عَدْلِهِ طَابَتْ لَنَا أَرْمُنُنَا
 لَا زَالَ يَبْقَى مَا عَلَا قَمْرِي أَيْكَ فَنَّا
 وللوزير أبي عامر أيضاً قطعة بديهة سرية كلها سنية قالها وبين
 يديه ثلاثة أنوار : خيرتي وبنفسج وبهار وأنشد :

وثلاثة لما اجتمعن بمجلسي أقررن عين تنزهي وتأنسي
 نمام طيب في بهار باهر وبنفسج أضحي حبيب الأنفس
 فالسبق منها للبهار لأنه يأتي ونور الروض لم يتحسس
 ثم البنفسج فهو يتلوه لنا راقته ملاحظته فأصبح مؤنسي
 يحكي لنا المسك الفتيت بلونه في أرض عنبرة كلون السندس
 والخير في الخيري إلا أنه يخفي النسيم نهاره بالمجلس
 ويذيعه بالليل فهو بفعله وبصنعه هذا صديق الحندس (١)
 فاقت نواوير الرياض تلونا فعدت لها مثل النجوم الكنس (٢)

وقال يونس بن مسعود الرصافي (٣) يصف الورد والخيري :

يتطلعن أنجماً بعيون كالخواتم زانها التفصيل
 في رياض كأنما الورد فيه من عذارى تجنهن خصوص
 هب خيرتها بليل وقد نا م نهاراً كما تهب اللصوص
 أظن البيت الأول في البهار إذ هي صفته . وله أيضاً :

(١) الحندس بالكسر : الليل المظلم .

(٢) النجوم الكنس : من كنس الظبي يكنس دخل في كناسه أى اختفى واستتر فيه ،
 والنجوم كذلك لأنها تبدو ليلاً وتختفي نهاراً .

(٣) يونس بن مسعود الرصافي منسوب إلى رصافة قرطبة أديب شاعر وانظر جذوة

وَكأنَّ سوسنَه مِداهنُ فضيَّة
وتخالُ نرجسَه بها تَبِراً على
وَكأنَّ أعينَه عيونُ حَبائِبِ
والوردُ تحسبُه خدودُ كواعِبِ
وَكأنما الخيريُّ خدُّ عَضَّة
تحوي خَلوقاً بالعبيرِ مطيِّباً (١)
قُضِب الزُّمردُ حين قامَ مركباً
قد أبصرتَ يومَ الندى مُترقباً
كادتُ من التوريدِ أن تتلَهَّباً
لحظُ الحبيبِ صِبابَةً وتحبُّباً

وصنع الفقيه أبو الحسن بن علي قصيدة ضادية يصف فيها نواوير
الربيع بوصف حسن بديع . ويمدح بها ذا الوزارتين القاضي - أدام الله
عزّه ووصل حرزّه - وأنا أذكر منها قطعة تُشاكل هذا الباب . وهي بعد
صدر من القصيد :

كَأنما الروضُ لَمَّا
بكلِّ حمراءَ صرِفِ
كواكبٍ في سماءِ
كَأنَّ طَلَّ الأقاحي
أو لُوؤُو فوق أرضِ
كَأنما الوردُ صدرٌ
أو خدُّ أُعيدَ قد أخدُ
كَأنما النهرُ نَصَلٌ
كَأنما غُدُرُ الما
إذا التقيَـن مراءِ
وشتُ يدُ المزنِ أرضه (٢)
وكلُّ بيضاءَ بَضَّة (٣)
من الزَّبْرَجِدِ مَحَضَّة
مدامعُ مُرْفَضَّة
من المَها مُبَيَضَّة
أبقي به اللَّثْمُ عَضَّة
جلتَه حالُ مُمِضَّة
جلا الصياقِلُ عُرْضَة (٤)
ء في المروج الغَضَّة
أو أكوسٌ من فِضَّة

(١) الخلق : كصبور ضرب من الطيب .

(٢) الأبيات ما عدا (٢ ، ٧ ، ٩ ، ١٠) في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول

٢٠٢ ورواية صدر البيت الأول في الذخيرة (كأنما الورد لما) .

(٣) بضّ الماء بيض بضا ، وبضوضا وبضيضا : سال قليلاً قليلاً ، والبضيضة :

المطر القليل .

(٤) عرضه : العرض بالضم : من السيف صَفْحُه .

كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْجَوِّ حِينَ يَقْطَعُ عَرْضَهُ
 وَجْهُ ابْنِ عَبَّادِ النَّدِّ بَ حِينَ تَأْمَلُ قَرَضَهُ
 حَوَى بِطَوَّلِ يَدَيْهِ طَوَّلَ الثَّنَاءِ وَعَرْضَهُ
 المراءى جمع مرآة مثل مكواة ومكاوي وهو تشبيه قوي سري
 جداً .

قال أبو الوليد : فلما بلغني ذلك صنعتُ قصيداً على ذلك النحو
 وأنا ذاكر أيضاً منه قطعة تليق بهذا الباب وهي من أوله :

انظُرْ إِلَى النِّهْرِ وَاعْجَبْ	لِحَسَنِ مَرَاهِ وَارْضَهُ ^(١)
قَدْ حَلَّ بَيْنَ رِيَاضِي	مِنَ النَّوَاوِيرِ غَضَّهُ
فِيهَا بَهَارٌ بَهِيٌّ	بَدَأَ فَرِيْنِ أَرْضَهُ
كَأَنَّهُ جِيْدٌ تَبْر	يَلُوْحُ فِي طَوِّقِ فِضَّةٍ
وَنَرَجِسٌ مِثْلُ لَوْنِ الْ	مَهْجُورِ فَارَقِ غَمَضَهُ
وَأَقْحَوَانٌ أُنَيْقُ	بُرُودُهُ مُبْيَضَّهُ
قَدْ طَرَزَتْهَا بَتْبَر	عَيْنُ النَّدِيِّ الْمَرْفُضَةِ
وَبَاقِلَاءٌ قَدْ أَبْدَى	بَنُورِهِ الْحَسَنَ مَحْضَهُ
كَأَنَّمَا هُوَ خَالٌ	بِخَدِّ بِيضَاءِ بَضَّةٍ
كَأَنَّمَا النَّهْرُ أَفْقُ السِّدِّ	مَاءِ عَانَقِ أَرْضَهُ
وَقَدْ كَسَا عُذُوَيْتِيهِ	مِنَ الْأَزَاهِرِ مَحْضَهُ
كَمَا ابْنُ عَبَّادِ النَّدِّ	بَ قَدْ كَسَا الصُّونَ عَرْضَهُ
سَمَّحٌ عَلَى الْمَالِ فَظٌّ	دَابَّاً يَجِدُّ فِضَّةً
لَهُ مِنَ الْجَاهِ حَظٌّ	عَلَى التَّوَاضُعِ عَضَّةً

(١) الأبيات ماعدا (٣ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤) في الذخيرة القسم الثاني

فلما أنشدته القاضي - أبقاه الله - سر سرور متشيح في غدي
 إنعامه وربّي أيامه ، وأمرني باستحضار صاحب الشرطة أبي بكر بن
 القوطية والأديين أبي جعفر بن الأبار (١) ، وأبي بكر بن نصر ، وأمرهم
 عنه لا زال ماضي الأمر بالعمل في ذلك المعنى على العروض ، والقافية فلم
 أقدم شيئاً على استحضارهم ، وإيراد ما أمرني به عليهم . فصنعوا في
 ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات .

فمن ذلك شعر أبي بكر بن القوطية وهو من أوله :

بشاطيء الواد نهر	كسا الدرانك أرضه (٢)
خضراً وصفراً وحمراً	وبعضها مبيضة
نمارق وزراب	من النواوير غضة (٣)
فالورد وجنة خود	بيضاء غراء بضة
كما البنفسج خد	أبقى به الهشم عضة
والياسمين نجوم	حازت من الحسن محضة
روض بديع متى ما	تجل به الطرف ترضة
تقيد اللحظ حسناً	فليس يستطيع نهضة
حكى سجايا ابن عبّا	د الكريم وعرضه
قاضي على الحق ماضي	راض به لو أمضة
إسم ابتداء تعالي	أن يحسن الدهر خفضه

أراد أنه رفيع القدر لم تقدر على خفضه نوب الدهر وهو معني

كالسحر .

(١) مضت ترجمته .

(٢) الأبيات ما عدا (٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١) في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٠٣ والدرانك : ضرب من الثياب أو البسط ، وتكون ستوراً وفرشا فيها صفرة وخضرة .

(٣) النمارق والزرابي : البسط أو كل ما بسط واتكى عليه .

ومن شعر أبي جعفر بن الأَبَّار وهو من أوله :

لا تُرَضَ لِلْحَظِّ غَضَّةٌ	وَالْمَخِّ مِنَ النَّوْرِ غَضَّةٌ (١)
خَدَّ الرَّيِّعِ تَبَدَّى	فَصِيلٌ بِلِحْظِكَ عَضَّةٌ
شَقَائِقُ شَقَّ قَلْبِي	رُؤَاؤُهَا وَأَقْتَضَّةٌ (٢)
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ مِنْهَا	خَرِيدَةٌ مُفْتَضَّةٌ
وَنَرَجِسٌ مُتَغَاضٍ	كَأَنَّمَا الْحُزْنُ مَضَّةٌ (٣)
يَرْنُو بِطَرْفِ كَحِيلِ	كَمَنْ يُحَاوِلُ غَمَضَّةٌ (٤)
وَسَوْسَنٌ إِنْ تُشِمُّهُ	فَكَالْوَدَائِلِ بَضَّةٌ (٥)
أَوْ أَلْسُنُ الدَّرِّ صِيَعَتْ	أَوْ الطَّلَا الْمُبِيضَّةُ
وَالْأَقْحُوَانُ نَجْمٌ	لَيْسَتْ تُرَى مَنْقَضَّةُ
كَانَتْ خِتَامًا عَلَيْهِ	مِنْهُ كَمَايْمُ غَضَّةُ
فَحَاوَلَ الْجَوَّ رِفْضًا	بِفِضَّةِ الطَّلِّ فَضَّةُ
لَمْ يُضِحِكَ الرَّوْضَ إِلَّا	دَمُوعُهُ الْمُرْفُضَّةُ
مَا زَالَ يُوَلِّي فَيُولِي	مِنْ كُلِّ وَدٍّ مَحْضَّةُ
حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ حَنَى	وَعَارَضَ الْمِسْكَ عِرْضَةَ
أَبْدَى غَلَائِلَ حُمْرًا	إِزَارُهَا مَنْفُضَّةُ
كَأَنَّمَا الْمَزْنُ جَيْشٌ	يُحَاوِلُ الْأَفُقَ عَرْضَةَ

(١) الأبيات ما عدا الأول ، وما بعد البيت الثامن في الذخيرة القسم الثاني المجلد

الأول ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) في الذخيرة (وافتضه) .

(٣) مضه الشيء مضًا ومضيضًا : بلغ من قلبه الحزن به فأمضه .

(٤) في الذخيرة : كليل .

(٥) الوديلة ، والجمع وذائل : القطعة من الفضة المجلوة ، وبضة بمعنى رقيقة

أو ناعمة .

ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْمَدْحِ مِنْ هُنَا دَخُولًا مُسْتَحْسِنًا فَقَالَ مَخَاطِبًا
لِمَمْدُوحِهِ :

كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِيهِ عَلَى اجْتِدَائِكَ حَضَّةً
كَأَنَّمَا الرَّعْدُ قَصْفًا بِكُمْ يُهَدِّدُ وَمُضَّةً
كَأَنَّمَا الرِّيحُ تَبْغِي لِبَعْضِ شَاوِكِ نَهْضَةً
كَأَنَّمَا الْبَحْرُ عَافَ إِلَيْكَ قَدْ شَدَّ عَرَضَهُ
وَمَدَّ بِالنَّهْرِ كَفَا لِكَيْ تُعَجَّلَ قَرَضَهُ

قوله : ما زال يُولى أرادَ يُتَعَاهَدُ بِالْوَلِيِّ وهو مَطَرُ الرِّيحِ ، وَيُؤَلِّي
الثَّانِي هو المَعْرُوفُ يُسَدِّي إِلَيْهِ . وَقوله : عَارِضَ الْمَسْكِ عَرِضُهُ ، العَرِضُ
الرِّيحُ يُقَالُ فُلَانٌ طَيَّبَ العَرِضِ وَمُنْتَنُ العَرِضِ أَي الرِّيحِ . وَالعَرِضُ أَيضاً
وَادِي اليمَامَةِ وَكُلُّ وَادٍ عَرِضٌ . وَالعَرِضُ أَيضاً مَا ذُمَّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ مُدِحٌ
وَقوله : قَدْ شَدَّ عَرِضَهُ العَرِضُ حِزَامُ الفَرَسِ وَمِنْهُ العَرِضَةُ .

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ نَصْرِ وهو مِنْ أَوَّلِهِ أَيضاً :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ خَضْرَاءَ بِالأَزَاهِرِ غَضَّةً
كَأَنَّهَا فِي مُلَاةٍ مِنَ الرِّبْرِجِدِ مَحْضَةً
وَفَوْقَ ذَلِكَ نُورٌ يُعَانِقُ البَعْضُ بَعْضَهُ
مِنْ تَرَجِسِ ذِي جُفُونٍ دُمُوعَهَا مُرْفِضَةً
مُصْفَرٌّ لَوْنٍ كَصَبٍّ بِهِ غَرَامٌ أَمْضَةً
لِحَظِّ لُجَيْنٍ وَلَكِنْ عَلَى صَفَا التَّيْرِ عَضَّةً
وَالسُّوسُنُ العَضُّ نُورٌ حَمَى عَنِ الدَّمِّ عَرِضَةً
كَأَنَّهُ ضَا حِكٌّ عَنْ عَوَارِضِ مُبْيِضَةً
مُفَلَّجَاتٍ طَوَالٍ تَلَبَّسَتْ بِالأَفِضَّةِ (١)

(١) الفلج بالتحريك : تباعد ما بين القدمين ، وتباعد ما بين الأسنان .

وَاللَّوَائِرُ عَرِضٌ وَالْوَرْدُ أَخْرَ عَرِضَهُ
 غَضٌّ وَبَضٌّ وَلَكِنْ لَمْ يُنْصِفِ الدَّهْرُ غَضَّهُ
 آلاسُ أَدْوَمُ بُرّاً وَالْوَرْدُ أَسْرَعُ مَرَضَهُ

ومن المدح :

جَاوِرٌ نَدَاهُ تُصَادِفُ مِنْ طَيِّبِ الْعَيْشِ خَفِضَهُ
 مَا أَضْمَرَ الْكُفْرَ إِلَّا مَنْ بَاتَ يُضْمِرُ بُغْضَهُ
 وَإِنْ عَصَاهُ مُنَاوٍ فَمَا بِنِي أَنْ يَفُضَّهُ
 وَلَوْ تَحَصَّنَ مِنْهُ بِرَأْسِ رَضْوَى لَرَضَهُ (١)

ثم إن الوزير الكاتب أبا الأصبح عرف ذلك فصنع شعراً على هَيْئَتِهَا فِي الْمَعْنَى وَالْعَرَضِ . وَمِنْهُ :

يَا مَنْ تَأَمَّلَ رَوْضاً بِهِ التَّوَاوِيرُ غَضَّهُ
 وَعَايَنَ الْحُسْنَ مِنْهَا قَدْ زَيْنَ الْبَعْضُ بُغْضَهُ
 فَالْأَقْحَوَانُ يَبَاضُ كَأَنَّهُ سِمَطُ فِضَّةٍ (٢)
 وَالتَّرَجِسُ الْعَضُّ يَبْرُّ فِي صُفْرَةٍ مِنْهُ مَحْضُهُ
 وَالْوَرْدُ مَاءٌ وَنَارٌ سَالاً عَلَى وَجْهِ بَضُّهُ
 ضِدَّانِ فِي صَحْنٍ خَدٌّ قَدْ أَلْفَا بَعْدَ بُغْضِهِ
 وَالنَّهْرُ سَبْكُ لُجَيْنِ جَرَى فَزَيْنَ أَرْضَهُ

ومن المدح :

قَاضٍ يَكْفِئُ عَنَّا الْعِدَى وَيَهْجُرُ غَمْضَهُ

(١) رضوى : بفتح أوله وسكون ثانيه اسم جبل بالمدينة وانظر معجم البلدان

(٢) (٥١/٣) .

(٢) السِّمَطُ بالكسر خيط النظم أو القلادة .

أَسْدَى وَأَوْلَى جَمِيلاً فَأَجْمَلَ اللَّهُ قَرْضَهُ
 أَيَّامُهُ الْعُرُّ مَاءً صَفَا لِمَنْ رَامَ خَوْضَهُ
 فَالْعُمُرُ فِيهَا قَصِيرٌ وَالذَّهْرُ فِيهَا كَعَمَضُهُ

وهذا البيت غايةٌ ووصفُ الوردِ نهاية وإن كان معروفاً في وصفِ
 الخُدودِ فقلبهُ إلى وصفِ الوردِ مما أحسنَ فيه وأغربَ به .

ولمَّا أكمل أبو الأصبغِ إنشادَ هذا الشعرِ أمرَ القاضي - أعزّه
 الله - واليدي عبده الناصحَ له دابه الحَسَنَ فيه ظاهره وغيبه بالجلوسِ بين
 يديه ثم أمَّلَ بديهةً عليه :

أَبْلُغْ شَقِيقِي عَنِّي	مَقَالَةً لِمِضَّةٍ (١)
بَانَ وَصَفَ الْأَقَاحِ	سِ الَّذِي وَصَفْتَهُ لَمْ أَرْضَهُ
هَلَا وَصَفْتَ الْأَقَاحِ	سِ بِأَكْوَسٍ مِنْ فِضَّةٍ
قِيَعَانُهَا مُلْبَسَاتٌ	صِرْفَ النَّضَارِ وَمَحْضَةٍ
أَوْ لَا فَصْفُرُ الْيَوَاقِدِ	تِ فِي خَوَاتِمِ فِضَّةٍ
أَوْ النَّجُومُ تَسَاقَطُ	نَ فِي الْمَهْيِ الْمُبِیْضَةِ
أَوْ لَا فَجَامُ مَهَاةٍ	بِالْخَمْرِ فِي كَفِّ بَضَّةٍ
قَدْ بَاكَرْتَهُ وَأَبَقْتُ	مِنْ فَضْلِهَا فِيهِ بَعْضَةَ

قال أبو الوليد : سمعتُ أبا الأصبغِ يقولان : والله ما أكمل
 إملاءَ الأبياتِ بتلك التشبيهاتِ الرائقةِ والصفاتِ الرائعةِ إلا ونحنُ قد بُهتْنَا
 من سرعةِ بديهتهِ ، وقدرةِ فكرهِ على تهذيبِ قوافيها وتهذيبِ معانيها في
 أسرعِ من لا في اللَّفْظِ ، وأَعْجَلَ من رَجَعَ اللَّحْظِ وَالْمَعْنِي فِيهَا وَالْمَرْدُودُ
 عليه بها هو الوزير أبو الأصبغِ في وصفهِ المتقدمِ للأقاحي حين قال :

(١) الأبيات ماعدا (٤، ٥، ٦، ٧، ٨) في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٠٥ .

لتعضه : أي لتحزنه حزنا شديداً .

فالأقحوان ييَاضاً كأنه سِمَطُ فِضَّة

لأنه وصفَ بياضه ولم يصف صُفْرته . فجمعهُما القاضي - أعزّه الله وأحسن ذِكره - بتشبيهِاتٍ كُلِّها مُستَوِلٌ على غايةِ الكمالِ ، مُستَوِفٍ نهايةَ الجمالِ ، ولو وقعَ تشبيهُ من تلك التشبيهِاتِ لموسومٍ بهذه الصناعة متَّخذ لها كالبضاعة بعد إعمال فكره فيه وإشغالِ ذهنه به لكان مُستندراً مُستغرباً فكيف باجتماعها على حُسْنِها وانطباعها له - أعزّه الله - بديهياً مع كثرةِ اشتغاله بالفرائض عن هذه النوافل التي لا يتحلَّى بها ولا يتَّجَلَّبُ بجلبايها .

قال أبو الوليد : وهذه القطعةُ كان يجب أن تكون في باب القِطْعِ المنفردة لأنها في الأَاقِحِي على حِدَّة . لكنِّي لو فصلتُها من الشُّعْر الذي اتَّصَلَتْ به والمعنى الذي وقعت فيه لَكُنْتُ مفرِّقاً بين الطَّرْفِ وِخْوَرِهِ والْحَدِّ وِخْفَرِهِ . ففيها من التَّشْرِيفِ لمن نُحِوطِبُ بها وَعُنيَ فيها ما يَبْقَى في نَسْلِهِ وَيُنْبِيءُ عن فضله .

وقال أبو الحسن عليُّ بن أبي غالبٍ (١) في المعنى الأوَّل والقافية والعرض موصولاً بمدح أبي - أطال الله لي عُمره وأبقي عليَّ سِتْرَه :

نَبَّهَ جُفُونَكَ لِلرَّوِّ ضِيَّ وَاهْجُرْنَ كُلَّ غَمْضَةٍ (٢)
 قَدْ نَبَّهَ الطَّلُّ مِنْهُ الْجَفْنَ الَّذِي كَانَ غَمْضَهُ
 مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ كَخَدِّ الْـ حَبِيبِ حَاوَلَتْ عَمَّضَهُ
 وَسُوسَنٍ قَدْ حَكَى لِي سَوَالِفَ الْغَيْدِ بَضَّهَ

(١) أبو الحسن علي بن أبي غالب أديب شاعر كان بإشبيلية في أيام القاضي أبي القاسم محمد بن عباد . - جذوة المقتبس ٣١٥ رقم ٧١٧ .

(٢) الأبيات ما عدا (٥ ، ٦) في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، لأبي حصن .

وَنَرَجِسٍ مَنَعَ الشَّهْدُ دُ جَفْنُهُ أَنْ يَعْضَهُ
 كَلُونُ صَبَّ تَشَكَّى قِلَا الحَبِيبِ وَبَعْضَهُ
 وَمِنْ بَهَارٍ يُدَلِّي جَمَاعِمًا مِنْهُ غَضَّهُ
 كَأَنَّهُ مُعْرِضٌ عَنُّ مُحَدِّثٍ لَمْ يَرْضَهُ
 وَمِنْ أَقَاحِ يُبَاهِي مُصْفَرُّهُ مُبْيَضَّهُ
 كَأَنَّهُ نُقْرُ التَّبْرِ فِي مَدَاهِنِ فِضَّهُ

وبعد أبياتٍ دَخَلَ إِلَى المَدْحِ . فقال يعني الرُّوضِ :

كَأَنَّمَا ضُمَّنْتَ مِنْ مُعْتَقِ المِسْكِ مَحْضَهُ
 فَأَشْبَهْتَ مِنْ طِبَاعِ ابْنِ عَامِرٍ النَّدْبَ بَعْضَهُ
 وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا أَبُو الحَسَنِ بَيِّنِينَ مَرْمَاهُمَا رَشِيقٌ وَمَعْرَاهُمَا
 دَقِيقٌ فِي الحَيْرِيِّ والنَّيْلُوفَرِ . وهُمَا :

كَأَنَّمَا الحَيْرِيُّ حَبٌّ غَدَا النَّيْلُوفَرُ العَضُّ عَلَيْهِ رَقِيبٌ (١)
 فَهَوَ إِذَا طَبَّقَ أَجْفَانَهُ بِاللَّيْلِ لَأَقَاكَ بِنَشْرِ وَطِيبُ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ وَصِفَاءً فِي السُّوسَنِ وَالبَاقِلَاءِ حَسَنَ التَّشْبِيهِ
 أَبْدَعٌ وَأَعْرَبَ فِيهِ وَهُوَ :

وَمِنْ سُّوسَنِ غَضَّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ كَوْوَسُ لُجَيْنٍ لَمْ تُشَنَّ بِنِيَالِ
 إِذَا مَا بَدَا فِيهَا الحَبَابُ حَسِبْتَهَا سَوَالِفَ غَيْدٍ قُلِّدَتْ بِلَالِ
 وَنَوْرُ نَبَاتِ البَاقِلَاءِ كَأَنَّهُ شُؤْفُ لُجَيْنٍ ضُمَّخَتْ بِغَوَالِ (٢)

وَلِإِبِي بَكْرٍ بَنِ نَصْرٍ وَصَفُ أَكْثَرِ نَوَاوِيرِ الرَّبِيعِ فِي قَصِيدِ بَدِيعِ

(١) البیتان فی جذوة المقتبس ٣١٥ .

(٢) جمع شنف : وهو القرط الأعلى أو ما علق في أعلى الأذن .

حَسَنَ التَّشْبِيهِاتِ غَرِيبِ الصِّفَاتِ مَدَحَ بِهِ أَبِي - أَبَقَاهُ اللَّهُ لِي - فَقَالَ
يَخَاطِبُهُ بَعْدَ آيَاتٍ :

أَسْلَالَةٌ مِنْ عَامِرٍ سَلَنِي عَنِ آلِ
لِلَّهِ نَيْسَانُ فِيهِ تَمَّ مَا
أَمَّا الْبِقَاعُ فَإِنَّهَا جَادَتْ لَنَا
كَالْأَقْحَوَانِ بَدِيهَةً فَاسْمَعْ لَهُ
هُوَ ضَاحِكُ الْأَسْنَانِ لَمَّا أَنْ بَكَتْ
فَتَرَاهُ يَبْسِمُ عَنِ ثَنَائِي فَضَّةٌ
وَشَقَائِقُ التُّعْمَانِ قُمْصُ أُشْبِعَتْ
وَكَانَتْهَا وَسَطَ الْبِقَاعِ وَقَدْ عَلَتْ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبَهَارَ تَأْمَلًا
قُضِبُ الزُّمْرُدِ مَوْرِقَاتُ فِضَّةً
وَالنَّرْجَسُ الْغَضُّ الْأَنْيَقُ يَعْضُ آلَ
مُتَرْقِقٍ بِحَبَابٍ طَلَّ مِثْلَ مَا
وَاعْجَبْ لْخَيْرِي الرِّيَاضِ فَإِنَّمَا
بِاللَّيْلِ لِلسُّمَارِ يَنْشُرُ نَشْرَهُ
فَإِذَا أَضَاءَ الصُّبْحُ أَخْفَى نَشْرَهُ
وَالسُّوسُنُ الْفَيْنَانُ صِفُهُ فَإِنَّهُ
وَكَأَنَّمَا صِرْفُ اللَّجِينِ بُرُودُهُ
وَإِذَا دَنَا لِلْأَنْفِ مِنْ مُسْتَنْشِقٍ
وَإِذَا ذَكَرْتَ الْوَرْدَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ
مُتَدَثِّرٌ بَعْلَائِلِ حُمْرِ الْحُلَى
طِيبٌ لِأَنْفَاسِ الْنَفُوسِ وَمَنْظَرٌ

أَنْوَارٍ تَحْصُلُ عِدَّكَ الْأَنْوَارُ
قَدْ كَانَ قَبْلُ بَدَا بِهِ آذَارُ
بِشُمُوسِ نَوْرِ بَيْنَهَا أَقْمَارُ
فِي الْوَصْفِ مَا فِيهِ اللَّيْبُ يَحَارُ
عَيْنُ السَّمَاءِ وَدَمْعُهَا مِذْرَارُ
تَبْدُو إِلَيْكَ لِثَائِهِنَّ نُضَارُ
فِي حُمْرَةٍ فَلَهَا بَذَا إِيْثَارُ
قُضْبَانُ آسِي فِي ذُرَاهَا نَارُ
أَيَقَنْتَ أَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ مُعَارُ
وَلَهَا التُّضَارُ مُخَلَّصًا نُورُ
حَاطَاً مِرَاضًا مَا لَهَا أَشْفَارُ
بَدَرْتُ دُمُوعٌ لِلْمُحِبِّ غَزَارُ
هُوَ بَيْنَ أَنْوَارِ الرِّيَاضِ خِيَارُ
لَيْنَالِ رَدَعِ نَسِيمِهِ السَّمَارُ
وَتَمَزَّقَتْ مِنْ دُونِهِ الْأَوْطَارُ
غَضُّ تَكَادُ تُذْيِبُهُ الْأَبْصَارُ
مِنْهُ شِعَارٌ لَاصِقٌ وَدِثَارُ
فَلَهُ بِهِ مِنْ رَدَعِهِ آثَارُ
لِلنُّورِ أَجْمَعِ فِي الرِّيَاضِ مَنَارُ
تَنْجَابُ دُونَ جُيُوبِهِ الْأَزْرَارُ
لِلْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ غَدَارُ

أما وصفه البهار فهو كوصف أبي عمر القسطلي (١) له ويمكن
أن يأخذه أو يوافقه . وقول أبي عمر فيه :

غصون الزمرد قد أوقت لنا فضة نورت بالذهب

وسياتي في بابيه مع أشكاليه وأمثاله .

وأنشدني أبو بكر بن نصر وصفاً مستحسنًا في نواوير عده وأزهير
جملة موصولاً بمدح ذي الوزارتين القاضي - أيد الله يده وحصر من
حسده - وهو من جملة قصيد مطول :

وقد راقني من يانع النور فاقع وقان وأحوى حالك اللون أسوده (٢)
غلائل خيري وأقباء سوسن وقمصان نسرين يروق توقده (٣)
وكم سبط للنور يسطع نوره ثم به ريح الصبا فتجعده (٤)
إذا الأقحوان العض أبدى تبسما تبدى من الورد النضير تورده
ويزهى الشقيق العصفري بلونه إذا فاقع الحوذان جاد تولده (٥)

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي من الشعراء
المشهورين بالأندلس ، ومن العلماء المتقدمين كان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره ،
وذكره الثعالبي في اليتيمة وقال عنه : كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام مات سنة
٤٢١ ، وانظر في ترجمته مقدمة ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور محمود علي مكى ، وأشار
إلى جملة كبيرة من مصادر ترجمته ص ١٩ .

(٢) الحوة بالضم : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد ، والأحوى الأسود ،
والنبات الضارب إلى السواد لشدة خضرته .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطري قوى الرائحة ، ونقل أدى شير عن الأزهرى
قوله : لا أدري أعربى أم لا ثم عقب عليه بالتأكيد على أنه فارسي وفارسيته نسرين .
الألفاظ الفارسية المعربة ١٥٣ وانظر الجامع للمفردات الأدوية والأغذية (١٧٩/٤) .

(٤) السبط ، وبحرك ، وككتف : نقيض الجعد .

(٥) الحوذان : نوع من النبات .

وما الخرم الكحلي إلا كأنه
 ومن نرجس نضر يروقك ذره
 من الحسن طرف جال في الجفن إثمده
 وياقوته السامي به وزبرجده
 وتنتج أيدى الحيا وتولده
 سليل ابن عباد الجواد محمده
 كما ولد الأفضال في حمص والندی
 فذلك بحر طامح الموج مزبده
 ليعتمد الوراد بحر يمينه

قوله : ومن نرجس يعني البهار . وصفته على ذلك دالة . وياقوته
 السامي لو أمكنه أن يذكر لونه فيقول المصفر أو نحوه لكان أتم إذ ألوان
 اليواقيت كثيرة لكنه اكتفى بشهادة الموصوف وهذا للشعراء كثير .

ومن اللباب في هذا الباب رسالة كتب بها الوزير أبو حفص أحمد
 ابن محمد بن برد^(١) إلى الوزير أبي الوليد بن جهور وصف فيها نوادر
 خمسة وغرضه تفضيل الورد بينها وتقديمه عليها بصفات كلها حرر
 الألفاظ وتشبيهات جميعها حور الألفاظ .

والرسالة (٢) :

أما بعد ياسيدي ، ومن أفديه بنفسي فإنه ذكر بعض أهل الأدب
 المتقدمين فيه وذوي الظرف المعتنين بملح معانيه أن صنوفاً من الرياحين
 وأجناساً من أنوار البساتين جمعها في بعض الأزمنة خاطر خطر
 بنفوسها ، وهاجس هجس في ضمائرهما لم يكن لها بد من التفاوض فيه

(١) مضت ترجمته .

(٢) انظر الذخيرة لابن بسام القسم الثاني المجلد الأول ١٢٧ ، ونهاية الأرب

والتحاور ، والتحاكم من أجله ، والتناصف . وأجمعت على أن ما ثبت في ذلك من العهد ونفذ من الحلف ماض على من غاب شخصه ، ولم يثن منها وقتها .

فتخيرت من البلاد أطيبها بقة ، وأخصبها نجعة ، وأظللها شجراً ، وأغضرها (١) زهراً ، وأعطرها نفس ريح وأرقها دمع نداء .

ثم أخذت مجالسها وانبرت على مراتبها وقام قائمها فقال :

معشر الشجر وعامة الزهر ، إن اللطيف الخبير الذي خلق المخلوقات ، وذراً (٢) البريات باين بين أشكالها وصفاتها ، وباعد بين منحها وأعطياتها ، فجعل عبداً ومليكاً ، وخلق قبيحاً وحسنًا . فضل على بعض بعضاً حتى اعتدل بعدله الكل وأتسق على لطف قدرته الجميع (٣) وأن لكل واحد منا جمالاً في صورته ورقة في محاسنه واعتدالاً في قده وعبقاً في نسيمه ومائية في ديباجته قد عطفت علينا الأعين وثنت إلينا الأنفس وأصبت بنا الأكف وأزهت بمحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الأحبة ووصلنا أسباب القلوب وتحملنا لطائف الرسائل وحببنا اللهو واحتضنا السرور وأخذنا جمالة البشرية وأكرمنا بنزل الرفادة (٤) وأسنيت لنا صلة الزيادة وصيغ فينا القريض ورُكبت على محاسننا الأعاريض فطمح بنا العجب وازدهانا الكبر وحملنا تفضيل من فضلنا وإيثار من آثرنا على أن نسينا الفكرة في أمرنا والتمهيد لعواقبنا والتطبيب لأخبارنا وادعينا الفضل

(١) الغضارة : الطين اللازب الأخضر الحر ، والغضراء الأرض الطيبة الخضراء .

(٢) ذراً : بمعنى خلق ، والشئ كثره ، ومنه الذرية لنسل الثقلين .

(٣) في الذخيرة : فجعل لكل .

(٤) الرفادة : من الرُفد : العطاء والصلة والإعانة .

بأسره والكمال بأجمعه ولم نعلم أنّ فينا من له المزية علينا ومن هو أولى بالرياسة منا ومن يجب له علينا التحرُّج ومدُّ اليد بالمبايعة وإعطاء مجهود المحبة وبدل ذات النفس وهو الورد الذي إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا ولم نرتكض في بحر عمانا ولم نمل مع نزع هوانا دنا له ودعونا له واعترفنا بفضله وقلنا برياسته واعتقدنا إمرته وأصفينا محبته فمن لقيه منا حياه بالملك ووفاه حق الإمامة ومن لم يدرك زمن سلطانه ولم يأت على عدان (١) دولته اعتقد ما عُقد عليه ولبي إلى ما دعي إليه . فهو الأكرم حسباً والأشرف زمناً والأتم خصلاً والذي إن فقدت عينه لم يفقد أثره أو غاب شخصه لم يغب عرفه والطيب إليه كله محتاج وهو عن جميعه مستغن وهو أحمر والحمرة لون الدم والدم صديق الروح وصيغة الحياة وهو كالياقوت المنضد في أطباق الزبرجد عليها فرائد العسجد .

وأما الأشعار فبمحاسنه حسنت وباعتدال جماله وزنت . وإننا ما نعتقد إلهامنا إلى هذه الحمدة واستنظافنا من دنس تلك المذمة إلا من أجل النعم المقسومة لنا والأبيادي المتصلة بنا .

وكان ممن حضر هذا المجلس وشهد هذا المشهد من مشاهير الأزهار ورؤساء الأنوار النرجس الأصفر والبنفسج والبهار والخيري التمام .

(١) العدان : بكسر العين وفتحها تأتي لعدة معان منها الوقت والزمان والعهد

وانظر مادة عدن في لسان العرب .

فقال النرجس الأصفر : والذي مهّد لي حجرِ الثرى وأرضعني
 تُذّي الحيا لقد جئت بها أوضح من لَبّة الصّباح ، وأسطع من لسان
 المِصباح ، ولقد كنت أُسِرُّ من التّعبد له والشّغف به والأسف على
 تعاقب الموت والرجعة دون لقائه ما أنحل جسمي ومكّن سُقْمِي وإذ قد
 أمكّن البوح بالشكوى فقد حقّ ثقلُ البلوى .

ثم قام البنفسجُ فقال : على الخير سقطتُ أنا والله المتعبّد له
 الداعي إليه المشغوفُ به كلفاً ، المغضوض بيد النأي عنه أسفاً ، وكفى
 ما بوجهي من نذب ، وبجسمي من عدم نهوض ، ولكن في التّأسي بك
 أنسّ وفي الاستواء معك وجدان سلو .

ثم قام البهار فقال :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد النّجم والحصى والتراب

لا تنظرنّ إلى غضارة منبتي ، ونضارة ورقي ، وانظر إليّ وقد
 صرّت حدقة باهتة تشير إليه وعيناً شاخصة تندی بكاءً عليه :
 ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي (١)

ثم قام الخيريّ النّمّام فقال : والذي أعطاه الفضل دوني ، ومدّ له
 بالبيعة يميني ، ما اجترأت قطُّ إجلالاً له واستحياءً منه . على أن أتفّس
 نهراً أو أساعد في لذة صديقاً أو جاراً . فلذلك جعلت الليل سترًا
 واتخذت جوائزهُ كِنًا .

فلما رأت استواء آرائها على التفضيل له ، واعتدال مذاهبها

(١) البيت للخنساء في ديوانها ٨٤ من قصيدتها المشهورة في رثاء أخيها صخر .

في الدعاء إليه قالت : إِنَّ لَنَا أَصْحَاباً وَأَشْكَالاً وَأَتْرَاباً لَا نَلْتَقِي بِهَا فِي
زَمَنٍ ، وَلَا نَجَاوِرُهَا فِي وَطَنٍ فَهَلُمَّ فَلَنَكْتُبْ بِذَلِكَ كِتَاباً ، وَلَنَعْقُدَ بِهِ حَلْفاً
وَلَنَضَعَ مِنْ شَهَادَتِنَا مَا يُحْتَمَلُ الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي عَلَيْهِ .

نسخة الكتاب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا تَحَالَفَتْ عَلَيْهِ أَصْنَافُ الشَّجَرِ ،
وَضُرُوبُ الزَّهْرِ وَسَمِيئُهَا وَشَتَوِيئُهَا وَرَبِيعِيئُهَا وَقَيْظِيئُهَا ، حَيْثُ مَا نَجَمَتْ مِنْ
تَلْعَةٍ أَوْ رِبْوَةٍ ، وَتَفَتَّحَتْ مِنْ قَرَارَةٍ أَوْ حَدِيقَةٍ عِنْدَمَا رَاجَعَتْ مِنْ بَصَائِرِهَا ،
وَأَهْمَتْ مِنْ رَشَادِهَا ، وَاعْتَرَفَتْ بِمَا سَلَفَ مِنْ هَفَوَاتِهَا وَأَعْطَتْ لِلرَّوَدِ
قِيَادَهَا ، وَمَلَكَتْهُ أَمْرَهَا ، وَأَخْلَصَتْ لَهُ مَحَبَّتَهَا ، وَعَرَفْنَا أَنَّهُ أَمِيرُهَا الْمُقَدَّمُ
بِخِصَالِهِ فِيهَا وَالْمُؤَمَّرُ بِسَوَابِقِهِ عَلَيْهَا ، وَاعْتَقَدَتْ لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ ،
وَالْتَزَمَتْ لَهُ الرَّقَّ وَالْعُبُودِيَّةَ ، وَبَرَّتْ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ الْمُبَاهَاةَ لَهُ
وَالانْتِزَاءَ (١) عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَطَنٍ ، وَمَعَ كُلِّ زَمَنٍ فَأَيَّةَ زَهْرَةٍ قَصَّ عَلَيْهَا لِسَانُ
الْأَيَّامِ هَذَا الْحَلْفِ فَلْتَعْرِفْ أَنَّ رَشَادَهَا فِيهِ ، وَقِيَامُ أَمْرِهَا بِهِ ، وَلِتُحَمِّدَ اللَّهُ
كَثِيراً عَلَى مَا هَدَاها إِلَيْهِ ، وَاسْتَنْقَذَهَا مِنَ الضَّلَالِ بِتَبَصُّرَتِهِ وَلِتَشْهَدَهُ عَلَى
اعْتِقَادِهَا وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى الْجَمِيعِ .

شهادة النرجس :

شَهِدَ النَّرْجِسُ وَاللَّهُ يَرَى . صِحَّةَ النَّيَّاتِ مِنْهَا وَالْمَرَضُ
أَنَّ لِلرَّوَدِ عَلَيْهِ بَيْعَةً أُكِّدْتُ عَقْداً فَمَا إِنْ تَنْتَقِضُ

(١) الانتزاء : من نزا نژواً ونزاء ، ونژواً ونزوانا : وثب ونزا به قلبه : طمح ،
والتزوان محرّكة : التقلب والسّورة .

شهادة البنفسج :

شَهِدَ البِنْفَسْجُ أَنَّهُ لِلْوَرْدِ عَبْدٌ تَمَلَّكِ
يَسْعَى بِقَلْبِ نَاصِحٍ فِي حُبِّهِ مُسْتَهْلِكِ

شهادة البهار :

شَهِدَ البَهَارُ وَذُو الجِلالَةِ عَالِمٌ
أَنَّ الإِمارةَ فِي الأَزهارِ كُلِّها
بصحيح ما يُبدي وما يُخفيه
للورد لا يُؤتى له بِشبيهه

شهادة الخيري النمام :

شَهِدَ الخَيْرِيُّ بَرًّا صَادِقًا
أَنَّ أَزهارَ الثَّرَى أَجمَعها
قَوْلَةً أَبَعَدَ عنها الدَّرَكُ
أَعْبُدُ والوردُ فيها مَلِكُ

هذا سيدي ما انتهى في المعنى إليّ ففضلك في تصفحه ،
والتجاوز عما وقع من زللٍ في نقله ، فأنت السابق الذي نجري في
غُباره ، ونهتدي بمناره ، ولولا علمي بموقع هذه المُلح منك لم أُجشَمَكَ
مُؤنَةَ النظر في ما كَتَبْتُ منها لك إن شاء الله .

قال أبو الوليد إسماعيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عامرٍ : ولي رسالة (١)
أردفتها على هذه مشتملة على وصف سبعة أنوار على ما انتهت إليه غاية
اختياري وغرضي في الرد بتفضيل البهار على الورد خاطبتُ بها ذا الوزارتين
القاضي سيفَ الحقِّ الماضي - كَبَتَ اللهُ أعداءَهُ وأدام عليهم إعداءَهُ .
وهي : يامولاي الذي رِقُّه لي شرفٌ ، وجودُهُ عليّ سرفٌ ، ومن
أبقاه اللهُ لرفعِ شأنِ ودودٍ ، ووضعِ شأنِ حَسودٍ .

(١) انظر الذخيرة القسم الثاني المجلد الثاني ١٣٠ ، ١٣١ .

. كان من اجتماع بعض النواوير ، واتفاق طائفة من الأزهير على تقديم الورد عليها ، وتفضيله بينها ، وتخييره للخلافة منها ما قد وقفت عليه ، ونظرت إليه مما عني بجمعه وانفرد لذكره أبو حفص بن بُرد الوزير الكاتب ، وسراج الأدب الثاقب . وكانت النواوير المتفقة عليه والداعية حينئذ إليه البنفسج والخيري الثمام والبهار وكتبت كتاباً إلى صنوف الأنوار وضروب الأزهار تأمرنا بالوقوف عندما وقفت والاتفاق على ما اتفقت .

فأول من رأى الكتاب وعان الخطاب نواوير فصل الربيع التي هي خيرة الورد في الوطن وصحابته في الزمن . فلما قرأته أكبرت ما فيه ، وبنّت على هدم مبانيه وبعض معانيه ، وعرفت الورد بما عليه فيما نُسب إليه من استحقاقه ما لا يستحقه ، واستبهاه ما لا يستأهله وقالت له :

« من مدح امرءاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه » وبيّنت ذلك له بياناً رأى الرشد فيه عياناً ، وأجمعت على مُجاوبة مكاتبتها ، ومراجعة مخاطبتها بما بدا لها من سوء تديرها ، وضعف رأيها ، ثم رأت أن مخاطبة من أخطأ تلك الخطيئة ، وأدنى من نفسه تلك الدنية ، تدير دبري (١) والتخلي عنه رأيي غير مرضي . فكتبت إلى الأقحوان والخيري الأصفر إذ هما يجاوران تلك في أوطانها ويصاحبانها في أزمانها .

(١) الدبري : محرّكة - رأى يسبح أخيراً عند فؤت الحاجة .

ونسخة الكتاب :

من نواوير فصل الربيع الأزهر إلى الأقباح ، والخيري الأصفر ،
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وصلت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فيها ،
وفغر عن فيها خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .
ولو استحقَّ الورد إمامة أو استوجب خلافةً لبادرَ بها آباؤنا ولعقدتها أوائلنا
التي لم تزل تجاوره في مكانه وتجيء معه في أوامه .

وأما من عقد تلك البيعة ، وكتب تلك الصحيفة فلم ير له قطُّ
صورة ، ولا تلا من ذمه سورة ، فإذا قد جهلت قدره ولم تعلم أمره ، هلاً
شاورت مصاحبي ، واستخبرت مختبريه حتى تقف على حقيقة خبره ،
وتعلم جليته خيره ، فبأي شيء أوجبت تقديمه ، ورأت تأهيله لما غيره
أشكل له ، وأحقُّ به وهو نورُ البهار البادي فضله بدوُّ النهار ، والذي لم
يزل عند علماء الشعراء وحكماء البلغاء مشبهاً بالعيون التي لا يحول
نظرها ، ولا يحور حورها ، وأفضل تشبيه للورد الخد عند من تشيع فيه
وعني به ، وأشرف الحواس العين إذ هي على كل منول عون ، وليس
الخد حاسة فكيف تبلغه رياسة :

أين الخدود من العيون رياسةً ونفاسة لولا القياس الفاسد^(١)

وأصح تشبيه للورد وأقربه من الحق قول الحكيم ابن الرومي^(٢)

(١) البيت لابن الرومي في ديوانه (٦٤٤/٢) وروايته .

أين العيون من الخدود نفاسة ورياسة لولا القياس الفاسد

(٢) يشير بذلك إلى قول ابن الرومي في هجاء الورد :

وقائل لم هجوت الورد معتمدا فقلت من بغضه عندي ومن سخطه

يا مادح الورد لا ينفك عن غلظه ألت تبصره في كف ملتقطه

كأنه سُرْم بغل حين يخرج عند الرياث وبقى الروث في وسطه

والأبيات في ديوانه (١٤٥٢/٤) .

في شعره الطائي لقد وافق ووفق وشبه وحقق . فقيانا وفقكما الله ،
 ولا أخلاكما من هداه بالنواوير المخاطبة لنا المسخنة لأعيننا وأعرضا عليها
 مطلبنا ، وبيننا لها مذهبنا ، وأتبا البهار مفرداً تانياً يقيمه ويقعده ،
 ويقصده فيقصده على مشاركته على نفسه ، وسعائه في إبطال حقه فلولا
 استجابته لها وكونه معها ما تحصن لتلك مراد ، ولا تحسن لها مراد
 وحياه عنا بالسلام الأثير بعد الملام الكثير ، ووالله العظيم حقه الواسع
 رزقه لو جاورناه في وطن ، أو صحبناه في زمن لبايعناه منذ مدة مبايعة
 العبيد ، ونفديه لفضله علينا بالطريف والتليد ، وراجعانا بعد هذا
 بالمذهب التي تبني عليه ، وتجري إليه فإن وافقت لم يشد عنا من النواوير
 إلا من لم تشهر عينه ، ولا يعدد فينا صيته وأينه ، مع أن جماعتنا تعلم
 فضل ما صنعناه ، وتوالي من وليناه ، وإن خالفت لم تستضر مخالفتها ،
 ولم نضطر إلى مخالفتها فنحن جل النواوير وعمدة الأزاهير نعقد للبهار
 ونقدمه على جميع الأنوار .

فوصل كتابها إليهما ، وورد خطابها عليهما ، وعندهما البنفسج ،
 والخيري النمام ، والترجس مشاورة لهما ، ومستمدّة بأرائهما في الخروج
 عما دخلت فيه والتخلص مما اكتسبت به سوء الأثر ، وقبيح الخبر من
 تقديم الورد على البهار على أنه ملك الأنوار . والخيري الأصفر ،
 والأقحوان يكثران تانيبها ، ويسفهان آراءها ، ويجددان الشكر لله على
 استنقاذها مما ورطها فيه وتأخيرها عما ألحقها به .

فلما وصل كتاب النواوير الربيعية وهي متصلة من تلك الخطية
 وقع منها مواقع الماء من ذي الغلة الصادي ، وقالت الآن يُصقل من
 أذهاننا الصادي ، وأعاد الخيري الأصفر ، والأقحوان التائب لها ،
 والتعديد عليها فقالت :

لا تكثرا لومنا ، ولا تُطِيلَا تَأْنِيْبَنَا فلو لم تكن لنا سَقْطَةٌ ،
 ولا نُسَبَّتْ إِلَيْنَا غَلْطَةٌ ، لخرجنا عن الأمرِ المعلوم والحدِّ المعروف . فلا بدَّ
 لِلْكَلِّ من تَدْيِيرٍ دَبْرِيٍّ ، ورَأْيٍ غيرِ مرضِيٍّ ، وقد قيل اللبيبُ من عُدَّتْ
 سَقْطَاتُهُ والأريبُ من حُصَلَّتْ هَفَوَاتُهُ . وإذ قد استيقظنا من نومة الجهلِ
 فَأَغْمَدْنَا عَنَّا سَيْفَ الْعَدْلِ ، ووالله إِنَّنا لأَحْقَاءُ بِالتَّأْنِيْبِ أَحْرِيَاءُ بِالتَّؤْيِبِ إِذْ
 عَجَلْنَا عَظِيمَةً لم نُنْعِمِ النَّظَرَ فِيهَا ، وَأَنْفَذْنَا كَبِيرَةً لم نُعَانِ عَوِيصَ مَعَانِيهَا
 وَقَدِيمًا حُمِدَ التَّأْنِيِّ وَذُمَّتِ الْعَجَلَةُ . ومن أمثالهم : رَبِّ عَجَلَةٍ تَبْعَثُ رِيثًا
 وَرَحِمَ اللهُ الْقَائِلَ : وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ (١) . لكننا نَصْفَعُ قفا
 الحوبةِ بِيَدِ التَّوْبَةِ ونَجْلُو دُجَى الاقْتِرَافِ بِصُبْحِ الاعْتِرَافِ .

فسرَّ الخيريُّ والأقحوانُ بما بدا منها من الإقرار بذنوبها والاعتذارِ
 من خطاياها وبنّت معاً على مُجاوبةِ الأنوارِ الربيعيةِ بِإِنْفَازِ ما رَغِبَتْه وإِكْمَالِ
 ما ابْتَدَأَتْهُ ثُمَّ خَرَجَتْ بِأَسْرَها إلى البَهارِ مُعْتَذِرَةً إِلَيْهِ مُتَنَصِّلَةً مِمَّا جَنَّتْهُ عَلَيْهِ
 وَسَأَلَتْهُ الْعَفْوَ عن ذنوبها والإمساكَ عن تَأْنِيْبِها والطاعةَ لها بِالتَّقَدُّمِ عَلَيْهَا
 وَالتَّمَلُّكِ لْجَمِيعِهَا .

فَأَجابَها إلى رَغْبَتِها وأَطْلَبَها في طَلِبَتِها وَأَنْشَدَها قَوْلَ ابنِ الْمُعْتَزِّ :

دِيَةَ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْإِعْتِذَارُ (٢)

ثم قرأ عليه الأقحوانُ والخيريُّ الأَصْفَرُ كِتابَ النَوائِرِ الرِّبَعِيَّةِ إِلَيْهِمَا
 فَلَمَّا وَصَلَا إلى الفِصْلِ الَّذِي سَأَلُوهُما فِيهِ التَّعْدِيدَ عَلَيْهِ وَالتَّأْنِيْبَ لَهُ قال :

(١) عجز بيت للقطامي في ديوانه وتماه :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٢) لم أجد هذا الشطر في ديوان ابن المعتز .

والله ما دخلت معهم في ما أحدثوه ولا تابعتهم على ما صنعوه إلا حياءً من تعريفهم بما لا يجمله الجاهلون ، ولا يغلط فيه الغالطون ، وليس من ترك حقه ملوماً إنما الملوّم من تسوّر على غير حقه ، وادّعى سيوى واجبه ، ولولا بُدُو ذلك لجميعكم ، وظهوره إلى ربيعكم ووضيعةكم ، ورغبتني في استنقاذكم من رق الضلالة ، وفككم من ريق الجهالة ما أطعت فيما رغبتموه ولا صبرت لما أردتموه ولا عرفتكم من فضلي بما سكت أولاً عليه ، ولا ندبتكم من حقي إلى ما لم أندبكم قبل إليه .

فقلت :

مثلك انقاد إلى رغبة مؤمليه ، وأيد سالف أياديه ، وغفر ذنوب عشيرته ، وصفح عن جيرته ، وجرى على أخلاق الملوك في الصفح عن الملوك .

وحاوب الأقحوان والخيرى الأصفر نواوير الربيع الأزهر ، بما نفذ من حسن القدر .

ونسخة كتابهما :

بسم الله الرحمن الرحيم - وصل إلينا كتابكم ، وورد علينا خطابكم تُبينون فيه ضعف ميز مقدمي الورد ، ومبايعته وسوء رأي مؤليه ومؤمليه ، وتلك قصة غابت عنا ، وبعدت بفضل الله منا ، وقد ظهر ضعفها إلى من تولى ، وتبين سُخْفها لمن ولى ، وإذ وقفتُموها فوافقتُمونا فهي النعمة الجزيلة ، والمنّة الجليّة ، ونحن على مبايعة البهار والكتاب إلى جميع الأنوار . وسيصل إليكم ويرد عليكم .

فلما نفذ هذا الكتاب إلى النواوير الربيعية بتمام القضية المرضية
قالت للبهار :

من تمام كرمك ، وكال نعمك إباحة العقد لك بالاتفاق عليك
وإنفاذه إلى صنوف الأنوار وضروب الأزهار .

فأباح لها ذلك وكتبت بين يديه هنالك :

بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب مبكري الأنوار وسابقي
الأزهار إلى من غاب عنها بشخصه ولم يحضرها بنفسه .

أما بعد فإننا نحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو مستنقذنا من
الفعلة القبيحة ، والدينية الصريحة التي نفذ بها كتابنا إليكم ، وورد بإكمالها
خطابنا عليكم ، وتلك غلطة ظهرت لكم ، وسقطت لم تغب عنكم ،
ولعمرُ الحق الذي إليه نرجع ، وبه في أمرنا نقطع لقد ظهر إلينا فسادُ
ما خصصنا عليه ، وقبح ما نؤدبنا إليه بعد إنفاذه وإكماله ، والتدبر لجميع
أحواله ، ولم نسقط إلا بتعجيل التدبير ، ولا خير في الرأي الفطير ، وإذ
قد اجتمع الرأي من سراتكم ومنا ، وصدر الاتفاق عن كبرائكم وعنا
فهي التعمية التي بها تنتظم أمورنا ، ويراعى أميرنا ، وقد بايعنا البهار
الباهر جماله الظاهر كإله على ما رضيتُم به ورغبتُم فيه ، وقد وضعنا
شهادتنا على صديق من نياتنا .

وكان كاتبُ الصحيفة البنفسجُ فقيل له : ابدأ شهادتك . شهادة
البنفسج : - النَّشْرُ : والله ما أضعف أملي ، وضاعف علي ، وأوهن
سوقي متي ، وقللني في كل سوق إلا الدخول في تلك الوحول ، والبعد
عن الخلق الكريم ، والصراط المستقيم في تأخير هذا الملك العظيم الذي
بتقديمه الآن أرجو أن دائي قد لان .

وَالنَّظْمُ لَهُ :

أَمَّا الْبِنْفَسُجُ فَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ
مُتَبَرِّئٌ مِنْ بَيْعَةِ الْوَرْدِ الَّتِي
مُتَبَيِّنٌ فَضْلَ الْبَهَارِ وَعَالِمٌ
مُتَذَمَّمٌ مِمَّا جَنَى مُتَنَصِّلٌ
لَمْ يَبْرَ مِنْهَا دَاوُهُ الْمُتَأَصِّلُ
أَنَّ الْبَهَارَ هُوَ الْمَلِكُ الْأَفْصَلُ

شهادة النرجس : النَّثْرُ : تَبَا لَيْتَكَ الْفَعْلَةَ الذَّمِيمَةَ ، وَالْقَضِيَّةَ
الذَّمِيمَةَ الَّتِي جَلْبَبْتَنِي جَلْبَابَ السَّقَمِ ، وَسَرَّبَلْتَنِي سِرْبَالَ الْهَرَمِ ، وَلَوْلَا
بِدَارِي إِلَى نَسْخِهَا وَتَحْيَلِي فِي فَسْخِهَا لَذَهَبَ نَفْسِي الْأَرْجُ الَّذِي بِهِ
أُبْتَهَجُ .

وَالنَّظْمُ لَهُ :

أَشْهَدُ النَّرْجِسُ أَشْهَادَ مُحِقٍ
وَرَأَى أَنَّ الْبَهَارَ الْمَجْتَلِيَّ
فَمَتَى كُذِّبَ قَوْلٌ أَبَدًا
قِيلَ فِي قَوْلَيْهِ هَذِي صَدَقُ
أَنَّ بَدَرَ الْوَرْدِ فِي الْمَلِكِ مُحِقٌ
فِي سَمَاءِ الْحُسْنِ بِالْمَلِكِ أَحَقُّ
قِيلَ فِي قَوْلَيْهِ هَذِي صَدَقُ

شهادة الخيري : - النَّثْرُ : وَاللَّهُ مَا أَرَقَّ بِصَرِي وَأَرَقَّ بِشَرِي
وَأَغَاضَ نَهَارًا مَاءَ بِشَرِي ، وَأَعَمَدَ فِيهِ سَيْفَ نَشْرِي إِلَّا مَعْصِيَةَ الْحَقِّ فِي
تِلْكَ الْقَضِيَّةِ ، وَطَاعَةَ الْهَوَى فِي تِلْكَ الْخَطِيئَةِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَالَ
الْمَوْبِقَةَ لِي لَا مَحَالَةَ .

وَالنَّظْمُ لَهُ أَيْضًا :

أَشْهَدُ الْخَيْرِيُّ أَنَّ الْخَيْرَ فِي
مَوْقِنًا أَنَّ الْبَهَارَ الْمُرْتَضَى
فَهُوَ الْمَوْقِظُ أَنْوَارِ الرَّبِّ
نَقَضَ مَا أَخْطَأَ فِيهِ أَوْلَا
بَهَرَ الْأَمْلَاكَ حَالًا وَحُلَى
مِنْ سِنَاتِ سَنَّا فِيهَا الْبَلَى

شهادة الأبقحوان : - النَّثْرُ : إِنْ رُمْتُ أَدَاءَ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى فَضْلِهِ

المتناهي في استنقاذه لي من تلك القبيحة ، والدنيّة الصريحة لم أودّ
الفرض ، ولا استطعتُ القرضَ فالإقرار بالعجز نهاية ، والاعتراف
بالقصور غاية فاستثنائي هناك وسكوني إذ ذاك أنبتا ورقي ورقا ، وجعلا
فلقي فلقا .

نَظْمُهُ :

أشهدُ الأُفْحوانُ أنَّ جنأهُ كافرٌ بالَّذي سِوَاهُ جنأهُ
قائلُ قولٍ من تَبَرُّاً قِدماً مِنْ هوى من قضي عليه هِوَاهُ
إنَّ نورَ الرُّبى عبيدٌ وكلُّ لِلبهارِ البهيِّ يَقْضي وَلاهُ

شهادة الخيري الأصفر : - النثر : الحمد لله الذي عصمني من
تلك الدنيّة ، ولم يخيبني عن هذه النيّة ، وبها بقيت غضارتي ، وتأكدت
نضارتي ، ووهب لي الذهبُ الإبريزُ ملبساً ، والمسكُ النفيسُ نفساً :

النَّظْمُ لَهُ :

أصفرُ الخيريِّ يَشْهَدُ أنَّ عَقْدَ الوردِ قد رُدُّ
ويرى أنَّ البهارَ الـ مُنتقى أَعْلَى وأَمْجَدُ
مِلْكٌ يَقْظانُ يَأْتِي وَصنُوفُ النُّورِ هُجْدُ

هذا يا مولاي ما استطعتُ عليه ، وانتهت مقدرتي إليه فإن وافقك
فبفضلك المشهور ، أو كانت الأخرى فبالبايع المنزور ، ولك المن على
الوجهين ، والطول في الحالتين أبقاك الله لأحوالنا تُصلحها ، ولآمالنا
تُنجحها وصنع لك وبلغك أملك .

ولأبي جَعْفَرِ بن الأَبَّارِ في عِدَّةٍ من الأَنْوَارِ أوصافٌ ساطعةُ الأَنْوَارِ في رسالةٍ كتب بها إلى صاحب الشُّرْطَةِ أَبِي الوليدِ بن العُثماني ، وكان سببها أَنِّي خرجتُ مُتَنَزِّهاً في فصلِ الرَّبيعِ لأشْرِفَ على مَنْظَرِهِ البديعِ ، وكان أبو جعفر بن الأَبَّارِ في جُمْلَةٍ مَن صَحَبَنِي ، وخاصَّةً مَن تَبِعَنِي ، وتخلَّفَ أبو الوليدِ لِعُذْرِ لِحَقِّهِ أوجب تخلُّفه .

فلَمَّا انصَرَفْنَا سألَ أبا جعفرٍ وصفَ نِزَاهَتِنَا ، وذكَّرَ راحَتِنَا ، وإيرَادَ ما اطلَّعْنَا عليه ، ونظَرْنَا إليه مِمَّا تأسَّفَ على البُعدِ منه والانتِزاجِ عنه .

فكُتِبَ إليه بهذه الرِّسالةِ وفيها فنونُ الرِّقَّةِ والجزالةِ ، ووصلَها بمدحِ الحَاجِبِ - وصل اللهُ حُرْمَتَهُ وأدامَ عِزَّتَهُ - وهي بعدَ صَدْرِهَا :
 كَتَبْتُ تسألُني - لا خاب سائلُكَ ، ولا حُرْمَ آمِلُكَ - كيف كان تنزُّهُنا وتوجُّهُنا مع أبي الوليدِ شاكِرٍ نُحِلَّتْكَ ، وحامِدٍ صُحِبْتَكَ . أرادَ - أبقاه اللهُ ووقاهُ - التنزُّهُ إلى بعضِ ضياعِهِ في فصلِ الرَّبيعِ عندما أشفقَ من انصرامِهِ وضياعِهِ ، وكُنْتُ في جُمْلَةٍ مَن اصطَحَبَ لا في صِفْوَةٍ مَن انتخب .
 فأمكنْتُ من السيرِ غرَّتُهُ ، والصبحُ قد شدَّخَتْ (١) غرَّتُهُ ، وجبينُ الجوّ طلقَ ، وغلائلُ (٢) السماءِ زُرُقَ ، وحاجِبُ الشَّمْسِ مُتَطَّلِعَ ، وجيّدُ الأُنسِ متتلَّعَ ، وريقُ العيشِ خَضِرَ ، وبرْدُ الأرضِ خَضِرَ ، قد فُوفَ (٣) من الزَّهرِ ، بمثلِ الأنجُمِ الزَّهرِ ، والرِّياضُ راضيةٌ من الحيا متبرِّجةٌ بعد

(١) الشدخ : الكسر في كل رطب ، وقيل يابس .

(٢) الغلائل : الدروع أو البطائن التي تلبس تحتها ، أو شعار يلبس تحت الثوب .

(٣) يقال برد مفوف : كمعظم أي رقيق أو فيه خطوط بيض .

الحياء أهدت لها المزن دَرَرها ، فأبَدت يَواقِيتها ودُررها ، وَحَشِيَّتْ بِالكَتْمِ
عُقُوقَهَا ، فَاسْتَنْفَدَتْ زُمُرُدهَا وَعَقِيقَهَا ، إِنْ حَيْتِكَ بِالشَّقَائِقِ بِالشَّقَائِقِ
فَكَاللَّدَاتِ (١) الشَّقَائِقِ مُعَلَّفَاتِ العَصَائِبِ ، مَنْشَرَاتِ الدَّوَائِبِ ،
أَوْ بِالنَّرْجِسِ وَالرَّوَدِ فَكَالْعُيُونِ النَّوَظِرِ ، إِلَى الخُدُودِ النَّوَظِرِ ، بَلْ ذَاكَ
صَبْحٌ مُشْتَمَلٌ عَلَى شَمْسِ أَصِيلِ ، وَهَذَا خَجَلٌ مُسْتَوَلٍ عَلَى خَدِّ أُسَيْلِ ،
أَوْ سَفَرَتْ عَنِ البَنَفْسِجِ الأَنِيقِ ، فَكَلَابِسِ ثَوْبِ المِسْكِ الفَتِيقِ ، وَكَأَنَّمَا
كَسَبَتْهُ لَعَسَهَا الشَّفَاهُ ، فَإِذَا تَنَسَّمَهُ أَوْ تَوَسَّمَهُ المَحْزُونُ شَفَاهُ ، قَدْ شَرِقَتْ
بِالطَّلِّ مُقْلَهَا ، وَضَمَّخَتْ بِالمِسْكِ حُلَّهَا ، فَمَا زَلْنَا فِي أَحْسَنِ مَرَادِ ،
وَأَقْرَبِ غَايَةِ مُرَادِ ، مِنْ التَّمَاحِ يَانِعِ ذَلِكَ الرَّهْرِ ، حَتَّى احْتَلَلْنَا قَرْيَةَ
بِشَاطِئِ النَّهْرِ وَلِسَانِ الهَجِيرِ قَائِلِهِ ، لَا تَخْطِئُكُمْ بِهَا القَائِلَةُ ، فَأَرْحَنَا
الجِيَادِ مِنَ البُهِرِ ، وَنَمْنَا بِهَا إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ قَضَيْنَا الفَرَضَ وَشَدَدْنَا
العَرَضَ ، نَوْمٌ جَانِبِ الشَّرْفِ مُتَيَامِنِينَ ، وَنَقْصِيدُ سَمْتِهِ مُتَبَادِرِينَ ، حَتَّى
أَرْتَنَا غُرَّتُهُ جَمَالَهَا ، وَكَسْتَنَا أَشْجَارُهُ طِلَالَهَا ، فَمَا زَلْنَا نَسْتَعْرِضَ قِرَاهُ إِلَى أَنْ
دَعَانَا إِلَى قِرَاهِ بِوِاسِطَةِ مِنْهُ وَمُقَلَّةِ الشَّمْسِ غَضِيضِهِ ، وَحُشَاشَتُهَا (٢)
مَرِيضِهِ ، فَأَجْبِنَاهُ إِلَى رَغْبَتِهِ ، وَحَلَلْنَا بِعَقُوتِهِ ، وَبِتْنَا نَتَفَدَّى بِالنُّفُوسِ ،
وَنَتَعَاطَى نَحْبَ الكُؤُوسِ ، مِنْ مُدَامِ الآدَابِ ، لَا مِنْ مُدَامِ الأَعْنََابِ ،
يَتَضَوُّعُ عَنْهَا خَلُوقِ (٣) الشِّيمِ ، وَيَضْحَكُ عَلَيْهَا حَبَابُ الكَرَمِ ، وَرُبَّمَا
مَزْجِنَاهَا بِمَاءِ المِزَاحِ مِنْ غَيْرِ لَعْوٍ وَلَا جُنَاحِ ، فَمَا زَلْنَا نَأْخُذُهَا بِالْآذَانِ
وَنَشْرِبُهَا بِالْأَذْهَانِ حَتَّى تَبَسَّمَ اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ جِنَاحُ جِنِحِهِ فَاشْتَمَلْنَا

(١) اللديدة : الروضة الزهراء .

(٢) الحُشَاشَةُ : بقية الروح في المريض والجريح .

(٣) خَلُوقٌ - كَصُبُورٌ - : نوع من الطيب .

بُرد الائتلاف ، وأتَّفقت آراؤنا على الانصراف ، إلى حضرة المجد العليا
مَقَرَّ عماد الدين والدُّنيا إسماعيل بن محمد بن عبَّاد (١) خَيْرَ واطْيءٍ
للصَّعيد ، ومُرُو للصَّعادِ مَنْ بَخَّلَ نِداه ، وقَيَّدَ البرقَ مداه ، وضَمَّخَ
الآفاقَ ثِناؤُهُ ، وبَهَّرَ العُيونَ سِناؤُهُ ورجَحَ بالجمالِ حِلْمُهُ ، وأحاطَ بالليالِ
عِلْمُهُ ، - أَدَامَ اللهُ لَهُ العِزَّ ووصلَ لَهُ التَّأييدَ والحِرزَ .

قوله : مُتَلَّعٌ : متفعل من التلَع وهو الإشراف يقال : تَلَعَ جيدُ
الظُّبى إِذْ أَشْرَفَ . وقوله : عن الحيا وبعدَ الحياءِ الأوَّلِ منهما مقصورٌ ،
والثاني مَمْدودٌ وهو الاستِحْيَاءُ . وقوله : مِنَ البُهِرِ البُهِرِ الكَلَّلِ .

وأتَدَعْنَا افتعلنا من الدَّعَةِ وقوله : مُرُو للصَّعادِ الصَّعادِ صَعْدَةٌ وهي
القناة النابتة مُستقيمة .

قال أبو الوليد :

وممَّا يصلحُ أن يكونَ في هذا الباب ما وقعَ في النواوير من تفضيلِ
وتغليبِ ، أو جرى بينها من تفاضُلٍ وتفاضُرٍ . فإنَّ تلكَ القِطْعَ تشتملُ
على مدحِ نورٍ وذمِّ آخرَ فهما موصوفان ، ولم تتفرَّدِ القطعةُ بنورٍ وإثما
اشتملتَ على نورين وتضمَّنتَ وصفَ شيئين . وأكثرُ ما وقعَ هذا قديماً
في الوردِ والبهارِ ، وأنا ذاكرٌ ما وقعَ إليَّ في ذلكَ من المختارِ وقد وقعَ
إليَّ في غيرهما قليلٌ وكلُّهُ يقعُ هنا إن شاء الله .

فما وقعَ إليَّ في الرِّدِّ على ابن الرومي في تفضيله البهارِ على الوردِ

(١) انظر الحلة السبواء (٣٤/٢) .

قول أبي عثمان سعيد بن فرج الجياني (١) وقول ابن الرومي في ذلك كثير ومذهبه مشهور وقصيد أبي عثمان رد على قصيد ابن الرومي الذي أوله :

خجلت خدودُ الورد من تفضيله خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ (٢)

وهو من أوله إلى آخره أعني قصيد أبي عثمان :

عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا الْقِيَّاسُ الْفَاسِدُ إِلَّا الَّذِي أَدَّى الْعِيَانَ الشَّاهِدُ (٣) -
 أَرَعَمْتَ أَنَّ الْوَرْدَ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلٌ وَنَاجِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
 إِنْ كَانَ يَسْتَحْيِي لِفَضْلِ جَمَالِهِ فَحَيَاؤُهُ فِيهِ جَمَالٌ زَائِدُ
 وَالتَّرَجِسُ الْمَصْفَرُّ أَعْظَمُ رَيْبَةً مِنْ أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ لَوْنٌ وَاحِدُ
 لَيْسَ الْبِيضَ لَصْفَرَةٍ فِي وَجْهِهِ صِفَةٌ كَمَا وَصَفَ الْحَزِينُ الْفَاقِدُ
 وَالآنَ فَاسْمَعِ لِلْبَرَاهِينِ الَّتِي قَطَعْتَ فَلَيْسَ يَحِيدُ عَنْهَا حَائِدُ
 الْوَرْدُ تَيْجَانُ الرَّيِّعِ فَأَيُّمَا اخْتَارَ الْفَخَّارُ مُتَوَجِّجٌ أَوْ سَاجِدُ
 وَلَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ فِي حَكْمِ الْعُلَا مَوْعُودُ عَنْهُ أَوْ التَّنْدِيمُ الْوَاعِدُ
 مَهْلًا فَمَا هُوَ بِالتَّقْدِيمِ قَائِدُ كَلَّا وَلَا ذَا بِالتَّأَخُّرِ طَارِدُ
 وَانظُرْ إِذَا اعْتَدَلَ الزَّمَانُ وَغَنَّتْ أَطْيَارُ فَهُوَ لِشَجْوِهِنَّ مُسَاعِدُ
 مُوْفٍ عَلَى الْغَضَنِ النَّضِيرِ كَأَنَّهُ فِي مَنَبَرٍ بَيْنَ الْحَدَائِقِ قَاعِدُ

(١) أبو عثمان سعيد بن محمد بن فرج ، وقد ينسب إلى جده فيقال سعيد بن فرج ، ويعرف بالرشاش ، عالم وأديب من حفاظ اللغة والعلماء بالشعر ، مشهور بالفصاحة رحل إلى المشرق وحج ودخل بغداد وسكن مصر ، ثم القيروان إلى أن بلغه أن عبد الرحمن ابن الحكم ولي سلطنة الأندلس فورده عليه لصلته به وعاش في رعايته وأكثر من مدحه . المغرب (١١٤/١) وجذوة المقتبس ٢٢٨ رقم ٤٦٣ .

(٢) البيت لابن الرومي في ديوانه (٦٤٣/٢) .

(٣) الأبيات الخمسة الأولى في جذوة المقتبس ٢٢٨ .

والتَّرجِسُ المُنْحَطُّ إمَّا رَاكِعٌ
وَجَعَلَتْ لِلْأَسْمَاءِ حِطًّا زَائِدًا
اسْمُ الَّذِي فَضَّلْتَ إِنْ فَتَشْتَهُ
وَالوَرْدُ كَيْفَ خَرَمْتَهُ وَخَبْتَهُ
وَدَعِ الْبَقَاءَ فَمَا تَرَى مِنْ جُمْلَةٍ
يَفْنَى خَيْرَ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَمَا
وَالضَّدَّ كُلَّ الضَّدِّ قَوْلِكَ إِنَّهُ
فَأَعْرَتُهُ عَيْنَ الرَّقِيبِ فَلِلْعَمَى
وَإِذَا فَخَرْتَ عَلَى الْخُدُودِ بِمُقْلَةٍ
وَلَوْ أَنَّ فَعَلًا لِلْكَوَاكِبِ فِي الثَّرَى
وَتَنَازَعَ النُّوَارُ شِبْهَ صِفَاتِهَا
الْوَرْدُ وَقَادُ التَّوَقُّدِ نَاضِرٌ

ذُلًّا إِلَى عَفْرِ الثَّرَى أَوْ سَاجِدًا^(١)
مَهْلًا فَمَا هَذَا سَبِيلَ قَاصِدٍ
وَخَرَمْتَ أَوْلَهُ فَرِجْسٌ رَاكِدٌ
وُدٌّ تَوَدُّ بِهِ وَرَدٌّ عَائِدٌ
إِلَّا وَأَفْضَلُهَا يَكُونُ الْبَائِدُ
شَيْءٌ سِوَى إِبْلِيسَ فِيهَا خَالِدٌ
يَنْهَى النَّدِيمَ بِلِحْظِهِ وَيُسَاعِدُ
وَالسَّمْلَ طَرْفَ لِلأُحْبَةِ رَاصِدُ^(٢)
يَرَقَانُهَا بَادٍ فَاصْلُكَ فَاسِدُ^(٣)
رَبَّى الرِّيَاضَ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ
مَا كَانَ غَيْرَ الْوَرْدِ فِيهَا الْمَاجِدُ
وَالنَّجْمُ نَارِيٌّ مُضِيءٌ وَاقِدُ

قوله : ولمن يكون الفضل في حكم العلاء . البيت ردُّ على قول

ابن الرومي :

شَتَانٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ هَذَا مُوعِدٌ بِتَسْلُبِ الدُّنْيَا وَهَذَا وَاعِدُ^(٤)

فجعل الورد لتأخره مُوعداً بانقضاء الربيع ، والبهار لتبكيه واعداً

به ، ورد الجياني عليه مقنع ؛ لأنَّ الموعود به أجل من التذير الواعد عنه .

(١) العفر - محرقة - : ظاهر التراب .

(٢) من سمل عينه : أى فقأها .

(٣) اليرقان : مرض تصفر منه العيون .

(٤) ديوان ابن الرومي (٦٤٣/٢) .

وقوله : يَفْنَى خِيَارُ النَّاسِ الْبَيْتَ رَدًّا عَلَى قَوْلِهِ :

وَإِذَا احْتَفَظْتُ بِهِ فَأَمْتَعُ صَاحِبٍ بِبِقَائِهِ لَوْ أَنَّ حَيًّا خَالِدًا^(١)

لَأَنَّ الْبَهَارَ يَبْقَى بِنَضْرَتِهِ أَيَّامًا وَالْوَرْدُ أَسْرَعُ ذُبُولًا . وَقَوْلُ الْجِيَانِيِّ :

وَجَعَلْتُ لِلْأَسْمَاءِ حِطًّا زَائِدًا . رَدًّا عَلَى ابْنِ الرَّومِيِّ فِي قَوْلِهِ :

أَطْلُبُ بَعِيثَكَ فِي الْمَلَّاحِ سَمِيحًا أَبَدًا فَإِنَّكَ لَا مَحَالَةَ وَاجِدُ^(٢)

جَعَلَ مِنْ مَحَاسِنِهِ التَّسْمِيَةَ بِهِ عِنْدَهُمْ فَنَرَجَسُ فِي أَسْمَائِهِمْ كَثِيرًا

وَذَلِكَ لَا حِجَّةَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ : وَلَوْ أَنَّ فَعْلًا لِلْكَوَاكِبِ فِي الثَّرَى

الْأَبْيَاتِ رَدًّا عَلَى بَيْتِي ابْنِ الرَّومِيِّ وَهُمَا :

هَذِي النُّجُومُ هِيَ الَّتِي رَبَّتُهُمَا بِحَيَا السَّحَابِ كَمَا يُرَبِّي الْوَالِدُ

فَانظُرْ إِلَى الْأَخْوَيْنِ مِنْ أَدْنَاهُمَا شَبَهًا بِوَالِدِهِ فَذَلِكَ الْمَاجِدُ^(٣)

شَبَّهَ الْبَهَارُ بِالنُّجُومِ .

وَلصاحب الشرطة أَبِي بَكْرٍ بِنِ الْقَوَاطِيَةِ فِي الْمَعْنَى وَالْقَافِيَةِ قَصِيدٌ

مُسْتَوِيلٌ عَلَى غَايَةِ الْكَمَالِ مُسْتَوِفٌ نَهَايَةَ الْجَمَالِ مَوْصُولٌ بِمَدْحِ ذِي

الْوَزَارَتَيْنِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ الرَّفِيعِ الْمَحَلِّ . وَهُوَ مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ :

كَسَفَتْ خَدُودُ النَّرْجِسِ الْمُصْفَرِّ مِنْ حَسِدٍ وَقَدْ يُدْوِي الْعُدْوُ الْحَاسِدُ^(٤)

وَاصْفَرَّ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقْضِيَ أَسَى لَمَّا رَأَى الْوَرْدَ الَّذِي هُوَ وَارِدٌ

هَيْهَاتَ لِلْوَرْدِ الْفَضَائِلَ كُلُّهَا وَإِنْ ادَّعَى التَّكْذِيبَ فِيهِ مُعَانِدٌ

(١) المصدر السابق (٦٤٤/٢) .

(٢) المصدر السابق (٦٤٤/٢) .

(٣) المصدر السابق (٦٤٤/٢) .

(٤) من أدويته : بمعنى أفرضته .

فَصَلَ الرَّبِيعَ وَكُلَّ نَوْرٍ بَائِدُ
 وَكَذَا الرَّبِيعَ مِنَ الْمَشَابِهِ وَاحِدُ
 فِي مَا غَدَّتْهُ بِهِ وَهَذَا جَاحِدُ
 بِاللَّوْنِ وَالنَّشْرِ الَّذِي هُوَ شَاهِدُ
 إِفْضَالِ سَيِّدِهِ وَهَذَا حَامِدُ
 عَذْرَاءُ فِي حُمْرِ الْمَجَاسِيدِ نَاهِدُ
 غَضًّا وَمُبْتَدِلًا وَهَذَا كَاسِدُ
 يَفْنَى وَيَبْقَى مَأْوُهُ الْمُتَعَاهِدُ
 وَمَرَافِقُ مَشْكُورَةٌ وَفَوَائِدُ
 مَيْتًا وَلَا فِي الرَّوْضِ إِذْ هُوَ وَافِدُ
 أَبَدًا وَعَقْبُ الْوَرْدِ بَاقٍ خَالِدُ
 شَبْهًا وَبَيْنَهُمَا إِخَاءٌ تَالِدُ
 نَذْرٌ بِالْمَمَاتِ إِذَا أَتَاهُ الْعَائِدُ
 وَرِيَّاسَةٌ لَوْلَا الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ

ومن هنا دخل إلى مدخ ذي

الوزارتين القاضي الجليل فقال :
 والسيد الندب الشريف الماجد
 أوصي بها جد إليك ووالد
 حُكْمُ الَّذِي أَعْيَى الْبَرِيَّةَ مَاهِدُ

البيت هو لابن الرومي وأتقن الرد

فَصَلِّ الْقَضِيَّةَ أَنَّ هَذَا مُنْتَعِجُ
 يَأْتِي وَنَوَّارُ الرَّبِيِّ مُتَزَحِّجُ
 هَذَا مُقَرَّرٌ لِلسَّمَاءِ بِفَضْلِهَا
 وَتَرَى تَبَائِنَ ذَاكَ فِي وَجْهِهِمَا
 كَمَا بَيْنَ مُصْطَنَعَيْنِ هَذَا كَافِرُ
 هَذَا لَهُ خَلْقُ الْعَجُوزِ وَهَذِهِ
 وَكَفَى افْتِخَارًا أَنَّ هَذَا نَافِقُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَرْدِ إِلَّا أَنَّهُ
 وَلَهُ مَنَافِعٌ لَا تَجَمَّلُ كَثْرَةً
 وَالنَّجَسُ الْمُصْفَرُّ لَيْسَ بِنَافِعِ
 هَذَا عَقِيمٌ لَا يُشَادُ بِذِكْرِهِ
 أَخْوَانٍ مَغْرُوبِينَ لَمْ يَتَنَازَعَا
 هَذَا يُبَشِّرُ بِالْحَيَاةِ وَذَاكَ يُنَدِّ
 أَيْنَ الْحَيَاةُ مِنَ الْمَمَاتِ نَفَاسَةٌ

ومن هنا دخل إلى مدخ ذي

ياأيها القاضي المصطفى جوهراً
 أحكم فإن العدل شيمتك التي
 فغدوت طفلاً في المهاد وأنت لد

قوله : أين الحياة من الممات

عليه فيه ويئت ابن الرومي :

أَيْنَ الْعُيُونُ مِنَ الْخُدُودِ نَفَاسَةٌ وَرِيَّاسَةٌ لَوْلَا الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ (١)
 وَأُنشِدْ لِنَفْسِهِ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (٢) قِطْعَةً بَدِيعَةً

(١) انظر ديوان ابن الرومي (٢/٦٤٤) وقد سبق هذا البيت وذكرنا روايته في الديوان ..

(٢) مضت ترجمته .

تَضَمَّنَتْ أوصافاً مطبوعةً يصف البهار ويُفضِّل الورد عليه . وهي :

ولا بسِ ثوبِ الضنَى	من حَسَدٍ قد اِكْتَابَ
كَأَنَّمَا أَحْدَاقُهُ	أَقْدَاخُ تَبْرِ مُتَّخَبٍ
مَنْ الْحَيَا مُتْرَعَةً	أَجَلٌ مَشْرُوبٍ شُرِبَ
يَسْعَى بِهَا مُحْتَسِبًا	بِلا أذَى وَلَا نَصَبٍ
سَاقٍ عَلَى سَاقٍ لَهُ	تُرْهِى بِمُخَضَّرٍ قَصَبٍ
زَبْرَجْدٌ مُبْتَهَجٌ	يَكَادُ لِينًا يَنْقَضِبُ (١)
إِذَا الصَّبَا عَنَّتْ لَهُ	وَمَاسَ عَنِ ثِقَلِ الْحَبِّ
صَبَا لِبَعْضٍ بَعْضُهُ	فِيَلْتَقِي وَيَصْطَحِبُ
يَقُولُ لِلرَّوْدِ أَنَا	بُرٌّ حَبِيبٌ يَقْتَرِبُ
قَالَ لَهُ الرَّوْدُ لَقَدْ	أَخْطَأْتُ يَا مَنْ لَمْ يُصِبْ
أَنْتَ إِذَا مَا صَحَّفُوا	وَأَنْصَفُوا بَيْتَ خَرِبٍ
أَنَا الَّذِي لَمْ أُخْتَلَقْ	مَا قُلْتَهُ وَلَمْ أَحْبُ
أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْحُدُو	دِ الزُّهْرِ رِيْعَتٍ مِنْ كَثْبٍ
وَأَنْتَ عَيْنٌ دَهْرَهَا	فِي مِثْلِ دَهْرٍ قَدْ كَلْبُ
فَانْشَعَبَتْ أَسْرَابُهُ	خَوْفًا بِدَمْعٍ مَنْسَرِبٍ
وَاصْفَرَّ مِنْ هَمٍّ كَمَا	يَفْعَلُ مَخْضُومٌ غُلِبَ (٢)
الْفَضْلُ لِلرَّوْدِ وَإِنْ	أَبِي عَلِيٍّ وَحَرِبٍ
طِيبٌ وَطِبَّ وَشَدَا	وَمَنْظَرٌ يَنْفِي الْكَرْبِ
سُلْطَانُ الْأَنْوَارِ عَلِي	رَغِمَ الْعَبِيُّ الْمَضْطَرِبِ
كَأَبْنِ عَبَادٍ حِمَى آلِ	إِسْلَامِ سُلْطَانِ الْعَرَبِ

(١) من قضب يقضبه : قطعه .

(٢) الخضامة - كناية : ما خضم ، والخضيمة : النبات الأخضر الرطب والأرض الناعمة النبات ، وخضمه يخضمه : قطعه .

قوله : بر حبيب هو تصحيف نرجس . وبيت حرب تصحيفه
مقلوباً أيضاً . وإن أبي علي هو ابن الرومي لما فضل البهار على الورد
وحرب مثل غضب ومنه قيل : لئث محرب أي مغضب . وقوله : طيب
وطب وشذا الشذا العرف والريح الطيبة .

وقال بعض الأندلسيين يرد على ابن الرومي بيتيه الطائنين وأحدهما :
وقائل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من قبح ما فيه ومن معطه^(١)
ويقبح ذكر البيت الثاني وهو مشهور . والرد عليه للأندلسي :^(٢)
لعائب الورد قل ما أنت من نمطه قد قلت هجراً فب في القول من غلظه
الورد خد حبيب حين تلتمه فيعتدي أثر الأسنان في وسطه
ولأبي جعفر بن الأبار في إقرار البهار بفضل الورد قطعة حسنة
السرد موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي سيف الحق الماضي وهي :
طلع النرجس في أكفانه قائلاً للورد قد برحت بي
لم تزل ثورت جسمي سقماً مبكياً عيني بدمع الحب
كيف خلطت وغلبت على سيد الأنوار يا للعجب
إنما اسمي تحت شكواي فلا ثوقوني تحت رب الرب
أنا لولا طمعي أن نلتقي ما أقلتني حيناً قضيبي^(٣)
فضله فضل ابن عباد أبي ال قاسم القاضي قريع العرب
ملك لو لم يمجد بالثنا قال للعالم حسبي حسبي

(١) البيت في ديوان ابن الرومي (١٤٥٢/٤) ورواية عجزه :

فقلت من بغضه عندي ومن سخطه

(٢) وهناك بيتان منسوبان لابن المعتز في الرد عليه أيضاً وهما :

يا هجى الورد لا حبيت من رجل غلظت والمرء قد يؤق على غلظه
هل تنبت الأرض شيئاً من أزهارها إذا تجلت يحاكي الورد في نمطه

انظر كتاب سكردان السلطان على هامش الخلاصة ص ٢٥١ .

(٣) القضيبي : الغصن ، والجمع قُضب .

قوله : إتما اسمي تحت شكواي يعني برّخت بي لأن برّخت بي
تصحيفُ نرجس .

وله أيضاً في تصحيفه مفضلاً للورد بيتان استولى فيهما على غاية
الإحسان وهما :

الـورْدُ أحسنُ ورْدٍ يروى به لحظُ عينِ
ونرجسُ الرّوضِ مهْمَا صحفْتُهُ برْحُ بينِ

هذا ما انتهى إليه ذكرِي في التفاضل بين البهار والورد .

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس
الجزيري^(١) إلى المنصور بن أبي عامر - رحمه الله - عن بنفَسَجِ العامريّة
يوم الأضحى سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاث مائة رسالةً موصولةً بشعرٍ جمالها
باهر ، وكالها ظاهر ، احتجّ له فيهما احتجاجاً طريفاً ، وعضّده به عضداً
ظريفاً ، وآثره على التّرجس والبهار بإشاراتٍ جلييلة المقدار .

والرسالة (٢) :

مَنَحَ اللهُ مولاي صدقَ النَّظَرِ ، وعرفَه جليّة الخبر ، وأطال مدّته ،

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري وزير من وزراء الدولة
العامرية ، وكتب من كتابها ، عالم أديب شاعر كثير الشعر غزير المادة معدود في أكابر
البلغاء تولى الشرطة للمنصور وسجنه ، ثم كتب للمظفر الذي تغير عليه وسجنه وقتله سنة
٣٩٤ . - جذوة المقتبس ٢٨٠ رقم ٦٢٤ ، وبغية الملتبس ٣٦٢ رقم ١٠٥٨ ، ونفح
الطيب (٥٢٩/١) والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٦ ، والمغرب (٣٢١/١)
وبييمة الدهر (١٠١/٢) .

(٢) الرسالة في الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٨ - ٥٠ ، ونفح الطيب
(٥٣٢/١ ، ٥٣٣) .

ووصل سلامته وعزته إذا ترافعت الخُصوم - أيَّد الله المنصور مولاي في
مذاهبها ، وتنافرت في مفاخرها فإليك مفزُعها ، وأنت المُقنَع في فصل
القضية بينها لاستيلائك على المفاخر بأسرها ، وعلمك بسرّها وجهرها ،
وقد ذهب البهّار ، والنّرجس في وصف محاسنهما ، والفخر بمشابهتهما
كلّ مذهب ، وما منهما إلا ذو فضيلة غير أنّ فضلي عليهما أوضح من
الشمس التي تغلونا ، وأعرف من الغمام الذي يسقينا . فإن كانا قد
تشبّها في شعريهما المرتفعين إلى مولاي - أبقاء الله وأيده - ببعض ما في
الأرض من جواهر الأرض ، ومصايح السماء ، وهي من الموات الصّامت
فإني أتشبه بأحسن ما زين الله به الإنسان ، وهو الحيوان النّاطق من
أدوات خلقه ، وأنفس ما ركب فيه من موادّ حياته مع أنني أعطر منهما
عطراً ، وأحمدُ خُبراً ، وأكرمُ امتاعاً شاهداً وغائباً ويانعاً وذابلاً
وكلاهما (١) لا يمتعك إلا ريث ما يبدو للعيون ، ويسلم من الذبول ، ثم
تستكره الأنوف شمّه ، وتستدفع الأكف ضمّه ، فأين هذه الحال من
الاستمتاع بي رطباً وادّخاري في خزائن الملوك جافاً وتفضيلي على السنّة
الحكماء ، وتصريفي في منافع الأعضاء (٢) وإن فخرّاً باستقلالهما على
ساقٍ هي أقوى من ساقِي فلا غرو أنّ الوشيّ ضعيف ، والهوى لطيف ،
والمسكُ خفيف . « وليس المجد يُدرِك بالصرّاع » كما قال حكيمُ الشعراءِ
وقد أودعتُ - أيَّد الله المنصور - قوافي الشعر من وصف مُشابهي
ما أودعاه من وصف مشابهما وحضرتُ بنفسني لئلا أُغيبَ من

(١) في نفع الطيب (وكلاهما لا يمتع إلا ريثما ينع ثم إذا ذبل تستكره النفوس

شمه) .

(٢) بعد كلمة ضمّه في نفع الطيب (وأنا أمتع يابسا ورطباً ، وتدخرني الملوك في

خزائنها وسائر الأطباء وأصرف في منافع الأعضاء) .

حضرتهما . فقديمًا فضلوا الحاضر وإن كان مفضولاً ولهذا قالوا : « ألدَّ الطَّعام ما حضر لوقتِه » و « وَأَشْعُرُ النَّاسِ مِنْ أَنْتَ فِي شِعْرِهِ » ولمولاي (١) - أَيْدُهُ اللهُ - أن يعدل باختياره الصَّحيح وَيَفْصِلُ بِحُكْمِهِ العَدْلُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

والشعر :

شَهِدْتُ لِنَوَارِ الْبِنْفَسِجِ السُّنِّ مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِيْنَاعِهِ (٢)
بِمَشَابِهِ الشَّعْرِ الْأَيْثِ أَعَارُهُ قَمْرُ الْجَبِينِ الصَّلْتِ نَوْرِ شُعَاعِهِ (٣)
وَلَرُبَّمَا جَفَّ النَّجِيعُ مِنَ الطَّلَى بِصَوَارِمِ الْمَنْصُورِ يَوْمَ قِرَاعِهِ (٤)
فَحَكَاهُ غَيْرَ مُخَالِفٍ فِي لَوْنِهِ لَا فِي رَوَائِحِهِ وَطِيبِ طِبَاعِهِ
مَلِكٌ جَهَلْنَا قَبْلَهُ سَبُلَ الْعَلَا حَتَّى وَضَخْنَ بِنَهْجِهِ وَشِرَاعِهِ
أَمَّا نِدَاؤُهُ فَهُوَ صِنْفٌ لِلْحَيَا فِي صَوْبِهِ لَمْ أَعْنِ فِي إِقْلَاعِهِ
فِي سَيْفِهِ قَصْرٌ لِطُولِ نِجَادِهِ وَكِلَإِ سَاعِدِهِ وَفُسْحَةِ بَاعِهِ (٥)

(١) في نفع الطيب : فلمولانا أتم الحكم في أن يفصل . بحكمه العدل وأقول .

(٢) الأبيات ماعدا السادس في الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٩ ، ٥٠ ونفع

الطيب (٥٣٢/١ ، ٥٣٣) .

(٣) رواية نفع الطيب :

لمشابه الشعر الأعم أعاره الـ قمر المنير الطلق نور شعاعه

(٤) في النفع : جمع .

(٥) في النفع : وتما .

قال أبو الوليد :

ووقع بين الوزير أبي الأصْبَع بن عبد العزيز وصاحب الشَّرْطَةِ أبي بكر بن القوطية قطعتان يفضِّل أبو الأصْبَع الخَيْرِيَّ ، وأبو بكر البنفسج ، وقطعة أبي الأصْبَع موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي - حرس الله حوْبَاءَهُ وَأَطَالَ بَقَاءَهُ - وهي :

ما لِلْبَنْفَسَجِ يَدَّعِي التَّفْضِيلَا	مُتَحَامِلًا وَيَعُدُّ ذَاكَ جَمِيلَا
هَيْهَاتَ قَدْ بَرِحَ الْحَفَاءُ فَعُدُّ إِلَى	حُكْمِ التَّنَاصُفِ وَأُتْرِكَ التَّخْيِيلَا
الْفَضْلَ لِلْخَيْرِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ	جَهَلُوا وَلَمَّا يُحْسِنُوا التَّأْوِيلَا
قَهَرَ الْبَنْفَسَجَ مَنْظَرًا وَيَفُوقَهُ	فِي الشَّمِّ بِالْمَسْكِ الذَّكِي دَلِيلَا (١)
وَرَأَى التَّسْتُرَ بِالنَّسِيمِ لَصُبْحِهِ	ظَرْفًا فَعَطَّلَ صُبْحَهُ تَعْطِيلَا
وَإِذَا إِنِّي اللَّيْلُ الْبَهِيمُ بِنَشْرِهِ	أَبْدَى بِهِ لِلزَّائِرِينَ قَبُولَا (٢)
كَمْ هَذَّبَ الْأَخْلَاقَ يَهْجُرُ بِالضُّحَى	خِلَا وَيُدْنِي بِالْمَسَاءِ خَلِيلَا
أَوْ شَارِبٍ تَرَكَ الصَّبُوحَ تَحْفَظًا	فَإِذَا أَتَى لَيْلٌ أَسَاغَ شَمُولَا (٣)
هُوَ فَاتِكُ الْأَفْعَالِ يَدَّرِعُ السَّرِيَّ	وَتَرَاهُ يَطْلُبُ بِالنَّهَارِ حُمُولَا (٤)
وَالْخَيْرِ فِي الْخَيْرِيِّ حَتَّى فِي اسْمِهِ	هُوَ فَاضِلٌ فَاسْتَأْهِلَ التَّفْضِيلَا
يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي مِنْ عَدْلِهِ	أَضْحَى الزَّمَانُ بِعُرَّةٍ مَحْجُولَا
أَنْتَ الشَّهِيدُ لَهُ وَعِلْمُكَ حَاكِمٌ	عَدْلٌ وَحَسْبُكَ شَاهِدًا مَقْبُولَا

(١) مسك ذكي : قوى الرائحة .

(٢) النشر : الريح الطيبة .

(٣) الشمول - كصُبُور : الخمر أو الباردة منها ، كالشمولة لأنها تشمل بريحتها

الناس ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال .

(٤) يقال تدَّرِعُ فلان الليل : دخل في ظلمته يسرى .

فأحکم علی من قد تعاطى ظلمه
 الرأى منك مهذب مستحکم
 من كان إسماعيل والده الرضى
 أنتم حلى للزمان محسن
 واعقد بما تقضى له تسجيلا
 والعلم فيك ويحكم التأويلا
 فكفاه فخرأ أن يكون سليلا
 قد كان عطل قبلكم تعطيلاً

وقصيد أبى بكر فى الردّ عليه ممتزج بمدح الحاجب - أطل الله
 عُمره وأبقى علينا ستره - وهو :

نبل البنفسج فأحتوى التفضيلاً
 لما شأى (١) نور الربيع بطيبه
 فضل النوار فحاز دون جميعه
 متشبهاً فى سبقه بالحاجب الـ
 ملك علا غر الملوك المعتلى
 كم طاوولوه فى الفخار ففاقهم
 متشبهين بما يمثله لهم
 كتشبهه الخيرى بالمزرى به
 وإذا اعتزى فإلى البنفسج يعتزى
 ما للكرنبى الخليقة يبتغى
 أو ما درى أن البنفسج لم يزل
 من أين للخيرى اللئيم طلاقة الـ
 وكذا البنفسج لئن يزال نبيلاً
 وحوى من الشرف الصريح أثيلاً (٢)
 قصب السباق ولم يكن مفضولاً
 أعلى عماد الدين إسماعيلاً
 بين أباً وجداً فى العلاء وقبيلاً
 عرضاً إلى المجد التليد وطولاً
 لو أحسنوا التشبيه والتمثيلاً
 ليحوز من تلك الخصال فتيلاً
 وإليه ينسب كى يعز قليلاً (٣)
 فضل الرئيس المعتلى تحيلاً
 فوق الأكف جلاله محمولاً
 سمح الكريم ولن يزال بخيلاً

(١) من الشأو : السبق .

(٢) أقل يائل أثولا وتائل : تأصل .

(٣) اعتزى : انتسب .

مُتَسْتَرٌّ طَوْلَ النَّهَارِ بِعَرَفِهِ
 حَتَّى إِذَا طَرَقَ الظَّلَامَ سَخَا بِهِ
 زَهْمٌ الْمَشَمُّ إِذَا تَقَادَمَ قَطْفُهُ
 وَإِذَا قَرَأَتْ مَنَافِعَ التَّوَارِ لِدِّ
 وَالنَّفْعَ غَضًّا إِنْ تَشَأْ أَوْ يَابِسًا
 لَا يَسْتَحِيلُ نَسِيمُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ
 وَذَخِيرُهُ الخُلَفَاءَ وَالْأَمْلَاقِ لَا
 فَلْيَحْظَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى فَاحِرًا
 كُنَى لَا يُرَى لِتَسِيمِهِ مَسْؤُولًا
 إِذْ لَا يَرَى إِلَّا الْقَلِيلَ سَوْوَلًا
 شَيْئًا قَلِيلًا أَوْ أَحْسَّ ذُبُولًا (١)
 حُكْمَاءَ أَصْبَحَ بَيْنَهَا مَجْهُولًا
 هُوَ لِلنَّبْسِجِ كُلُّهُ مَحْصُولًا
 بِنِ وَلَا إِذَا اسْتَنْشَقْتَهُ مَعْمُولًا
 يَخْلُونَ مِنْهُ مُجْتَسًا مَفْصُولًا
 وَلِيَرْجِعِ الخَيْرِيُّ عَنْهُ ذَلِيلًا

وللوزير أبي عامر بن مسلمة قطعة بديعة مطبوعة أشار فيها إلى

تفضيل البهار على الترجس وهي :

وَنَرَجِسٌ هَبَّ يَزْنُو
 مِثْلَ النَّجْمِ تَسَاقَطُ
 يَحْكِي البَهَارَ وَلَكِنْ
 لَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَ
 فَعَجَّ عَلَيْهِ فَذَتَكَ أَلْ
 بِمُقْلَةٍ لَيْسَ تَطْرَفُ
 مِنْ فِي رِدَائِ مُفَوِّفٍ (٢)
 بَهَارُنَا مِنْهُ أَصْلَفُ (٣)
 لِغَيْرِهِ لَيْسَ تُعْرَفُ
 نَفُوسٌ وَاشْرَبْ لَتَطْرَفُ

وللفقيه أبي الحسن بن عليّ قطعة سرّية يُفضّل فيها الخيريّ

الأصفر على النّمام وهي :

أَرَى أَصْفَرَ الخَيْرِيِّ يُدِي مِنَ الضَّنِيِّ
 تَبَارِيحَ مَكْلُومِ الفُؤَادِ سَقِيمِهِ (٤)

(١) زَهْمٌ : أُتخِمَ فَهُوَ زَهْمَانٌ ، وَالزَّهْمُ وَالزَّهْمَةُ : الرِّيحُ الْمُتَنَتَّةُ .

(٢) الرِّدَاءُ المَفْوَفُ : الرِّقِيقُ أَوْ الَّذِي فِيهِ خَطُوطٌ بَيْضٌ .

(٣) الأَصْلَفُ وَالصِّلَفَاءُ : مَا صَلَبَ مِنَ الأَرْضِ ، وَالصِّلَفُ : التَّمَدُّحُ بِمَا لَيْسَ

عِنْدَكَ ، وَالإِدْعَاءُ فَوْقَ ذَلِكَ تَكْبِيرًا .

(٤) تَبَارِيحُ الشُّوقِ : تَوَهُّجُهُ - وَمَكْلُومٌ : مَجْرُوحٌ .

وَيُكْذِبُهُ سِحْرٌ بِأَعْيُنِ نُّورِهِ وَقَضَبٌ لَهُ تَنْدَى بِمَاءِ نَعِيمِهِ
وَعَرَفٌ ذِكِّيُّ يَقْصُرُ الْمَسْكَ دُونَهُ وَلَا يَبْلُغُ الْكَافُورُ طِيبَ شَمِيمِهِ
يُسَاجِلُ آفَاقَ السَّمَاءِ بِرَوْضَةِ وَأَنْجُمَهَا حُسْنًا بِصُفْرِ نُجُومِهِ (١)
وَذَى هَفْوَةٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ شَقِيقَهُ وَحَارِسَهُ قَدْ بَدَّهَ بِنَسِيمِهِ (٢)
فَقُلْتَ اتَّمَدَّ فِي الظَّنِّ وَاسْمَعْ لِمَنْصِفِ بِصِيرٍ بِتَحْبِيرِ النِّظَامِ عَلَيْهِ
أَفَى الْقَدْرِ مَخْدُومٌ لَدَيْكَ وَخَادِمٌ وَذُو كَرَمٍ فِي الْمَجْدِ مِثْلَ لَيْمِهِ
وَسَيَّانٌ طَيِّبًا لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ وَلَيْسَ خُصُوصُ الْخَيْرِ مِثْلَ عُمُومِهِ
وَمَا تَقَلُّ فِي يَوْمِهِ مِثْلَ عَاطِرٍ وَلَا لِحَقِّ فِي الْفَخْرِ مِثْلَ صَمِيمِهِ (٣)
فَقَالَ بِحَقِّ قُلْتِ وَهِيَ مَقَالَتِي وَلِلْحَقِّ نُوْرٌ لَائِحٌ فِي أُدِيمِهِ

وللوزير أبي عامر بن مسلمة أبياتٌ مُحْكَمَةٌ في تفضيله أنشدنيها
موصولةً بمدح ذي الوزارتين القاضي - أدام الله علوه وكبت عدوه -
وهي :

أَصْفَرُ الْخَيْرِيُّ عِنْدِي أَرْفَعُ الْخَيْرِيُّ قَدْرًا فَهُوَ لَا يَمْنَعُ عَرْفًا وَهُوَ لَا يَحْمِيكَ عِطْرًا
مِثْلَ لَوْنِ الذَّهَبِ الْخَالِصِ لَكِنْ فَاقَ نَشْرًا وَغَدَا يَحْكِي الْيَوَاقِيَتِ إِذَا مَاكُنَّ صُفْرًا
مِثْلُهُ اسْتَوْجَبَ مِنِّْي أَبَدًا شُكْرًا وَسُكْرًا مِثْلَ مَا اسْتَوْجَبَ قَاضِي الْعَدْلِ مِنْ ذَا الْخَلْقِ شُكْرًا
مَلِكٌ غُرُّ أَيْدِيهِ عَلَى الْأَسْمَاعِ تَتْرًا

(١) يساجل : أي يبارى .

(٢) بذه : أي غلبه وتفوق عليه .

(٣) تَقَلُّ تَفَلًّا : الرجل أنتن ريحه لترك الطيب .

مَلِكٌ مَا زَالَ يُوَلِّيهِ — نِي تَقْرِيْبًا وَبِرًّا
قَارَضَ اللهُ أَيَادِيهِ — هِ مُطِيْلًا مِنْهُ عُمْرًا

ولأبي جعفر بن الأَبَارِ أَيْبَاتٌ جَلِيْلَةٌ الْمِقْدَارِ أَشَارَ فِيهَا إِلَى تَفْضِيْلِهِ

وهي :

أَصْبَاهُ حُبُّ سَمِيَّهِ فَغَدَا الضَّنْيِ مِنْ زِيَّهِ
وَهَوَى الْهَوَى بُفُوَادِهِ فَاصْفَرَ غَضُّ جَنِيَّهِ
مُثْنِ عَلَى الْمَلَوْنِ لَا كَشَقِيْقِهِ وَسَمِيَّهِ
حَسْبُ الزَّمَانِ تَفَاوُلًا بِالْخَيْرِ مِنْ خَيْرِيَّهِ
فَاحْثُ كُؤُوسٍ مُدَامَةً تَلَقَّ الْعَلِيْلَ بِرِيَّهِ
صَفْرَاءَ قَلَدَهَا الْمِزَا جُ لَشْرَبِهَا بِحَلِيَّهِ

قوله : على المَلَوْنِ يعنى اللَّيْلَ والنَّهَارَ . لا كَشَقِيْقِهِ وَسَمِيَّهِ يعنى

الْخَيْرِيَّ النَّمَامَ . وفي هذا البيت فَضْلُ الْأَصْفَرِ .

ولصاحب الشُّرْطَةِ أَبِي بَكْرٍ بن القُوْطِيَّةِ فِي تَفْضِيْلِهِ أَيْبَاتٌ بَدِيْهِيَّةٌ

سَرِيَّةٌ وَهِيَ :

وَأَصْفَرَ نَرَجِسِي اللَّوْنَ نَمَامٍ مُبْرِّاً مِنْ صَنُوفِ النَّقْصِ وَالذَّمَامِ
زَهَا اعْتِلَاءً عَلَى النَّمَامِ يَجْمَعُهُ بِهِ اسْمُهُ فِعْلَ ذِي لُبٍّ وَإِهْلَامِ
فَقَالَ لِي الْفَضْلُ إِنِّي فِي النَّهَارِ وَفِي لَيْلِي أَنِمْ وَفِي صُبْحِي وَإِظْلَامِي
وَأَنْتَ يَا مُدْعَى اسْمِي طَوَّلَ يَوْمِكَ لَا تُدْنِي أَطْرَاحاً إِلَى خَيْشُومِ شَمَامِي
وَإِنْ لَوْنِكَ مِنْ لَوْنِ النَّحَاسِ وَلَوْ نِي فِي مَلَاَحَتِهِ ضَرَبْتُ مِنَ السَّامِي

قال أبو الوليد :

لما كثر الكلام في تفضيل الخيريِّ الأصفرِ صنعت قطعةً ربّما
كان فيها بعضُ الرّدِّ على مَنْ فضّله وبخس النّمام أكثرَ حقّه ولم يرع
حُسْنَ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ . وهى :

يامن يذمّ خلائق النّمام	ويحطّه عن حُطّة الإكرام
قدك اتّخذ عن لومه جهلاً به	فجماله زارٍ على اللّوام (١)
هو أشهر الخيريِّ حسناً فاحبه	من بينه بتحيّة وسلام
متنّزة عن أن يرى مستهتراً	إلا إذا اكتحل الورى بمنام
مستظرف في خلقه مستظرف	في خلقه مستحسن الإلام
لم يررض إلا المسك مسكاً جسّمه	وبه يوح إليك في الإظام
والمنتمى أبداً إليه قصاره	في الفضل أن يعزى إلى النّمام
إصفرّ من حسدٍ له وكآبة	لما شاه بحسنه البسام
أيقاس منفردٍ بظرفٍ معجز	بمشارك أخلاق نور العام
لو كانت الشمس المنيرة سرمداً	لم تلق بالاجلال والإعظام

قولى : إلا المسك مسكاً المسك الجلد والعرض تشبيه لونه
بلون المسك .

* * *

(١) قدك : حسبك أو كفاك ، وانظر حولها الجنى الدانى ٢٦٩ .

الفصل الثالث

في القِطْعِ المنفردَةِ كل قطعةٍ منها بنورٍ على حدةٍ .

قال أبو الوليد :

يجب أن نبدأ بأوّل الأنوارِ ، وأبكر الأزهار ، وهو من النّواويرِ الربيعيّة نُورُ البهار ، ولكن ما كان من النواويرِ باقياً في كلّ وقت ، وثاوياً مع كلّ فصلٍ هو أوّل على الحقيقة ، وصدرٌ في هذه الطريقة كالآس ، والياسمين ، فأما الآسُ فقد فضّل قديماً على ضروبِ الأنوارِ ، وصنوفِ الأزهار ، وصيّغت في ذلك حسانُ الأشعار إذ شجره يقوم مقام النّوارِ ثمّ يزيدهُ نُورُهُ جمالاً ثانياً ، ويضيف إليه كمالاً زائداً ، وأمّا الياسمينُ فإنّ نُورَهُ لا ينقطع أبداً كلّهُ ، ولا يذهب جميعهُ . فنبدأُ بهما ثم نذكر النواويرِ على أزمِنَتِها .

الآس (١)

قال أبو الوليد : من حَسَنٍ ما قِيلَ فيه ما أنشدنيهِ لنفسه الشيخ

أبو عبد الله بن مسعود وهو :

(١) ذكره أبو حنيفة الدينوري في كتابه النبات وأشار إلى أنه ينبت بأرض العرب

قال بعض بني هذيل :

تالله يبقى على الأيام ذو جيد مسمخر به الظيان والآس

وزعم قوم أنه الرند ، وقد رده أبو عبيدة وأنكره ، وقال هو شجر طيب الريح -

كتاب النبات ص ٢١٠ رقم ٧٨٥ ، الجزء الذي نشره المستشرق برنهارد ، وتحدث عنه

ابن البيطار في كتابه الجامع (٢٧/١) وذكر أن خضرته دائمة ويسمو حتى يكون شجراً

عظيماً وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمره سوداء إذا أُنعت تحلو .

الآسُ آسٍ لِأَسَى كُلُّ فَوَادٍ مَكْتَسِبٌ
 فِي كُلِّ فَصْلٍ زَاهِرٌ وَمَا سِوَاهُ مُنْقَلَبٌ
 إِذَا سَرَى مِنْهُ الشَّدَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَهَبٌ
 أَهْدَى لِأَرْوَاحٍ بِهِ أَرْوَاحَ رَوْحٍ وَطَرَبٌ
 كَأَنَّهُ فِي جَنَّةٍ أَلْ حُلْدُ ثَمًا ثَمَّ اقْتَضَبُ
 لَوْ نَافَرَ النَّوْرَ إِلَى عَدْلٍ صَحِيحِ الْمَعْتَبُ
 وَصُحِّفَتْ نَصَبْتُهُ جَاءَ نَبِيًّا فَعَلَبُ

قَوْلُهُ : أَرْوَاحَ رَوْحٍ . الأرواحُ هُنَا جُمْعُ رِيحٍ وَالرَّوْحُ الرَّاحَةُ
 وَالْأَرْوَاحُ الْأَوَّلُ جُمْعُ رُوحٍ . وَقَوْلُهُ : جَاءَ نَبِيًّا يَعْنِي أَنَّ نَبِيًّا هَذَا اللَّفْظُ
 تَصْحِيفُ آسٍ مَقْلُوبًا .

وَمِمَّا فِيهِ مِنْ حُسْنِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ أَبِي عَمْرِو الرَّمَادِيِّ فِي قِطْعَةٍ
 تَضَمَّنَتْ وَصْفَ غَيْرِهِ وَهُوَ :

خُلُوفٌ مِنَ الرَّيْحَانِ رَاقَتْ كَأَنَّهَا وَإِنْ حَسُنْتَ فِي لِحْظِنَا لِمَمَّ شُعْتُ (١)

وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ زِيَادَةٌ بَيِّنَةٌ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ

أَبِي غَالِبٍ :

فَمَا شِعْتُ مِنْ آسٍ تَفْتَحُ نَوْرَهُ كَمَا أَخْلَسْتُ هَامًّا لَهَا شَعْرًا جَثْلًا (٢)

يُقَالُ أَخْلَسَ الرَّأْسُ إِذَا بِهِ شَيْبُهُ .

وَمِنَ الْفَائِتِ الْفَائِقِ وَالرَّائِعِ الرَّائِقِ فِي وَصْفِهِ قِطْعَةٌ خَاطِبْنِي بِهَا

الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَبَعَثَ مَعَهَا مُطِيبًا وَهِيَ :

(١) خلوف : النسل ، أو ما خلفته وراء ظهره .

(٢) الجثل والجثيل من الشجر والشعر : الكثير الملتف أو ماغلظ وقصر منه

أو كثف واسود .

ياواحد الأدباء والشعراء
 إني بعثت مطيباً نمقته
 من آسه لا زلت تأسوا عاطراً
 يحكى بطيب عرفه وبخسنة
 هو كالسماء إذا بدت محضرة
 فاقبله من صب بحبك وده
 وابن الكرام السادة الثجباء
 من روض داري دارك الغناء
 وتبيد مايعدوا من الأعداء
 خلقاً خليقاً منك بالإطراء
 لاحت عليها أنجم الجوزاء
 ألا تزال أخوا غلاً وعلاء

قال أبو الوليد :

فجاوبته عن هذه الألفاظ البديعة ، والمعاني الرفيعة بما يمكن أن

يدخل في هذا الباب ، ويوافق بعض غرض هذا الكتاب وهو :

يامن حبوت بوده حوباء
 وصل المطيب مغرباً عن طيب من
 أظميته من بعد ما أرويته
 ماكان أشهر طيبة لو لم يكن
 أربي عليه نظمك الحلو الحلي
 إن كان نور الآس في ورقاته
 فجمال خلقك حين ينظم عقده
 وهي الفداء له من الأسواء
 أهده مكثباً من الأهداء
 بمدامة فيها دواء الداء
 متستراً بالقطعة الغراء
 فانحط بعد الرتبة العلياء
 نوراً بدا في ليلة ظلماء
 كالبدر ينظم أنجم الجوزاء

ومن المستحسن المستغرب والمستطاب والمستعذب ما أنشدنيه

لنفسه فيه صاحب الشرطة أبو بكر بن القوطية وهو :

اما ترى الرِّيحانَ أوراقَهُ تلتفُّ تجعيداً ولا تُنبسطُ
 دقيقةُ اللَّماتِ (١) في رؤسها كأنَّهُ أسودُّ جعدٌ قَطَطُ (٢)
 وقد غدا تنويرُهُ جَوْهراً ففي الموامي والرُّبى يلتقطُ
 حتَّى إذا ماملٍ من مكثه في عوده المُشرق فيه سقطُ
 منكشفاً عن ثمرٍ أسودٍ كأنَّهُ من نفضِ جبرٍ نُقطُ

قوله : الموامي جمع مومة وهي القفرُ ويقال بوباة فيها أيضاً
 والرُّبى جمع ربة وهو ما ارتفع من الأرض .

ومن المُشرقِ جماله الموبق كاله المعلوم مثاله ما أنشدنيه لنفسه
 أبو جعفر بن الأَبَّار وهو :

وآسٍ كاسمِهِ لِلَّهِمَّ آسٍ تتيه به حُلَى الزَّمنِ القَشيبِ
 وأرسل كالغداير مُرسلات بها قَطَطٌ ونَمَّ بكلِّ طيبِ
 وكتَمَ نوره فَبَدَتْ لآلِ مُدْخِرَجَةً لها عَرَفَ الحِيبِ
 كان الصُّبحَ شقَّ به جُيوباً فغادَرَ فيه أزرارَ الجُيوبِ
 ونافسه الوري شَعَفاً وحُباً فعوَدَ سوَدَ حَبَاتِ القُلُوبِ

هذا الوصفُ مستوعِبٌ لجميعِ أحوالِ الآسِ لأنَّ نوره أولاً مبيضٌ

ثمَّ يَسوَدُّ .

وله أيضاً فيه وصفٌ يوازي هذا ويضاهيه . وهو :

لا أئس الآس هامي السكب مدرار فهو الوفيُّ وكلُّ النورِ غدارُ

(١) اللَّمة بالكسر : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٢) القَطَط : شدة جعودة الشعر .

تَكَادُ تُثْمِرُ نَفْسُ الصَّبِّ مِنْ جَذَلٍ إِذَا بَدَأَ ثَمْرٌ مِنْهُ وَنَوَارٌ
 كَأَنَّهَا الْبَسْتَةُ الْمَزْنُ حُضِرَ حُلَى لَهَا مِنَ الْمَسْكِ وَالْكَافُورِ أَزْرَارٌ
 هَذَا مَا وَقَعَ إِلَيَّ فِي الْآسِ وَحِينَ أَكْمَلْتُهُ أَبْدَأُ بِمَا وَرَدَ عَلَيَّ فِي
 الْيَاسْمِينِ .

(١) الْيَاسْمِينُ

قال أبو الوليد : أَبَدُعُ مَا قِيلَ فِيهِ وَأَبْرَعُ مَا شَبَّهَ بِهِ وَأَرْفَعُ مَا أَمَلَّ
 عَلَيَّ لِنَفْسِهِ فِيهِ ذُو الْوَزَارَتَيْنِ الْقَاضِي حَرَسَ اللَّهُ حَوْبَاءَهُ وَصَانَ ذِكَاةَهُ
 وَهُوَ :

وَيَاسْمِينٍ حَسَنٍ الْمَنْظَرِ يَفُوقُ فِي الْمَرَايِ وَفِي الْمَخْبِرِ (٢)
 كَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِهِ دَرَاهِمٌ فِي مَطْرِفٍ أَخْضَرِ

قال أبو الوليد : هَذَا التَّشْبِيهِ مَعْدُومُ الشَّبِيهِ .

وَمِمَّا يَوَازِيهِ دِقَّةٌ وَيُضَاهِيهِ رِقَّةٌ قَوْلُهُ أَمَلَّهُ عَلَيَّ أَبْقَاهُ اللَّهُ وَهُوَ :

(١) الْيَاسْمِينُ وَالْيَاسْمُونُ إِنْ شئتَ أَعْرَبْتَهُ بِالْوَاوِ وَالْيَاءِ ، وَإِنْ شئتَ جَعَلْتَ الْإِعْرَابَ
 فِي النَّوْنِ لِفَتَانٍ وَحَكِيٍّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ ، الْمَعْرَبُ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ٤٠٤ ،
 وَأَشَارَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَّةِ الْمَعْرَبَةِ ص ١٦٠ إِلَى أَنَّهُ الْكَلِمَةُ فَارْسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ ،
 وَأَشَارَ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِ (٢٠١/٤) إِلَى أَنَّ مِنْهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَخْضَرُ وَالْأَزْرَقُ ،
 وَالْأَبْيَضُ أَطْيَبُ رَائِحَةً ، وَانظُرِ النَّبَاتَ لِأَبِي حَنِيفَةَ الدِّينُورِيِّ ص ٣٤٦ رَقْم ١١١٠
 بِتَحْقِيقِ الدِّكْتُورِ مُحَمَّدِ حَمِيدِ اللَّهِ .

(٢) الْبَيْتَانُ فِي الْحَلَةِ السَّيْرَاءِ (٣٨/٢) لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَادِ أَبِي الْقَاسِمِ وَقَدْ

وَيَاسِمِينِ حَسَنِ الْمُجْتَلَى كَأَنَّهُ فِي قَضِيهِ الضَّافِيَةَ
زُمُرْدُ رُصَعٍ مَا بَيْنَهُ مِدَاهِنٌ مِنْ فِضَّةٍ صَافِيَةٍ

وَأَمَلٌ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَحْسَنَ ذَكَرَاهُ عَلَيَّ فِيهِ لَهُ قِطْعَةٌ قَوِيَّةٌ الْوَصْفِ

سَرِيَّةِ الرَّصْفِ وَهِيَ :

سُبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَ ذَا الْيَاسِمِينَ خَلَقًا بَدِيعًا لِلنُّهَى وَالْعُيُونِ
كَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ مِنْ تَحْتِهِ وَالْوَرَقُ الْمُخَضُّوْضِرُ الْمُسْتَبِينِ
زُمُرْدٌ نُضِدٌ فَوْقَ الرَّبِيِّ وَهُوَ عَلَى أَعْلَاهُ دُرٌّ مَصُونٌ
آيَاتٌ صَدِيقٌ شَاهِدَاتٌ بَانَ لَيْسَ لِمَنْ أَبْدَعَهَا مِنْ قَرِينِ

وهذه التشبيهات كلها ، والصفات بأسرها إنما هي فيه ، وهو في
شجره ، ولو لم يكن كذلك لم تشبهه حُضْرَتُهُ ، وأكثرها وُصِفَ في هذه
الحال . ولم يَقَعِ إِلَيَّ فِي نُورِهِ مُفْرَدًا إِلَّا قَوْلُ أَبِي عُمَرَ الرَّمَادِيِّ وَهُوَ مِنْ
الصفات المطبوعة ، والتشبيهات البديعة :

أَنْظُرُ إِلَى رَوْضِ يَاسِمِينَ لَمْ يَرِدِ الْوَرْدُ وَهُوَ وَارِدٌ
كَأَنَّهُ عِدَّةٌ وَلَوْنًا أَكْفُ حُورٍ بِلَا سَوَاعِدُ

وقال أبو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ فَرَجٍ (١) يَصِفُ بَقَاءَهُ وَيُقَرِّضُ وَفَاءَهُ :

لَيْسَ كَالْيَاسِمِينَ نُورُ الرِّيَاضِ هُوَ بَاقٌ وَالنُّورُ أَجْمَعُ مَاضِيٌ
فَاقْضِ بِالْفَضْلِ لِلْوَفَاءِ عَلَى الْعَدِّ رَتَكُنْ إِنْ حَكَمْتَ أَعْدَلُ قَاضِيٌ

ومن السُّحْرِ الحلال ، المُسْتَوْفَى نِهَآةِ الكمال . قولُ ذِي الوزارتَيْنِ
أَبِي عَمْرٍو عَبَّادُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَقَدْ دَخَلَ بُسْتَانًا لِي أَكْتَسَبْتُهُ مِنْ نَوَافِلِ
كَرَمِهِ وَسَوَابِغِ نِعْمِهِ . فَرَأَى يَاسِمِينًا فِيهِ فَقَالَ بَدِيهَةٌ :

(١) مضت ترجمته ...

كأئما ياسميننا العَضُّ كَوَاكِبٌ فِي السَّمَاءِ تَبْيَضُ (١)
وَالطَّرُقُ الحُمْرُ فِي جَوَانِبِهِ كَحَدِّ عَذْرَاءَ نَالَهُ عَضُّ (٢)

شَبَّه التَّوَرَ بِالكَوَاكِبِ ، وَحُضْرَةَ وَرَقِهِ بِحُضْرَةِ السَّمَاءِ وَلَمْ أَسْمَعْ
لأَحَدٍ قَبْلَهُ وَصَفَ حُمْرَتِهِ ، وَهِيَ تَكْتَثُرُ عِنْدَ قَلَّةِ الْيَاسْمِينِ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ
وَتَقَلُّ عِنْدَ كَثْرَتِهِ .

وَاللُّوزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بَنِ مَسْلَمَةَ فِيهِ وَصْفٌ رَائِقٌ وَتَشْبِيهٌُ رَائِعٌ وَصَلَّهُ
بِمَدْحِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ الْمَذْكُورِ - أَعَزَّهُ اللهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَاهُ - وَهُوَ :

وَذَكَّى العَرْفُ لَاقَا نَا عَلَى كُرْسِيِّ مَلِكِهِ
أَرْضُهُ الحِضْرَاءُ بَحْرٌ نَوْرُهُ فِيهِ كَفَلِكِهِ (٣)
يَاسْمِينٌ قَدْ غَدَّتْ أَنْوَارُنَا طَوْعاً لِمَلِكِهِ
طَوْعَ حُرِّ الشَّعْرِ عَبَّأً دَأً وَقَدْ أَوْمَى لِسِلِكِهِ
مَاجِدٌ يَنْقَادُ مِنْهُ أَلْ أَدَبُ العَضِّ لِمَلِكِهِ
مَالُهُ يَوْقِنُ مِنْهُ وَمُنَاوِيهِ بِهِلِكِهِ

وَمِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ فِي الْأَلْفَاظِ الْأَنِيقَةِ مَا أَنشَدْنِيهِ لِنَفْسِهِ فِيهِ

الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْأَصْبَغِ بَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ :

وَيَاسْمِينِ بَعْرُشِيهِ أَشْرَفُ عَرَفَهُ العَرْفُ قَبْلَ أَنْ يُعْرِفَ (٤)
تَكَامَلُ الطَّيْبُ وَالْجَمَالُ لَهُ فَهُوَ مِنَ الْفَضْلِ فَوْقَ أَنْ يُوصَفَ
كَأئما خَلَقَهُ الْبَدِيعُ إِذَا تَرَاحَمَ التَّوَرَ قَبْلَ أَنْ يُقْطَفَ
سَرِيرُ مَلِكٍ عَلَيْهِ مُشْمَلَةٌ خَضْرَاءُ وَالْقَطْنُ فَوْقَهَا يُنْدَفُ (٥)

(١) البیتان فی نهاية الأرب (٢٣٧/١١) للمعتمد بن عباد .

(٢) فی نهاية الأرب : بواطنه .

(٣) الفلك بالضم : السفينة .

(٤) العرف : الريح طيبة أو منتنه ، وأكثر استعماله فی الريح الطيبة .

(٥) الشملة : كساء دون القطيفة يُشتمل به .

ومن التَّشْبِيهِ السَّرِيِّ وَالتَّمْثِيلِ السَّنِيِّ قَوْلُ الْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَشَبَّهَ مَجْلِسَ الْأَنْسِ بِالْحَرْبِ وَهُوَ :

وَشَرِبَ أَدْجُوا (١) لِلْأَنْسِ لَمَّا أُصْبِغَ عَلَى يَدِ الشَّجَرِ الدَّمَارُ (٢)
 سَرَّتْ بِهِمْ إِلَى ثَعْرِ التَّصَانِي فَحَلُّوا آمِنِينَ عَلَى الْأَمَانِي
 فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الشَّجَرِ انْتِصَارُ عَرِيشُ الْيَاسِمِينَ لَهُمْ سَمَاءُ
 وَخُضْرَةٌ أَرْضِيهِ لَهُمْ قَرَارُ بِهِ حَجَفٌ مِنَ النَّوَارِ بِيضٌ
 مُمْضِضَةٌ وَأَرْمَاحُ صِغَارُ فَوْجُهُ نَهَارِهِمْ بِالظِّلِّ لَيْلٌ
 وَلَيْلُهُمْ بِأَنْجُمِهِ نَهَارُ فَإِنْ أُوحِشَتْ مِنْ شَمْسٍ تَبَدَّتْ
 عَلَيْكَ بِشَمْسٍ كَبْرَهَا الْعُقَارُ وَمَا شَهَدَ الْكِرَامُ وَعَنَى كَحَرْبٍ

قَوْلُهُ : جُبَارُ أَيْ لَا دِيَّةَ فِيهَا وَلَا مَطَالِبَةَ بِهَا . وَقَوْلُهُ : بِهِ حَجَفٌ الْحَجَفُ صِغَارُ التَّرْسَةِ . وَأَرْمَاحُ صِغَارُ يَعْنِي النَّوَابِلَ الْمُتَعَلِّقَةَ مِنْهُ أَوَّلُ مَا تَبْدُو .

ومن الصفات السريّة وصف صاحب الشرطة أبي بكر بن

القوطية وهو :

وَأَبْيَضُ نَاصِعٌ صَافِي الْأَدِيمِ تَطَّلَعَ فَوْقَ مُخْضَرٍّ بِهِيمٍ (٣)
 نَزِيهُ النَّفْسِ هِمَّتُهُ الْمَعَالِي ذَكَى الْعَرَفِ مِسْكِي الْأَدِيمِ
 فَلَسْتَ تَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ مَلِكٍ وَإِلَّا عِنْدَ خَاصِي كَرِيمِ
 شَأَى (٤) النَّوَارَ فَارْتَفَعَ اعْتِرَاشًا عَلَيْهِ كَهَيْئَةِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ (٤)
 كَانَ ثَمَارَهُ الْمَجْنِيَّ مِنْهَا سَمَاءٌ قَدْ تَحَلَّتْ بِالنُّجُومِ

(١) الشَّربُ ، مصدر : أى القوم الذين يشربون ، وأدجوا : من الإدلاج وهو السير من أول الليل .

(٢) من الذمّر : الملامة والحض والتهديد .

(٣) البهيم : الأسود .

(٤) من الشّأو : وهو السبق .

وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني (١) قطعة حسنة

التشبيه وهي :

أمير النور يأمرني بشرِّب ولست أُطيقُ عصيانَ الأميرِ
فأخذ كأسَ السُّرورِ فسقَّنيها على ودِّ الأميرِ على السرِّيرِ
نُجومٌ من لُجَينٍ تجتليها سماءُ زبرجِدٍ خضيلٍ نضيرِ
تزيدُ على الأقاحي في ابتسامِ كما زادَ الكبيرُ على الصَّغيرِ
وينخفضُ الشَّدَا المسكَى عنها كما انخفضَ الصغيرُ عن الكبيرِ

قال أبو الوليد : هذا ما وقع إلي في الياسمين البُستاني ، وعثرتُ على قطعٍ في الياسمين البرِّي ، وهو الظَّيان (٢) ، وليس يبقى مُدَّة العام إنَّما هو ربيعيٌّ ولكن قدمته على الربيعيَّة لتسميِّه باسمِ المتقدِّمِ وانتسابه به فوصلتُ ذكره بذكره . وما قيل فيه ممَّا قيل فيه مع أنَّ وصفه لم يكثُر ،

(١) هو أبو علي إدريس بن اليماني العبدي شاعر وعالم جليل ينتجع الملوك ، وله مدائح كثيرة في ملوك الطوائف أطل الإقامة في جزيرة رياسة حتى نسب إليها ، قال عنه ابن بسام : صار شعره سمر النادی ، ومقلة الحاوي ، وتمثل به الحاضر والبادي . الذخيرة القسم الثالث المجلد الأول ٣٣٦ ، وجذوة المقتبس ١٧٠ رقم ٣١٣ ، وبغية الملتبس ٢٢٢ رقم ٥٦٠ ، والمغرب (٤٠/١) ونفح الطيب (٥٧/٤ ، ١٥٦) ورايات المبرزين ١٢٦ والحلة السیراء (١٨٤/٢ ، ١٨٥) .

(٢) الظَّيان : قال أبو حنيفة في كتابه النبات ص ١١٦ رقم ٦٧٦ بتحقيق محمد حميد الله (ومن الشجر الذي نوره ريحان ويربب به الدهن بأرض العرب ، الضيان : وهو الياسمين البري ويسمى السجلاط ، وأورد شاهداً لأني ذؤيب الهذلي وهو قوله :
تالله لا يعجز الأيام ذو حيد بمشخر به الظَّيان والآس
وقال عنه ابن البيطار في الجامع (١١٤/٣) هو نبات ينبت في البراري ... وكأنه ضرب من اللبلاب يلتف بعضه ببعض وله زهر ياسميني الشكل صغير ورقه .

وذكره لم يتكرر ، فليس يحتمل إفراداً ، وإنما يجب أن يكون لهذا تبعاً ،
 وخلق شجره وتوره كخلق البستاني إلا أن توره أصفر .

فمن أطبع ما قيل فيه وأبدعه وأعلى ماشبه به وأرفعه أبيات لذي
 الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثل أمله على وهي :

تري ناصير الظيان فوق غصونه إذا هو من ماء السحاب يغتدى^(١)

وحفت به أوراقه في رياضه وقد قد بعض مثل بعض وقد حدى

كصفر من الياقوت يلعب بالضحى منضدة من فوق قصب الزبرجد^(٢)

وله - أعلى الله ذكره وأيد أمره - في صفرته خاصة تشبيهه بديع

وتمثيل رفيع أمله على وهو :

كان لون الظيان حين بدا نوره أصفراً على ورقة^(٣)

لون محب جفاه ذو ملل فاصفر من سقمه ومن أرقه

وأنشدني فيه لنفسه الوزير الكاتب أبو الإصبع بن عبد العزيز

أبياتاً معجبة تضمنت أوصافاً مغربة وهي :

فضائل الظيان معروفة تروق في المنظر والخبر

فاق النواوير معاً أنه منزه يأوي إلى البر

وإنه يأنف أن يقتنى على سبيل الملك والقسر

فأثر الصحراء مستانساً في ليله بالأنجم الزهر

(١) الأبيات في الحلة السراء (٣٩/٢) لمحمد بن إسماعيل بن عباد ، ورواية البيت

الأول في الحلة السراء :

تري ناظر الظيان في لون إذا مر ماء السحاب يغتدى

ويبدو أن هذه الرواية مختلة وزنا .

(٢) في الحلة : الزمرد .

(٣) البيتان في الحلة السراء (٣٩/٢) .

مَتَى تَرَرُهُ تَلَقَّ مِنْ عَرْفِهِ مَا شِئْتَ مِنْ طِيبٍ وَمِنْ عَطْرِ
أَبْرَادُهُ حُضْرٌ وَلَكِنَّهَا مَحْصُوصَةٌ بِاللَّبَنِ الصُّفْرِ

وللفقيه أبي الحسن بن عليّ فيه وصف رائع وتشبيه بارع في

قطعة موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي وهي :

إِذَا نَوَّرَ الظُّيَّانُ فِي حُضْرٍ قُضِبَهُ وَرَاحَ بَثُوبٌ مِنْ دُجَى الرِّيِّ قَدْ حُدِي (١)
أَفَادَكَ مِنْ صُفْرِ اليَوَاقِيَتِ أَنْجُمًا لَهُ طَالِعَاتٍ فِي سَمَاءِ زُمُرِدٍ
كَانَ سَنَاهُ فِي الرِّيَاضِ وَحُسْنِهِ بِحُسْنِ ابْنِ عَبَّادٍ وَرِيَّاهُ مُحْتَدِي

قال أبو الوليد :

وحين أوردت ما وقع إليّ في الآس ، والياسمين من بديع الشّعير
الموزون نذكر الأنوار على أزمتها ، ونبدأ بالأوّل منها ، وهو نورُ البهار .

(٢) البهار

وقال أبو الوليد : وَيُسَمَّى البِهَارُ النَّرْجِسَ ، وَأَكْثَرُ أَشْعَارِ
المَشْرِقِيِّينَ اسْمُهُ فِيهَا النَّرْجِسُ ، وَأَمَّا الأَنْدَلُسِيِّينَ فَاسْتَعْمَلُوا الاسْمَيْنِ
وَذَكَرُوا اللُّغَتَيْنِ .

(١) من الحدّ : القطع والجدّ .

(٢) في الجامع لابن البيطار (١٢١/١) البهار : هو الأقحوان الأصفر عند بعض
الناس والذي تعرفه شجارونا بالأندلس بالمقازجة ، وبالبربرية إملال ، وعامتنا ببلاد
الأندلس أيضاً تسميه خبز الغراب ، ونقل عن ديسقوريدوس ما يفيد أن البهار نبات له
ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازيانج وزهر أصفر أكبر من زهر البابونج شبيه بالعيون
ولذلك سمي بهذا الاسم .

فَمِنْ أْبَدَعِ تَشْبِيهِ وَقَعِ إِلَيَّ فِيهِ قَوْلُ أَحْمَدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنِ سَعِيدِ الْخَيْرِ بْنِ الْإِمَامِ الْحَكَمِ وَقَدْ بَعَثَ بِهِ إِلَى الْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرِ لَدَيْنَ اللَّهِ (١) وَهُوَ :

يَا مَلِيكاً مِنَ الْمُلُوكِ مُصَنِّفِي
عَبْدِكَ الشَّاكِرِ الْمُؤْمِلِ أَهْدَى
كُلَّمَا فَاحَ نَشْرُهُ قُلْتَ الْفِ
وَإِذَا مَا لَحِظْتَهُ قُلْتَ الْحَا
مَنْهُ مِثْلُ الْإِبْرِيْزِ فِي صُفْرَةِ اللَّوْ
فَكَأَنِّي بِمَا أَقْلُبُ مِنْهُ
وَقَوْلُ إِسْمَاعِيلِ بْنِ بَدْرِ (٢) وَهُوَ حَلَالٌ مِنَ السَّخْرِ :

أَهْدَى إِلَيْكَ مِنَ التَّوَارِ أَحْسَنَهُ
كَأَنَّهَا نُقِرَّ مِنْ فِضَّةٍ وَضِعَتْ
عَلَى الزُّمُرِدِ قَامَتْ عِنْدَ مَنْبَتِهَا
قَدْ ضَلَّ فِي وَصْفِهِ مِنْ قَبْلِي النَّاسُ
فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَكْوَأْسُ
فِي كُلِّ نُوَّارَةٍ مَفْتُوحَةٌ كَأْسُ

وَقَالَ الْحَاجِبُ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيُّ (٤)
يُصَفُّهُ بِالْفَاطِظِ رَطْبَةٍ وَمَعَانَ عَذْبَةٍ وَأَشَارَ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ إِلَى مَمْدُوحٍ لَمْ يُسَمِّهِ
وَهِيَ :

بِنَفْسِي وَأَهْلِي طَالَعٌ خِلْتُ أَنَّهُ
بِأَخْلَاقٍ مَعْشُوقِ الْعُلَى يَتَخَلَّقُ

(١) هو أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وانظر
ترجمته في المغرب (١٨١/١) والحلة السيرة (١٩٧/١) .

(٢) يقال ذهب إبريز ، وإبريزي : خالص .

(٣) هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل شاعر أديب مشهور كان في أيام
عبد الرحمن الناصر أثيراً عنده . جذوة المقتبس ١٦٣ رقم ٣٠٠ ، وبغية الملتبس ٢١٥
رقم ٥٤٣ .

(٤) مضت ترجمته ...

حكى الفضة البيضاء والتبر منظرًا
فصبح إذا استنطقته عن زمانه
بيئك أنفاس الحبيب وإنها
أتانا على عهد الشتاء مبشراً
ولكنه بالنفس الطي وأغلق^(١)
وماخلت أن النور من قبل ينطق
لأذكي من المسك الذكي وأعقب
بعهد يروق الناظرين ويونق
وقال أبو عمَرَ أحمد بن فرج وقيل أخوه عبد الله يصفه :

ونرجس تظرف أجفانه كمقلة قد دب فيها الوسن^(٢)
كأنه من صفرة عاشق يلبس للبين ثياب الحزن

قال أبو الوليد : جرى في « ثياب الحزن » على مذهب الأندلس
إذ ثياب حزنهم بيض . وهو تشبيه بديع وتمثيل رفيع ومعنى مطبوع .
ومن التشبيهات العقيم التي تدل على يقظة الفهم قول ابن القرشية
عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله - رضى الله عنهم
- وهو (٣) :

كان الثرى ستر تمُدُّ خلاله بأكواس راج راحهن الكواعب^(٤)
يُسترن من فرط الحياء معاصمًا بأكامهن الخضر عمّن يراقب
جعل قُضبه الخضر معاصم مستورة بأكام خضر ، وجعل أكفها
مبيضة وكؤوسها مُصفرة .

وأُشدنى الفقيه أبو الحسن بن علي الأشجعي النحوي يصف
بهاراً أخرجَه إليه أحدُ بني بخت ، وسأله وصفه . فقال على البديهة :
ما للبهار نظير في التواوير . إذ صار أول مخصوص بتبكير

(١) ألقى : ألصق .

(٢) الوسن : شدة النوم ، أو أوله ، أو التعاس .

(٣) مضت ترجمته ...

(٤) البيتان في الحلة السراء (١/٢١١) .

أما ترى الصَّبَّ والمعشوقَ قد جُمعا في لونه بين تبييضٍ وتصفيرٍ
 كأنما رقَّ للعشاقَ منظرُهُ فعجَّلَ الثَّورَ من بين النَّوَابِرِ
 أَحِبُّ بِهِ فَلَقَدْ أَبْنَا بطلَعَتِهِ عن السُّرورِ وإتمامِ التَّبَاشِيرِ

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري (١) إلى المنصور
 أبي عامر بن أبي عامر وهو بأرملاطٍ عن بهار العامرية في كانون الأول
 الكائن في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم - أطال الله بقاء المنصور مولاي وأدام
 عزه ، وهناه سروره ، وسوغه نعمه عنده - إني - أيد الله المنصور
 مولاي - لما استقلت بزهرتها مائلة قضبي وتنبهت من سنتها نائمة
 جفوني ، وتمت (٢) بعطرها ساطعة روائحي ، وافترشت ديباج حديقه
 بكر وسميها (٣) ، وتتابع وليها . فالتقى ثرياها ، وأخذت الأرض
 زخرفها وازينت ، وطاب صعيدها حتى كان ترابها فتيت المسك ،
 أو سحيق الكافور عن لي زهو بحسني ، وارتياح لحالي ، وإعجاب
 بمكاني ، وشاركت ذلك دواعي هزة الشوق إليك ، وشواجي لوعة البعد
 عنك حين فارقت محلي ، وآثرت بالزيارة غيري فحركن مني ساكناً ،
 وبعثن لي على مناجاة الشعر خاطراً . فأجابني منه ماضمته غرائب
 وصفي وأهديته إلى مولاي مع محاسن شخصي الذي هو غرس همته
 وابن نعمته لعل فعلي أن يوافق منه قبولاً ، ويقسيم لي من حسن تذكيره
 نصيباً بوسع تفضله وسابغ تطوله ، وكريم تحاوره . والشعر :

(١) مضت ترجمته . . .

(٢) يقال نم المسك : سطم وظهر ريحه .

(٣) الوسمي : مطر الربيع الأول .

حَدَقُ الحِسانَ تَقَرُّ لى وتغارُ
 طلعت على قضى عيون كائى
 وأحصُ شىءِ بى إذا شَبَّهتَنِ
 أهدت له قُضْبُ الزُّمردِ ساقه
 أنا نرجسُ حقا بَهَرْت عُقولَهُم
 أنبى لَمِنَ زَمَنِ الرِّيعِ تَرُبْنى
 فأكون عَطراً لِلأنوفِ ومنظراً
 وتَحِيَّةً بَينَ النَّدَامِ تُحْتُ لى
 وأقلُّ جُودِ العَامِرِىِّ مُحَمَّدِ
 عَشْرُ تُعَدُّ مِنَ المَينِ لِأنمِلِ
 قولُهُ : أَلْفٌ حَكَتْ إِنَّمَا أَنْتَ الأَلْفُ لَصَرَفِها إِلى الدِراهمِ .

وأما الألف فمذكرٌ . ولا نحتاجُ إلى ذِكْرِ أَكْثَرٍ مِنْ هَذا مِنَ المَدْحِ
 كما لا يحتاجُ إلى إِطراءِ النَّظْمِ والنَّثْرِ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنهما حلالٌ فى السَّخْرِ .
 ومن الحَسَنِ السَّرِّىِّ قولُ أبى عُمَرَ القَسْطَلِىِّ (٤) يصفه فى قطعة
 موصولة بِمدحِ المظفَّرِ بنِ أبى عامرِ (٥) . وهى :
 دُعِيَتْ فَاصُغٌ لِداعى الطَّرْبِ وطابَ لَكَ الدَّهْرُ فَاشْرَبْ وَطِبْ (٦)

(١) الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) فى نفع الطيب (١/٥٣١) وفى الذخيرة
 القسم الرابع المجلد الأول ٤٨ .

(٢) الشفر : أصل منبت الشعر فى الجفن .

(٣) تربنى : تملكنى ، أمن رببت الأمر أربه ربا وربابة : أصلحته ، أو من رببت

الدهن طيبته أو غدوته بالياسمين أو بعض الريباجين .

(٤) مضت ترجمته .. .

(٥) انظر المغرب (٢/٣٠٠) .

(٦) الأبيات فى ديوان ابن دراج القسطلى ٣٧ ، ٣٨ .

وهذا بشير الربيع الجديد
 بهارُ يروقُ بمسكٍ ذكيٍّ
 غصون الزُّمرد قد أورقت
 إذا جُمعتُ في جبالِ الحرير
 فمِن حَقِّها أن تَرى الشَّارين
 وأن يَسألوا اللهَ طوْلَ البقاء
 فلولا مجالسُهُ لم تُرق
 ولولا شمائلُهُ لم تُطبَّ (٢)

وأنشدني الفقيه أبو الحسن بن عليّ للفقيه أبي عثمان بن البر

قريبه :

ألا سقني رُوحَ النفوسِ وأنسها
 وشعشع لنا شمسَ الشمولِ ببدرها
 فانت ترى أقمارَ نرجسِ روضنا
 محاسنُ لو وافت أخا العيِّ باقلاً

ولين بماءِ المزنِ في المزجِ مَسَّها
 وأجرِ عَلينا بالمسرةِ كأسها (٣)
 خلافِ السماويّاتِ جاوِزَنَ شَمْسَها
 إذا بزَّ سَحبانَ البرايا وقُسَّها (٤)

(١) في الديوان : الزبرجد .

(٢) في الديوان : محاسنه .

(٣) الشمول : من أسماء الخمر .

(٤) باقل : يضرب به المثل في العبي فيقال (إنه لاعيا من باقل) وهو من بني إياد

وقيل من بني مازن ، وسحبان وائل من أشهر خطباء العرب فصاحة وبلاغة وبيانا ، وهو من وائل باهلة ، وأول من آمن بالبعث في الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا من العرب ، وأول من قال « أما بعد » وعمر مائة وثمانين سنة ، وانظر فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وقس : هو قس بن ساعدة الإيادي : أحد حكماء العرب المشهورين وخطبائهم البارزين في الجاهلية .

وَأُنشِدُنِي لِنَفْسِي فِيهِ الْوَزِيرَ أَبُو عَامِرٍ بِنِ مَسْلَمَةَ قِطْعَةً غَرِيبَةً
التَّشْبِيهَاتِ عَجِيبَةِ الصِّفَاتِ وَهِيَ :

قَدْ جَاءَنَا رَائِدُ الرَّبِيعِ بِمَنْظَرٍ رَائِقٍ بَدِيعِ
هُوَ الْبَهَارُ الَّذِي تَعْلَى وَجَلَّ فِي حُسْنِهِ الرَّفِيعِ
كَأَنَّهُ مُقْلَةٌ تَشْكِي إِلَى الْحَيَا قِلَّةَ الْهُجُوعِ
أَكْفُ كَافُورَةٍ قَدْ أُوْمِتْ بِكَأْسِ تَبْرِ إِلَى الرَّبِيعِ
أَوْ شُعْلَةَ النَّارِ وَسَطَ مَاءٍ جُسَّدَ مِنْ ثَوْبِهِ النَّصُوعِ

وله فيه قطعة تُوازِي هذه جمالاً وتُضاهيها كمالاً كتب بها إلى أبي
- وقاه الله بي - وبعث معها بهاراً مُبَكِّراً :

أَيَا مَا جِدًّا لَمْ يَزَلْ جُودُهُ يَلُوحُ كَمَا لَاحَ ضَوْءُ النَّهَارِ
وَيَا مَنْ أَحَلَّ بِأَمْوَالِهِ سَمَاحًا أَحَلَّ بِصُوبِ الْقَطَارِ (١)
بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِنُورِ الْبَهَارِ حَكَى فِضَّةً حَوْلَ مُحَضِّ النَّضَارِ (٢)
هُوَ الدَّرُّ نُظْمَ مِنْ بَيْنِهِ يَوَاقِيتُ فَاقِعَةُ الْأَصْفِرَارِ
أَوْ الْمَاءُ صَيْرَ مِنْ فَوْقِهِ إِذَا مَا تَأَمَّلْتُهُ ضَوْءَ نَارِ
نَهَارٌ وَلَكِنَّهُ بَاهِرٌ فَعَوَّضَ مِنْ ذَلِكَ بِاسْمِ الْبَهَارِ
كَأَنَّ بَهْرَتَ مِنْكَ سَيْمًا الْعُلَى فَالْبَسْتَ الْبَدْرَ ثَوْبَ السَّرَارِ
بَقِيَتْ وَوَقِيَتْ صَرَفَ الرَّدَى فَإِنَّكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُدَارِي

ومما يُسْتَحْسَنُ فِيهِ وَتُسْتَعْرَبُ مَعَانِيهِ قَوْلُ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ أَبِي بَكْرٍ

أَبْنِ الْقَوِطِيَّةِ وَهُوَ :
زُمُرْدٌ أَوْرَقَتْ أَغْصَانُهُ دُرَّرًا فَرَاخَ كَالرَّاحَةِ الْبَيْضَاءِ مَنْفَطِرًا (٣)

(١) القطار : المطر .

(٢) النضار : الذهب أو الفضة ، أو الجواهر الخالص من التبر .

(٣) الفطر : الشق .

يُقْلُ ياقوتةً صفراءَ فاقعةً كأنها التبرُّ من فوق اللجين جرى
هو النهارُ ولكن رَدَّ نُقْطَتَهُ مكيدةً تحتَهُ النَّوَارُ إذْ وَغَرَا (١)
ثُمَّتْ دَعَاهُ بهاراً كفى يُهَجِّنُهُ وقد حوى قصبات السَّبِقِ إذْ بهرا
كَمُقْلَةٍ دَبَّ فِي أَجْفَانِهَا وَسَنٌ فَدَنَّقَتْ غير أن لم يدر طعمَ كرى

وأهدى صاحبُ الشرطة أبو بكر المذكور مُطَيَّبَ بهارٍ إلى الوزير
أبي عامر بن مسلمة وكتب معه أبياتاً رائقة السَّمات فائقة الصفات .
وهي :

قُلْ لِرِيحَانَةِ الْعَلَا والمكارمِ والكريمِ النَّجَارِ وابنِ الأكارمِ
قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ياخَيْرَ ناشٍ بالدَّنَائيرِ فَوْقَ مَحْضِ الدَّرَاهِمِ
لَمْ يَسُسْ طَبَعُ هَذِهِ جَعْفَرٌ قَطُّ وَلَا ضَرَبَ تِلْكَ رَاِحَةَ قَاسِمِ
بِبَهَارِ حَكَى جَمَالَكَ حُسْنًا وحكى عَرَفَكَ الذِّكْيَ لِنَاسِمِ (٢)
يَتَشَكَّى الظْمَا وفي يَدِكَ الرَّيُّ فَيَنْ لَمْ تُرَوِّهِ كُنْتَ ظَالِمِ
دُمْتَ لِلْمِهْرَجَانِ والعِيدِ والنَّيِّـرُوزِ الْفَأْ مِنْ الحَوَادِثِ سَالِمِ (٣)

فجاوبه الوزير أبو عامر بن مسلمة بديهة بأبياتٍ تشاكلها براءة
وتشابهها بزاعة . وهي :

(١) من الوغر : الحقد والضُّغن ، والعداوة ، والتومد من الغيظ .

(٢) الناسم : الذى يتنفس ويشم ، وهو أيضاً المريض أشفى على الموت .

(٣) المهرجان : من الفارسي العرب وهو عيد الفرس مركب من مهر بمعنى الحبة
ومن كان بمعنى المتصلة ، انظر الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٧ ، والنيروز : أول يوم من
السنة الشمسية فارسيته نُورُوز ، ومعناه يوم جديد ، الألفاظ الفارسية المعربة ١٥١ .

في الترجس الغضّ شبهٌ لاختفاء به
فصفرةُ الشمسِ قد رَدَّتْهُ صُفْرَتُهَا
كَأَنَّ ياقوتَةً صَفْرَاءَ قَدْ طُبِعَتْ
حُسْنٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْقَانِ صَانِعِهِ
لِلنَّيرَيْنِ يُرَى فِي طَالِعِ الزَّهْرِ (١)
وَقَدْ مُبَيِّضُهُ مِنْ صَفْحَةِ الْقَمَرِ
فِي غُصْنِهِ حَوْلَهُ سِتٌّ مِنَ الدَّرَرِ
سُبْحَانَهُ مَبْدِعِ الْأَخْلَاقِ وَالصُّوَرِ

وله أيضاً فيه قِطْعَةٌ مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ الْقَاضِي أَطَالِ اللَّهُ
عُمُرَهُ ، كَمَا أَطَابَ ذِكْرُهُ - وَهِيَ :

أَرَى فِي الْبَهَارِ التَّرْجِسِيَّ تَلَالُؤًا
كَأَنَّ الرِّيَاضَ الْخَضَرَ صُغْنَ لِبَاسِهِ
أَوِ الدَّهْرَ رَدَّاهُ سُرُورًا بِشَخْصِهِ
فَحُلَّتُهُ فِي لَوْنِهَا ذَهَبِيَّةٌ
جَمَالٌ بِهِ حَلَّ الرِّبِيعُ عَرَارَهُ
كَأَنَّهَا تَحَلَّى الدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ عَطَلَةٍ
بِهِ نَيْلَتِ الْأَمَالَ فِي كُلِّ بُغْيَةٍ
عُيُونُ الْوَرَى مَشْغُوفَةٌ بِالتِّمَاحِ
بِشَكْلَيْنِ مِنْ مَاءِ الْعِمَامِ وَرَاحِهِ
رِدَائِيْنِ مِنْ إِسْفَارِهِ وَصَبَاحِهِ (٢)
وَفِضِيَّةٍ أَثْنَاءَ عَقْدِ وَشَاحِهِ
وَمِنْهُ كَسَى لِاشْكٍ نَورَ أَقَاحِهِ (٣)
بِجُودِ ابْنِ عَبَّادٍ وَفَضْلِ سَمَاحِهِ
وَبُوشَرِ بُرْدِ الْأَمْنِ تَحْتَ جَنَاحِهِ

وَمِنْ الْبَدِيعِ الْخِتَارِ فِيهِ مَا أَنْشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْأَبَّارِ

وهو :

أَمَا تَرَى الرَّوْضَ رَاضَاهُ الْحَيَا فَبَدَا
لِلتَّرْجِسِ الْغُضَّ فِيهِ لِحُظِّ مَبْهُوتِ

(١) البيت الثالث في نهاية الأرب (٢٣٢/١١) لشاعر أندلسي قبله بيت هو :

انظر إلى نرجس في روضة أنف غناء قد جمعت شتى من الزهر

(٢) يقال : رَدَّتْ الْجَارِيَةُ : تَوَشَّحَتْ وَلبست الرداء كارتدت .

(٣) العرار : هو بهار البرطيب الريح شديد الصفرة واسع النور ، وفيه قول الصمة المشهور .

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

انظر النبات لأبي حنيفة الدينوري ١٢٧ بتحقيق الدكتور محمد حميد الله .

مِثْلَ الْعَيُونِ رَنَتْ أَشْفَارُهَا دُرَّرٌ لَكِنَّ أُنَاسِيَهَا صُفْرُ الْيَوَاقِيْتِ
الْأُنَاسِيَّ جَمْعُ إِنْسَانٍ وَهُوَ نَاطِرُ الْعَيْنِ وَحَدَقْتُهَا .

البنفسج

وَأُنَشِدُنِي فِيهِ لِنَفْسِهِ أَبُو عَلِيٍّ إِدْرِيسُ بْنُ الْيَمَانِيِّ (١) يَبْتِئِنُ
سَابِقِينَ .

[وَقَالَ] (٢) أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ :
بِنَفْسِجٍ جُمِعَتْ أَنْوَارُهُ فَحَكَتْ كَحَلًّا تَشْرَبُ دَمْعًا يَوْمَ تَشْتِيْتِ (٣)

(١) أَبُو عَلِيٍّ إِدْرِيسُ بْنُ الْيَمَانِيِّ فَضْتُ تَرْجَمَتَهُ ... ، وَالْبَيْتَانِ السَّابِقَانِ هُمَا :
شَهَدَتْ لِنَوَارِ الْبِنْفَسِجِ أَلْسُنٌ مِنْ لَوْنِهِ الْأَخْوَى وَمِنْ إِبْنَاعِهِ
بِمِشَابِهِ الشَّعْرِ الْأَيْثُ أَعَارَهُ قَمَرِ الْجَبِينِ الصَّلْتِ نَوْرَ شِعَاعِهِ
وَقَدْ سَبَقَا مَعَ آيَاتٍ أُخْرَى ص ٨٢

(٢) زِيَادَةٌ لَمْ تَرِدْ فِي الْأَصْلِ .

(٣) لَمْ أَجِدْ الْآيَاتِ فِي دِيْوَانِ ابْنِ هَانِيٍّ ، وَقَدْ وَرَدَتْ لِابْنِ الرَّومِيِّ فِي دِيْوَانِهِ

(٣٩٤/١) مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ وَرَوَايَتِهَا :

بِنَفْسِجٍ جَمِعَتْ أَوْرَاقُهُ فَحَكَى كَحَلًّا تَشْرَبُ دَمْعًا يَوْمَ تَشْتِيْتِ
وَلَا زُورِدِيَّةَ تَزْهَوُ بِزَرْقَتِهَا وَسَطِ الرِّيَاضِ عَلَى حَمْرِ الْيَوَاقِيْتِ
كَأَنَّهَا وَضَعَفَ الْقَضْبُ تَحْمَلُهَا أَوَائِلَ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كَبْرِيتِ

وَمِنْهَا بَيْتَانِ وَرَدَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (١٦٨/٢) وَهُمَا :

وَلَا زُورِدِيَّةَ أَوْفَتْ بِزَرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى زَرْقِ الْيَوَاقِيْتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ طَاقَاتِ ضَعْفَنٍ بِهَا أَوَائِلَ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كَبْرِيتِ

وَلَا زُورِدِيَّةَ : مِنْ الْفَارْسِيَّةِ الْمُعْرَبِ : مَعْدَنٌ مَشْهُورٌ وَانظُرِ الْأَلْفَاظَ الْفَارْسِيَّةَ الْمُعْرَبَةَ

أَوْ لَأَزُورِدِيَّةً أُرَبَّتْ بِزُرْقَتِهَا وَسَطَ الرِّيَاضِ عَلَي زُرْقِ اليَواقِيتِ
 كَانَ قُضْبَانُهُ وَالرِّيحُ تَحْمِلُهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيَّتِ
 وللوزير الكاتب أبنى الأصْبَعُ بن عبد العزيز فيه قِطْعَةٌ أُغْيِثَ فِي
 الجَمَالِ فَأُغْيِثَ أَهْلَ الكَمَالِ موصولة بمَدْحِ الحَاجِبِ - حَجَبَهُ اللهُ عَن
 النَّوَابِ - وهى :

وَبَنَفْسِجٍ أُرَبِّي عَلَى الثُّورِ	وَأَفَادَنَا عِطْرًا بِلَا عَطَّارِ
فَكَأَنَّمَا أَعْلَاهُ فِي فَيْرُوزِجِ (١)	وَبِسَاطُهُ فِي حُضْرَةِ الأشْجَارِ
وَإِفَاكَ فِي وَقْتِ الزِّيَارَةِ قَائِمًا	وَقَدْ انْحَنَى لِلوَحْيِ بِالأَسْرَارِ
هُوَ مِسْكَةٌ خُلِقَتْ لَهَا أَوْرَاقُهَا	فِي لَوْنِهَا مِن صَنَعَةِ الجَبَّارِ
أَوْ رَقْعَةٌ زَرْقَاءُ مِن كَبِدِ السَّمَاءِ	فِي يَوْمِ صَحْوِ فِتْنَةِ النَّظَّارِ
أَوْ لَمَّةٌ الحَسَنَاءِ تَحْسِبُ وَسَطَهَا	لِلزَّرْعَفَرَانِ مَوَاضِعِ الأَثَارِ
أَوْ لُجَّةٌ كَحَلَاءِ هَزَّتْهَا الصَّبَا	فَتَكَسَّرَتْ لِنَا عَلَى مَقْدَارِ
أَوْ دِرْعُ حَاجِبِنَا أَتَتْهُ صَقِيلَةٌ	وَقَدْ انْبَرَى لِلْفَتْكِ بِالكُفَّارِ
مَلِكٌ قُلُوبِ الأَسْدِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ	وَبِوَجْهِهِ قَمَرٌ مِنَ الأَقْمَارِ
فَإِذَا سَطَا فَالصَّبْحُ دَاجٌ مُظْلِمٌ	وَإِذَا عَفَا فَاللَّيْلُ فِي إِسْفَارِ

ومن المعانى الجزلة فى الكلمات العذبة ما أنشدنى لنفسه فيه
 أبو عامر بن مسلمة وكتب به إلى ذى الوزارتين أبنى أيوب بن عبَّاد -
 أبقاه الله - فى زمن البنفسج . وهو :

يَا مَنْ تَحَلَّى بِهِ الفَخْرُ وَالسَّنَاءُ يُتَوَجَّحُ
 وَمَنْ بِجُودِ يَدَيْهِ بَابُ الغِنَا غَيْرُ مُرْتَجٍ (٢)

(١) الفيروزج : حجر كريم وهو المعروف بالفيروز تعريب بيروز وأصل معناه

المبارك : الألفاظ الفارسية المعربة ١٢٢ .

(٢) من رجع الباب : أغلقه .

وَمَنْ بِطِيبٍ ثَنَاهُ نَارُ الْعَلَا تَتَأَجَّجُ
 إِذَا انْتَشَيْتَ فَعَرَّجُ عَلَى رِيَاضِ الْبَنْفَسِجِ
 تَجْدُ بِهِ رَوْضَ حُسْنٍ فِي ثَوْبِ أَرْضِ مُدَبَّجِ (١)
 فَتَمَّ فَاغْكُفْ وَبَاكِرُ مُدَامَةً تَتَوَهَّجُ
 تَرَى زَمْرُدَ أَرْضٍ مِنْهُ الْيَوَاقِيتُ تُنْتَجُ
 كَأَنَّهُ لُجَّةُ الْبَحْرِ غَاضٍ فِيهَا مُلْجَجُ (٢)
 فَأَخْرَجَ الزَّرْقَ لَكِنْ بغيرِهَا لَمْ يُعْرَجْ
 حَكِي حُسَامٌ أَيْ أَيُّوبُ الْمُتَضَرِّجِ

وَأُنشِدُنِي لِنَفْسِهِ فِيهِ الْفَقِيهَةُ أَبُو الْحَسَنِ بَنُ عَلِيٍّ أَحْسَنَ ابْتِدَاعٍ
 وَأَغْرَبَ اخْتِرَاعٍ مَوْصُولًا بِمَدْحِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَمْرٍو عَبَادٍ - آدَامِ اللَّهِ
 عَزَّتْهُ وَوَصَلَتْ حَرَمَتَهُ - وَهُوَ :

أَلَا حَبِذَا الْمَحْبُوبُ نُورُ الْبَنْفَسِجِ وَأَحْبَبُ بَمَرَاهُ الْبَدِيعِ وَأَبْهَجُ
 حَيَاةٍ وَرَوْحٍ لِلْعَلِيلِ نَسِيمُهُ وَمَنْظَرُهُ أُنْسُ الْمَتِيمِ وَالشَّجِجِ
 وَنَوَّارُهُ كَالْغُصَنِ فِي صَدْرٍ أُغِيدِ لِمَخْتَلَسِ سَهْوِ الرَّقِيبِ وَمُدْمِجِ (٣)
 وَحُمْرُ الْيَوَاقِيتِ الْوِضَاءِ وَصُفْرُهَا تَأَلَّفَتَا فِي لَوْنِهِ الْمُتَضَرِّجِ (٤)
 فَلَوْ نَظَّمْتَهُ الْحَالِيَاثُ لِأَشْرَقَتْ جَوَاهِرُهُ فِي كُلِّ قَرْطٍ وَذُمَّلِجِ (٥)
 مُحَاسِنُهُ مِنْ حُسْنِ عَبَادِ الرِّضَا وَلَا أَلَاؤُهُ مِنْ وَجْهِهِ الْمُتَبَلِّجِ (٦)

(١) من الدَّبَجِ : النَقْشِ .

(٢) اللَّجَّةُ : مَعْظَمُ الْمَاءِ ، وَمِنْهُ بِحَرْجِي ، وَلَجَّجَ تَلْجِجًا : خَاضَ اللَّجَّةَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ (أَيْكَةُ) ثُمَّ شَطَبَتِ الْكَلِمَةَ وَكُتِبَ فَوْقَهَا (غِيدِ) وَلَعَلَّ الصَّوَابَ

مَا أَثْبَتْنَاهُ ، وَالْأَغِيدُ مِنَ الْبِنَاتِ : النَّاعِمُ الْمَشْنِيُّ .

(٤) تَصَرَّجَ بِالْدَمِّ : تَلَطَّحَ بِهِ ، وَتَضَرَّجَ النُّوَارُ : تَفْتَحُ ، وَالْحَذُّ : احْمَرَّ وَالْمَرَاةُ

تَبَرَّجَتْ .

(٥) الدَّمْلَجُ : الْمَعْضُدُ مِنَ الْجُلِيِّ .

(٦) الْمُتَبَلِّجُ : الْمَشْرُقُ الْمَضِيُّ .

وله أيضاً فيه بيتان استوليا على أمد الإحسان وهما :
 إذا مانوا ويرُ البنفسج أطلعت جواهرها في الروض نثراً بلاسلك
 رأيت سماءً وشحت درعاً حُضرة عليها نجوم طالعَات من المسك

ولأبي جعفر بن الأبار فيه قطعة جيدة الحبك حسنة السبك
 موصولة بمدح الحاجب - لا أعدمنا الله جاهه كما أعدمنا أشباهه -
 وهي :

صَادِ الزَّمَانَ وَرَوِّ غُلَّةَ صَادٍ بِمُدَامَةٍ لَمْ تَعُدْ مَوْلِدَ عَادِ
 أَوْ مَاتَرَى نَعْرَ الثَّرَى مُتَبَسِّمًا لَكَ عَنْ مَرَادِ مُونِقٍ وَمُرَادِ
 وَبَنَفْسِجِ الرَّوْضِ الْأَعْرَى كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ لَعَسَ عَلَيْهِ بَادِ
 لَابِلٌ كَأَجْنِحَةِ الْفَرَّاشِ تَأَلَّفَتْ نَسَقًا وَقَدْ خَضِبَتْ مِنَ الْفِرْصَادِ
 رَوْضٌ يَظَلُّ اللَّحْظُ يَعْبُدُ حُسْنَهُ كَعِبَادَةِ الْعَلِيَا بَنِي عَبَّادِ
 يُزْهِى الْمَحَافِلَ وَالْجَحَافِلَ مِنْهُمْ أَسْنَى عَمِيدٍ لِلْوَرَى وَعِمَادِ
 الْحَاجِبِ الْمَحْجُوبِ طَاهِرٌ عَرَضِيهِ بَنْدَى جَوَادٍ فِي الرَّهَانِ جَوَادِ
 صَلَّتَانِ مَا زَالَتْ حِدَادُ سِيَوْفِهِ وَقَنَاهُ تَكْسُو الشَّرْكَ ثُوبَ حِدَادِ (١)

قوله : صَادٍ أَوَّلُ الْقِطْعَةِ أَمْرٌ مِنْ صَادَيْتُهُ إِذَا دَارَيْتُهُ . وَصَادِ الثَّانِي
 اسْمُ الْفَاعِلِ مِنَ الصَّدَا وَهُوَ الْعَطَشُ . وَالْفِرْصَادُ الثُّوتُ . قَوْلُهُ : فِي
 الرَّهَانِ جَوَادٍ مَعْنَاهُ سَابِقٌ وَجَوَادٌ قَبْلَهُ بِمَعْنَى كَرِيمٍ . وَحِدَادُ سِيَوْفِهِ مَعْنَاهُ
 قَاطِعَةٌ مَاضِيَةٌ . وَحِدَادُ الثَّانِي لِبَسَةِ الْحُزْنِ وَهَيْئَتُهُ .

ولأبي عليّ إدريس بن اليماني فيه قطعة رفيعة الوصف بديعة
 الرّصف وهي :

(١) الصلتان : الشديد الصلب .

فُتِقَ الثَّرَى مِنْ نُورِهِ بِكَوَاكِبِ دُغَجِ النَّوَظِرِ وَالخُدُودِ عَجَائِبِ (١)
 فَأَدِرُّ عَلَيَّ الكَأْسَ بِيَذْخِيتِيَّةَ فِي دَوَلَةِ النَّجْمِ الرَّفِيعِ الثَّاقِبِ
 طَبَعَ الرِّيْعُ عَلَى بِشَاشَتِهِ بِهِ طَبَعَ الشَّيْبَةَ فَوْقَ ثَدْيِ الكَاعِبِ
 شَبَّهُ لَوْنَهُ بِلَوْنِ أَطْرَافِ الثَّدْيِ ، وَهُوَ مِنَ الْاِخْتِرَاعِ السَّرِيِّ .
 وَيَذْخِيتِيَّةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى بِيَذْخَتْ قَرْيَةٍ بِعَيْنِهَا .

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا فِيهِ بَيِّنَاتٌ أَنْ يَقَى التَّشْبِيهِ وَهَمَا :
 وَأَرِيضَةٌ حَاكٌ العَمَامُ بُرُودَهَا وَسَقَى بِرِيقِ الغَانِيَاتِ بُرُودَهَا (٢)
 ضَحِكَ البَنْفَسَجُ فَوْقَهَا فَكَأَنَّمَا نَثَرَتْ بِهِ خُضْرُ الحَمَامِ عُقُودَهَا
 شَبَّهُهُ بِلَوْنِ أَطْوَاقِ القِمَارِيِّ وَهِيَ مَوْضِعُ العُقُودِ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُهَا
 وَهَذَا التَّمْثِيلُ مَفْضَلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْهُ .

قال أبو الوليد :

هذا ما عثرت عليه في البنفسج ، وحين أوردته أبدأ بالخيرى
 التمام إذ يقرب من حسنه ويشاركه في لونه .

الخيرى التمام (٣)

أطبع ماجاء فيه وأبرع ما شبه به قول أبى مروان المرادى وهو :

(١) الدعج محرته ، والدعجة بالضم : سواد العين مع سعتها .

(٢) أرض أريضة : زكية معجبة للعين خليقة للخير .

(٣) جاء في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (١٨٢/٤ ، ١٨٣) نقلاً

عن ديسقوريدوس أن التمام صنفان بستانى فى رائحة شىء من رائحة المرزنجوش ويدب

على الأرض ، والصنف الآخر منه يرى ليس يدب فى نباته بل هو قائم وله أغصان دقاق

مملوءة ورقا .

يَنْمُ مَعَ الْإِظْلَامِ طِيبٌ نَسِيمِهِ وَيَخْفَى لَدَى الْإِصْبَاحِ كَالْمُتَسْتَرِّ (١)
 كَعَاطِرَةٍ لَيْلًا لِوَعْدِ مُحِبِّهَا وَكَاتِمَةٍ صُبْحًا نَسِيمِ التَّعْطُرِ
 هذا المعنى ابتذله الشعراءُ بَعْدَهُ وهو اخْتِرَاعٌ حَسَنٌ لَهُ .

وَلِأَيِّ عُمَرَ يُوَسِّفُ بِنَمِّ الرِّيحِ فِيهِ تَشْبِيهُ حَسَنٌ مِنْ

قصيد بديهي وهو :

انْظُرْ غَرَائِبَ لِلْخَيْرِيِّ ظَاهِرَةً عِنْدَ الظُّلَامِ وَعِنْدَ الصُّبْحِ تَسْتَرُّ
 كَأَنَّهُ سَارِقٌ طَيْبًا تَفَرَّقَ فِي الظُّلَمَاءِ فَهُوَ بِنَمِّ الرِّيحِ مُشْتَهَرٌ

وقال أبو عمر أحمد بن درّاج القسطلي يصفه في قطعة سرية

مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ الْمُظْفَرِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهِيَ :

غَدَا غَيْرَ مُسْعِدِنَا ثُمَّ رَاحَا يُسَاعِدُنَا طَرِبًا وَارْتِيَاحَا (٢)

وَحَيْرٌ فَاخْتَارَ شُرْبَ الْعُبُوقِ وَلَجَّ فَلَيْسَ يَرَى الْإِصْبَاحَا (٣)

فَإِنْ آنَسَ الصُّبْحَ نَامَ وَشَحَّ وَإِنْ آنَسَ اللَّيْلَ نَمَّ وَفَاحَا

كَمَا خَيْرَ اللَّهُ عَبْدَ الْمَلِيكِ فَاخْتَارَ فِي رَاحَتِهِ السَّمَاحَا

وَفِي صَهَوَاتِ الْخَيُْولِ الرَّجَالِ وَمِنْ أَدْوَاتِ الرَّجَالِ السَّلَاحَا

فَعَمَّ الْقَرِيبَ نَدَاً وَالْبَعِيدَ وَرَوَّى السُّيُوفَ دَمًا وَالرِّمَاحَا

وَلِأَيِّ الْقَاسِمِ بْنِ شَبْرَاقٍ فِيهِ وَصْفٌ بَدِيعٌ وَتَشْبِيهُ مَطْبُوعٌ فِي قِطْعَةٍ

مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهِيَ :

وَبِنْفُسَجِي اللَّوْنِ يَكْتُمُ طَيْبُهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ وَفِي الظُّلَامِ يَنْمُ بِهِ

فَكَأَنَّهُ ذُو مَذْهَبِ الْفَيِّ الدِّجَا سِتْرًا وَأَمْسَكَ مُصْبِحًا عَنِ مَذْهَبِهِ

(١) البيتان بدون عزو في نهاية الأرب (٢٧٣/١١) .

(٢) الأبيات في ديوان ابن دراج ٣٩ .

(٣) في الديوان (دين) .

أَوْ مُسْتَسْرٌّ عَنْ غُرَيْمٍ فَاقَةً
وَالصُّبْحُ مِنْ غُرْمَائِهِ وَأَجَلٌ ذَا
قَدْ كَانَ يَأْخُذُهُ الصَّبَاحُ بَغْفَلَةً
كَكُتَابِ الرَّعْبِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ الـ
فَتَفِرُّ قَبْلَ حُلُولِهِ عَنْهُ الْعِدَا
غَرَيْتُ لَجَاجاً نَفْسُهُ بَتَطْلُبُهُ (١)
لَكَ يَسْتَسِرُّ تَلَوِّذاً عَنْ مَطْلَبَهُ
لَوْ لَمْ يَنْمَ عَلَيْهِ مَطْلِعُ كَوَكْبِهِ
مَنْصُورَ وَهُوَ بِإِثْرِهَا فِي مَوْكِبِهِ
عِلْمًا بِأَنَّ النَّصْرَ أَمْرٌ خُصَّ بِهِ

ومن الباهر جماله الظاهر كإله قطعة لصاحب الشرطية أبي بكر
ابن القوطية موصولة بمدح أبي - أبقى الله على سيرته ورزقني بره -
وهي :

ومضرج الأثواب مسكى النفس
شرك البنفسج في الأديم فلونه
يسرى إذا طرق الظلام نسيمه
مُتَنَكِّراً حَتَّى الْمَسَاءِ وَإِنَّمَا
جِنْسٌ يَخَالِفُ كُلَّ جِنْسٍ فِي التَّعَبِ
فَتَرَاهُ طُولَ نَهَارِهِ مُتَجَرِّدًا
فَتَرَاهُ طُولَ نَهَارِهِ مُتَوَحِّشًا
أُنْسَ الْمَعَالِي بِأَبْنِ عَامِرٍ الَّذِي
أَحَى الرِّيَاسَةَ بِالسِّيَاسَةِ فَهُوَ مُفْـ
وَعَلَا فَلَمْ يَرِثِ الْعُلَى وَالْمَجْدَعْنَ
نُورٌ تَوَقَّدَ فَاسْتَبَانَ بِلَمْحِهِ
فَكَأَنَّمَا اسْتَشَقَّتْ حُلَاهُ مِنَ الْعَلَسِ
مِنْ لَوْنِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْهُ اخْتَلَسَ
وَيُظَلُّ يَكْمَنُ بِالنَّهَارِ كِذْبَى دُلَسِ
سُلْطَانُهُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ مِنَ الْحَرَسِ
رَى وَالتُّبَسِّ وَالتَّوَحُّشِ وَالْأُنْسِ
مِنْ عَرَفِهِ وَمَعَ الدِّيَاجِي مُلْتَبِسِ
فَإِذَا دَنَا وَقْتُ الظَّلَامِ لَهُ أُنْسِ
عَمِرَتْ بِدَوْلَتِهِ مَنَازِلَهَا الدُّرُسِ
صَحَّ لُكْنُهَا... (٢) بَعْدَ الْحَرَسِ
جَدَّ لَهُ نَكِيسٌ وَلَا جِدَّ تَعِيسُ
مَا كَانَ أَشْكَلَ قَبْلَ ذَلِكَ وَالتُّبَسِ

وَلِبَعْضِ الْأَنْدَلِسِيِّينَ فِيهِ مَعْرَى دَقِيقٌ وَمَعْنَى رَقِيقٌ وَقِيلَ إِنَّهُ لِعِبَادَةِ
أَبْنِ مَاءِ السَّمَاءِ وَهُوَ :

(١) من غرى بالشيء يغرى غراً وغراء : أولع به ، أولج في مطالبته .

(٢) بياض في الأصل .

وَكَانَ الْخَيْرِيُّ فِي كَتْمِهِ الطَّيِّبَ فَقِيهٌ مُغْرَى بِطُولِ رِيَاءِ
يُظْهِرُ الزُّهْدَ بِالنَّهَارِ وَيُتَمَسِّى فَاتِكَا لَيْلَهُ مَعَ الظُّرْفَاءِ

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة يصفه بأبدع وأعرب وهو :

وَرَوْضَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِكُلِّ حُسْنٍ مُفْتَرَحٍ
خَيْرُهَا بِخُلُقِهِ عَنِ كُلِّ نَوْرِ مُنْتَرَحٍ
يَكْتُمُ أَسْرَارَ الْهَوَى فَإِنَّ أَتَى اللَّيْلَ يُبْحِ
مُغْتَبِقٌ لَيْسَ يَرَى فِي دِينِهِ أَنْ يَصْطَبِحَ

ومن التشبيه العليّ قولُ الفقيه أبي الحسن بن عليّ وهو :

مَا أَكْرَمَ الْخَيْرِيُّ فِي فِعْلِهِ يَسْهَرُ إِذْ نَوَّرَ الرَّبِّيَ نَاعِسُ (١)
كَأَنَّمَا خَافَ عَلَيْهِ الْعِدَا فَهَوَّ لَهُ فِي لَيْلِهِ حَارِسُ

وقال أبو عليّ إدريس بن اليماني يصفه بوصفٍ مُتقدم الإحسان

وهو :

مَرَّشِفُ الْخَيْرِيِّ حُوَّ لُعْسُ كَأَنَّهُ قَدْ قَبَّلَتْهُ الشَّمْسُ (٢)
أَوْ نُفْسَتْ لِلْمِسْكِ فِيهِ نَفْسُ الطَّيِّبِ فِي اللَّيْلِ عَلَيْهِ حُبْسُ
وَمَا لَهُ تَحْتَ النَّهَارِ حِسُّ كَأَنَّمَا الضُّوْءُ عَلَيْهِ حَبْسُ

قوله : قَبَّلَتْهُ الشَّمْسُ يَعْنِي أَنَّ لَوْنَهُ كَلَوْنِ مَنْ أَثَرَتْ فِيهِ الشَّمْسُ

وإلى هذا أشار وإليه أراد .

وَلَهُ أَيْضاً فِيهِ تَشْبِيهُ عَجِيبٌ أَنْشَدْنِيهِ وَهُوَ :

أَهْلًا بِسَارٍ طَيْبُهُ لَا سَارِبُ أَضْحَى هَوَاهُ مُضْرَبًا بِضُرَائِبِ

(١) البيتان بدون عزو في نهاية الأرب (١١ / ٢٧٢) .

(٢) الْحَوَّةُ : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة تضرب إلى السواد ، واللَّعْسُ

بالتحريك : سواد مستحسن في الشفة .

يَانَا جِمَ الْخَيْرِيَّ جَادَكَ كُلُّ ذِي ثَغْرِ لَجِيْبِ الدَّجْنِ فَوْقَكَ جَائِبِ (١)
 أَعْطَيْتَ أَنْفَاسَ الْحَبِيبِ مُعْطَرًا وَخُلِقْتَ مِنْ خِيْلَانِ ثَوْبِ الْكَاتِبِ
 وَمِمَّا كَثُرَ شَعْفُ أَهْلِ الْمِيزِ بِهِ وَاسْتِحْسَانِ ذَوِي الْفَهْمِ لَهُ قَوْلُ أَبِي
 جَعْفَرِ بْنِ الْأَبَّارِ وَهُوَ :

لَا تَعْدُلُوا الْخَيْرِيَّ فِي كَتْمِهِ الْـ طِيبِ اسْتِتَارًا فَهُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ
 الصُّبْحُ شِبْهُ الشَّيْبِ فِي لَوْنِهِ فَعَافُهُ وَاللَّيْلُ شِبْهُ الشَّبَابِ
 وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِيهِ أَبُو بَكْرُ بْنُ نَصْرِ أَيْبَاتًا مَطْبُوعَةً تَضَمَّنَتْ
 أَوْصَافًا بَدِيعَةً وَهِيَ :

أَحِبُّ مِنَ الْأَخْوَانِ نَدْبًا مُبَادِرًا نَقِيَّ الْحُلَى مِمَّا يُدْتَسُّ طَاهِرًا (٢)
 يُلِمُّ بِلَيْلٍ لِلْمُدَامِ مُنَادِمًا وَيَنْفِضُ عَنِّي حِينَ يُصْبِحُ سَائِرًا
 وَرَيْحَانُنَا الْخَيْرِيَّ مُحْضًا فَإِنِّي تَخَيَّرْتُهُ بَيْنَ التَّوَاوِيرِ نَاضِرًا
 لِمَا أَنَّهُ يُضْحِي مِنَ الْعَرْفِ عَاطِلًا نَهَارًا وَيُمْسِي مُدَّةَ اللَّيْلِ عَاطِرًا
 كَانَ لَهُ لَفٌّ الْأَرِيْبِ فَمَا يَرَى مُشَاهِدَةَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُسَاهِرًا

قال أبو الوليد : وَبَعَثَ إِلَيَّ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْعَثْمَانِي
 مُطِيبٌ خَيْرِيٌّ مُبَكِّرٌ وَكُتِبَ مَعَهُ قِطْعَةٌ نَثْرٍ مُقْتَطَعَةٌ مِنَ السَّحْرِ وَهِيَ بَعْدَ
 صَدْرِهَا :

بَعَثْتُ بِخَيْرِيٍّ جَاوَزَ حَدَّ التَّكْبِيرِ بِأَنْسِيهِ ، فَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي
 أَبْنَاءِ جِنْسِيهِ مَنْظَرُهُ أَرَبِيٌّ عَلَى الْمِسْكِ بِنَضْرَتِهِ وَمَخْبِرُهُ ، قَصَّرَ عَن
 شِيْمِكَ عَلَى بَسْطَتِهِ . فَاقْبَلْهُ بِحَقِّ الْمَجْدِ عَلَيْكَ ، وَوَسَائِلِ الْحَمْدِ إِلَيْكَ

(١) الدَّجْنُ : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، والمطر الكثير .

(٢) التَّدْبُ : الخفيف في الحاجة الظريف التحجيب .

بَهْجًا مَنْظَرُهُ أَرْجًا مَخْبَرُهُ ، إِذَا دَنَا الظَّلَامُ ، وَنَامَ الأَنَامُ إِلَّا مَنِ اسْتَدْعَى
عَرْفَهُ ، وَاسْتَجْدَى عَرْفَهُ (١) .

فَجَاوَبْتُهُ وَالْجَوَابُ بَعْدَ صَدْرِهِ :

فَلَمَّا تَعَاهَدْتَ خَيْرِيكَ عِهَادُ (٢) شِيمِكَ ، وَدَامَتْ عَلَيْهِ دِيمِ
كَرْمِكَ . بَكَرَ مُتَنَعِمًا مِنْهَا مُتَنَفِّسًا عَنْهَا ، وَلَا نِدَّ لَهُ إِلَّا النَّدَّ ، وَلَا مَسَكَ
لَهُ إِلَّا الْمَسَكَ ، وَقَدْ قَبَضْتُهُ مَشْغُوفًا بِهِ ، مُسْتَلِدًا بِقُرْبِهِ ، مُتَعَجِّبًا مِنْ
حُسْنِ اخْتِيَارِهِ لِاسْتِيَارِهِ بِاسْتِهْتَارِهِ تَحْتَ جَنَاحِ الظَّلَامِ لِيَسْلَمَ مِنْ
الْجَنَاحِ (٣) وَالْمَلَامِ وَقَدْ صَنَعْتُ فِيهِ أَيْبَاتًا بَدِيهَةً مُتَأَخِّرَةً فَأَغْضَى عَلَى
مَا فِيهَا مُحْسِنًا إِلَى مُهْدِيهَا . وَهِيَ :

نَهَارُ خَيْرِيكَ فِي لَيْلِهِ كَذَلِكَ اللَّيْلُ نَهَارُ الأَدِيبِ
يَنُمُ فِيهِ وَيَنَامُ الضُّحَى تَصَاوُنًا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مَغِيبِ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ حَبِيبٌ لَهُ فَهُوَ إِذَا حَلَّ اكْتَسَى كُلَّ طَيْبِ
كَأَنَّمَا الصُّبْحُ رَقِيبٌ لَهُ فَيَرْعَوِي عِنْدَ طُلُوعِ الرَّقِيبِ

النِّدَّ المِثْلُ . وَالنَّدُّ الطَّيْبُ . وَالْمَسَكَ الجِلْدُ .

(١) من المثلث العَرَفَ بالفتح : الرائحة طيبةً كانت أو خبيثةً - وأكثر ما يستعمل
في الرائحة الطيبة ، والعُرْفَ بالضم : المعروف ، وبالكسر : الصبر وانظر كتاب المثلث
للبلطيموسى (٢٥٥/٢ ، ٢٥٦) .

(٢) العِهَادُ : الحديث من المطر .

(٣) الجناح بالفتح : من معانيه الجناح والكنف والناحيته ، والجناح من الليل :
الطائفة ، وبالضم : الإثم .

قال أبو الوليد :

أَكْثَرُ مَا وُصِفَ مِنَ الْخَيْرِيِّ هَذَا النَّمَامُ وَقَلَّمَا مَا وُصِفَ الْأَصْفَرُ
وَأَنَا ذَاكِرٌ مَا وَقَعَ إِلَيَّ فِيهِ .

الخيري الأصفر (١)

من ذلك قول أبي عُمر القسطلِّي :

أَعَارَهُ النَّرْجِسُ مِنْ لَوْنِهِ تَفَضُّلاً وَازْدَادَ مِنْ طِيبِهِ (٢)
وَنَاسَبَ النَّمَامَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى اسْمِهِ الْأَذْنَى وَتَرَكِيهِ
وَمَا يُجَارِي وَاحِداً مِنْهُمَا إِلَّا كَبَا فِي حِينِ تَقْرِيهِ (٣)

وأحسن من هذا قول الفقيه أبي الحسن بن علي وهو :

كَأَنَّمَا الْخَيْرِيُّ مُسْتَهْتَرٌ بِالْحُبِّ قَدْ أَنْحَلَهُ الْعِشْقُ
صُفْرَتُهُ تَنْطِقُ عَنْ حَالِهِ وَرُبَّ حَالٍ دُونَهَا النَّطْقُ
أَعَارَهُ الْمُزْنَ رِداءَ النَّدى وَصُفْرَةَ الْمُتَشَجِّحِ الْبَرْقُ
مَا أَوْجَهُ اللَّذَاتِ مَحْجُوبَةً إِذَا تَبَدَّى وَجْهُهُ الطَّلْقُ

وحين أحضرنا ما في الخيري له أزهراً نبدأ بالنرجس الأصفر .

(١) الخيري : هو النبات المعروف بالمشور ، ونقل ابن البيطار في كتابه الجامع
لمفردات الأدوية والأغذية (٨٢/١) عن ديسفور بدوس ما يفيد أن الخيري نبات له زهر
مختلف بعضه أبيض وبعضه فرفيرى وبعضه أصفر . وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ٥٩ .

(٢) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلِّي ٤٠ .

(٣) في الديوان (ريج) .

الترجس الأصفر (١)

قال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور (٢) - رحمه الله -
يصفه فأبدع وأعجب وأحسن وأغرب أشدنيه له حفيده عبد الله .
وهو :

إصفر حتى كان الألف يهجره وطاب حتى كان المسك ينثره
واخضر أسفله من تحت أصفره فراق منظره الباهي ومخبره
يانترجسا ظل قدامي تنم له ريح تذكرني شوقى فأذكره
زمرذ مائل من فوقه ذهب معين نابه منه ومخجره (٣)
هيجت لي شجنا قد كان فارقتي ذكرنتي بالذي مازلت أوثره

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري إلى المنصور أبي
عامر - رحمهما الله - عن ترجس العامرية في أول يوم من كائون
الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة فأبدع واخترع وهو :
حيثك يا قمر العلى والمجلس أزكى تحيتها عيون الترجس (٤)

(١) الترجس : نبات له ورق يشبه بورق الكراث إلا أنه أدق منه وأصغر بكثير ،
وله ساق جوفاء عليها زهر أبيض في وسطه شىء لونه أصفر ، وهو طيب الرائحة . الجامع
لمفردات الأدوية والأغذية (١٧٩/٤) وانظر النبات لأبي حنيفة الدينورى تحقيق محمد حميد
الله ٣٢٥ ولفظة الترجس من الألفاظ الفارسية المعربة ، وأورد الجواليقى في المعرب ص ٥٩
هذه الكلمة ضمن القاعدة التى تقول ليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ،
وانظر أيضا المعرب ص ٣٧٩ .

(٢) أبو مروان عبد الملك بن جهور وزير جليل وأديب شاعر كاتب فى أيام
عبد الرحمن الناصر . جذوة المقتبس ٢٨٢ ، وبغية الملتبس ٣٦٥ رقم ١٠٦١ والحلة
السيرة (٢٣٣/١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣) ونفح الطيب (٥٦/١ ، ٣٨١ ، ٣٩٧) ومطمح
الانفس ١٦٨ ، والبيان المغرب (١٥٨/٢ ، ١٧١) .

(٣) معين : يقال عيّن الشجر : نَظَرَ ونَوَّرَ ، والمحجر : الحديقة .

(٤) الأبيات (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦) فى نفح الطيب (٥٣١/١) .

زُهرًا تُريك بشكلها وبلونها
 طَلَعَتْ مَطَالِعَهَا عَلَى مُحَضَّرَةٍ
 فَتَرَيْنَتْ حُسْنًا أَمَّ تَزِينِ
 وَمَلَكَنَ أَفْئِدَةَ النَّدَامَى كُلَّمَا
 مَلَكَ الْهَمَامِ الْعَامِرِيَّ مُحَمَّدٍ
 لَيْسَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ مِنْ عَهْدِهِ
 فَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى الثَّنَاءِ فَقَفُّهُ مِنْ
 زُهرَ النجوم الجارِيَاتِ الكُنُسِ (١)
 من سُوْقِهَا كُسِيَتْ بُرُودَ السُّنْدُسِ (٢)
 وَتَنَفَّسَتْ طِيْبًا أَلَّذُ تَنَفَّسِ
 دَارَتْ بِمَجْلِسِهِمْ مَدَارَ الْأَكُوسِ
 لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلنَّهْيِ وَالْأَنْفُسِ
 وَفِعَالِهِ الْمَشْكُورِ أَكْرَمَ مَلْبَسِ
 بَيْنَ الْأَنَامِ عَلَى عُلاَهُ وَاحْبِسِ

ولأبي عُمَرَ الْقَسْطَلِي فِيهِ قِطْعَةٌ بَدِيعَةٌ تَضَمَّنَتْ أَوْصَافًا رَفِيعَةً

مُوصُولَةٌ بِمَدْحِ الْمَظْفَرِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ وَهِيَ :

شَكَالَانَ مِنْ رَاحٍ وَرَوْضَةَ نَرْجِسٍ
 مُتَبَاهِيَيْنِ تَلُونَا بَتَلُونِ
 فَكَأَنَّهَا مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ تَلْتَضِي
 يَأْمَنُ عَلاَ مِنْ رُتْبَةٍ فِي رُتْبَةٍ
 وَابْنِ الَّذِينَ هُدَاهُمْ وَنُهَاهُمْ
 يَتَنَازَعَانِ الشَّيْبَةَ وَسَطَ الْمَجْلِسِ (٣)
 مُتَبَارِعَيْنِ تَنَفَّسًا بِنَفْسِ
 وَكَأَنَّهُ مِنْ طَيْبِ خُلُقِكَ يَكْتَسِي
 حَتَّى غَدَاوَسَطَ النَّجُومِ الْخُنُسِ (٤)
 أَدَبُ الْمُلُوكِ وَأَسْوَةٌ لِلْمُؤْتَسِي (٥)

(١) الكنس : النجوم تطلع جارية ، وكنوسها أن تغيب في مغاريها التي تغيب فيها .

(٢) السندس : رقيق الديباج ، وجزم الجوالقي في المعرب ٢٢٥ أن الكلمة من قبيل المعرب في حين أنها قد وردت في القرآن فما يؤكد عربيتها كما أشار الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على المعرب .

(٣) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلی ٣٨ ، ٣٩ في وصف النرجس .

(٤) النجوم الخنس : قيل هي الدراري الخمسة تخنس في مجراها وهي زحل ، والمشتري ، المريخ ، والزهرة ، وعطارد لأنها تخنس في مجراها حتى تختفي تحت ضوء الشمس ، وقيل هي الكواكب كلها لأنها تخنس في المغيب أو لأنها تختفي نهراً .

(٥) يقال : أسأه تأسية فتأسى : عزاه فتعزى ، واتسى به : جعله أسوة .

وَمِنْ أَنْفَسٍ مَامَلَحَ بِهِ فِي النَّرْجِسِ قِطْعَةً لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي
الْأَصْبَغِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَنَعَهَا بِدَيْهَةٍ بَيْنَ يَدَيْ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَمْرٍو
عَبَّادٍ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ اعْتِلَاءَهُ - وَكَانَ يَلْبَسُ ثَوْبًا رَفِيعَ الْقَدْرِ
نَرْجِسِيَّ اللَّوْنِ وَهِيَ :

رَأَيْتُ عَبَّادًا لَهُ مَلْبَسٌ	فِي حَشْوِهِ الْجُودُ مَعًا وَالكَرَمُ
فَقُلْتُ سُبْحَانَ الْعَزِيزِ الَّذِي	أَوْدَعَ ذَا الثَّوْبِ رَفِيعَ الْهِمَمِ
أَرُوغَ فِي سُودَدِهِ سَابِقًا	أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ بَادِي الشَّمَمِ (١)
كَأَنَّمَا صُفْرَةُ أَثْوَابِهِ	وَطَيْبِهَا نَرْجِسُهُ إِذْ تُشَمُّ
قَدْ كُنْتَ يَا نَرْجِسُ مِنْ قَبْلِ ذَا	تَبَخَسُ مِنْ حَقِّكَ مَا قَدْ عَلِمَ
فَالآنَ فَافْخَرْ فِي جَمِيعِ الْوَرَى	عَلَى النَّوَابِرِ وَحَاشَاكَ ذَمُّ
بِعِزِّ مَنْ قَدْ حَزَّتْ تَشْرِيفُهُ	وَفَضْلٍ مَنْ لَا فَارِقَتَهُ النَّعَمُ

وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ الْفَقِيهِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ فِي النَّرْجِسِ الْكَبِيرِ
الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ الْقَادُوسِيَّ تَشْبِيهًا بِالْقَادُوسِ عَلَى لَغْتِهِمْ وَصَوَابُهُ
الْقَدْسُ أَيْبَاتًا رِقَاقًا تَضَمَّنَتْ مَعَانِي دِقَاقًا مَوْصُولَةً بِمَدْحِ الْحَاجِبِ سِرَاجِ
الدُّنْيَا الثَّاقِبِ وَهِيَ :

فِي النَّرْجِسِ الْقَدْسِيِّ النَّوْرِ وَالْقَصْبِ	حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ تَرْبِيئِهِ فِي النَّسَبِ (٢)
لَهُ مِنَ الثَّبْرِ كَأَنَّ قَاعَهُ لِحَجِّجٍ	مُوسَعٌ الْعُلُوِّ قَدْ أَبْدَاهُ لِلْعَجَبِ (٣)

(١) الأروغ : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته .

والشَّمَمُ محرّكة : القرب والبعد من الأضداد ، وارتفاع في الجبل وارتفاع في قصة الأنف
وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة ، والأشَمُ : السيد ذو الأنفة .

(٢) التُّرْبُ بالكسر : اللدّة والسُّنُّ ومن ولد معك .

(٣) لِحَجِّجٍ ككتف : ضيق والملاحج المضايق .

مَشْمٌ طيبٌ إِذَا اسْتَنْشَيْتَ زَهْرَتَهُ وظرفٌ أَنَسٌ إِذَا مَاشَيْتَ لِلنُّحْبِ
ومائِلُ الجِيدِ مِنْ سَكْرِ النِّعَمِ بِهِ حَكَى ثِنَى الثَّمَلِ المَشغُوفِ بِاللُّعْبِ (١)
كَغَادَةِ ثُوبِهَا مِنْ سُنْدَسٍ طَلَعَتْ للشَّرْبِ فِي كَفِّهَا كَأْسٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَكَيْفَ يَعْقِلُ حَظَّ النِّفْسِ مِنْ طَرَبِ مِنْ كَانَ يَلْحَظُ هَذَا الحَسْنَ مِنْ كَثَبِ
ثُمَّ دَخَلَ إِلَى المَدْحِ فَقَالَ :

يَا حَاجِبَا رُقِمَتْ فِي الكَتَبِ سِيرَتُهُ بِالْحَبْرِ وَانْتَقَشَتْ بِالتَّبْرِ فِي القَضْبِ
وَيَا عِمَاداً لَهُ يَوْمًا نَدَى وَوَعَى ذَا لِلْأَيْدَى وَذَا لِلْبِيضِ وَالْيَلْبِ (٢)
إِنْ دُمْتَ لِلْعُجْمِ لَمْ يُعْجِمْ لَهَا خَبْرٌ وَأَعْرَبَ السَّعْدُ بِالإِقْبَالِ لِلعَرَبِ

قوله : حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ تَرْبِيَهُ يَعْنِي التَّرْجِسَ الأَصْفَرَ المَعْرُوفَ ،
والتَّرْجِسَ المُسَمَّى بِالبَهَارِ . وَقَوْلُهُ : قَاعُهُ لِحْجُ اللَّحِجِّ الضَّيِّقِ وَلَمْ أَرَّ لِأَحَدٍ
قَبْلَهُ فِي هَذَا الصَّنِيفِ مِنَ التَّرْجِسِ وَصِفًا وَهُوَ مَعْدُومٌ عِنْدَنَا بِأَشْبِيلِيَّةَ .

وَكَانَ كَتَبَ إِلَى مَعَ هَذِهِ القِطْعَةِ بَيِّنِينَ وَهُمَا :

إِسْئَلُ أبا عَامِرٍ عَنْهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ تَسْئَلُ خَبِيرًا بِمَعْنَى الظَّرْفِ والأَدَبِ
إِنْ صَارَ قَوْمٌ إِلَى قَصْفٍ عَلَى مَهَلٍ طَوَاهُمُ بِخَطَا التَّقْرِيبِ وَالحَبَبِ

وَقَالَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ أَبُو بَكْرٍ بِنِ القَوَاطِيَةِ يَصِفُهُ فِي أُبْيَاتٍ وَهِيَ :

(١) الثَّمَلُ مَحْرَكَةٌ : السَّكْرُ تَمِيلُ كَفِرْحٍ فَهُوَ ثَمَلٌ .

(٢) الِيبُ مَحْرَكَةٌ : التَّرْسَةُ ، أَوْ الدَّرُوعُ مِنَ الجُلُودِ ، وَالفُؤُلَادُ وَخَالِصُ الحَدِيدِ .

زَبْرَجْدٌ فَوْقَهُ نُضَارٌ مُحَلَّصٌ لَمْ تُذْبِهُ نَارٌ
 كَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ كَرَاهٍ وَسَنَانٌ أَوْ شَفَّهَ انْكِسَارُ
 وَطَابَ عِنْدَ الْمَشَمِّ حَتَّى لِلْمَسْكِ مِنْ بَيْنِهِ انْتِثَارُ
 قَدْ شَارَكَ الدَّهْرَ فَهُوَ لَيْلٌ وَافَاهُ مِنْ صُبْحِهِ اصْفِرَارُ
 فَأَوَّلُ الْخَلْقِ مِنْهُ لَيْلٌ وَمُنْتَهَى خَلْقِهِ نَهَارُ
 أَبْدَعَهُ فِي الرِّيَاضِ مُنْشِي لَهُ عَلَى الْخَلْقَةِ اقْتِدَارُ

شَبَّهَ خُضْرَةَ سُوْقِهِ بِسَوَادِ اللَّيْلِ وَالْخُضْرَةَ وَالسَّوَادَ عِنْدَ الْعَرَبِ

بِمَنْزِلَةٍ .

وَيَقْرُبُ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ مَا أَنْشَدْنِيهِ لِنَفْسِهِ فِيهِ الْفَقِيهُ

أَبُو الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ :

أَرَى النَّرْجِسَ التَّبْرِيَّ يَعْنُوهُ الْفِكْرُ وَيَقْصُرُ عَنْ أَوْصَافِهِ النِّظْمُ وَالنَّشْرُ
 كَانَ الدُّجَا قَدْ صَاغَ خُضْرَةَ ثَوْبِهِ وَالْقَى عَلَيْهِ حُسْنَ صُفْرَتِهِ الْفَجْرُ
 تَخَالَ بِهَ فِي الرَّوْضِ أَقْيَالَ مَعْشَرٍ ثِيَابُهُمْ خُضْرٌ وَتِيَجَانُهُمْ صُفْرٌ (١)
 يُحْيِيكَ بِالتَّائِنِسِ رَوْنُقٌ حُسْبِيهِ وَيَلْقَاكَ مِنْهُ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ النَّشْرُ (٢)

قال أبو الوليد :

وَلِي قِطْعَةٌ فِي النَّرْجِسِ مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ عَبَّادٍ -
 وَصَلَّ اللَّهُ حُرْمَتَهُ وَأَطَالَ مُدَّتَهُ - وَهِيَ :

وَرَوْضٍ أَرِيضٍ لَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي بِمَا يَرُوحُ عَلَيْهِ مِنْ سَحَابٍ وَيَغْتَدِي (٣)
 بَدَا النَّرْجِسُ الْمُصْفَرُّ فِيهِ مُبَاهِيًا بِلَوْنِ كَلَوْنِ الْمُسْتَهَامِ الْمُسَهَّدِ

(١) القَيْلُ كَفَيْعِلُ : الْمَلِكُ أَوْ مِنْ مَلُوكِ حَمِيرٍ ، أَوْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى سُمِّيَ بِذَلِكَ

لأنه يقول ما شاء فينفذ .

(٢) النَشْرُ : الرِّيحُ الطَّيْبَةُ .

(٣) يُقَالُ أَرْضٌ أَرِيضَةٌ : زَكِيَةٌ مَعْجَبَةٌ لِلْعَيْنِ خَلِيقَةٌ لِلْخَيْرِ .

ترى كلَّ نورٍ منه فوقَ قضيبِهِ كلمةٌ تبرُّ فوقَ جيدِ زبرجِدِ
 إذا ماسرى منه نسيماً لوالهِ سرى عنه جلابُ الجوى المتوقدِ (١)
 حكى منظرًا نصرًا وخبرًا خلائقِ السنجيبِ أبى عمرو سليلِ مُحَمَّدِ
 فداهُ عِداهُ كم له من فضيلةٍ وفضلِ ندى يُغنى به كلُّ مُجتدى
 قال أبو الوليد :

هذا ما جمَعْتُهُ فى التَّرجِسِ وَيَجِبُ أَنْ نَبْدَأَ بِذِكْرِ الْوَرْدِ وَنُورِدُ مَا
 وَقَعَ إِلَيْنَا فِيهِ مِنْ تَمْثِيلِ حَسَنِ وَتَشْبِيهِ .

الورد

لم يُوجِبْ تَأخِيرَ أَمْرِهِ وَلَا وُلْدَ إِرْجَاءَ ذِكْرِهِ تَأَخَّرُ مَنْزِلَتِهِ
 وَلَا انْحِطَاطُ رَتَبَتِهِ وَإِنَّمَا بَنِينَا أَنْ نُقَدِّمَ مِنْ تَقَدُّمِ بِهِ زَمَانُهُ وَنَبْدَأَ بِمَنْ بَكَرَ
 أَوَانُهُ وَقَدْ مَضَتْ مَشَاهِيرُ الْأَنْوَارِ الْمُبَكَّرَةِ الَّتِي كَثُرَ الْقَوْلُ فِيهَا وَتَرَدَّدَ
 الْوَصْفُ لَهَا .

فَمِنَ الْمُسْتَنْدَرِ فِي الْوَرْدِ قَوْلُ الْحَاجِبِ أَبِي الْحَسَنِ جَعْفَرِ بْنِ عَثْمَانَ
 الْمُصْحَفِيِّ وَقَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ الْوَزِيرُ زِيَادُ بْنُ أَفْلَحَ (٢) وَرَدًّا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ رِيَّةٍ
 فِي شَهْرِ كَانُونِ الْآخِرِ . وَهُوَ - أَعْنَى قَوْلِ الْمُصْحَفِيِّ - :

(١) الوله محرّكة : الحزن ، أو ذهاب العقل حزنا .

الجوى : هوى باطن ، والحزن .

(٢) هو زياد بن أفلح الناصرى من موالى الخليفة الحكم المستنصر بعث به فى
 كتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى صاحب مدينة سالم سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ،
 وكان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها : نفع الطيب (٣٨٨/١) والحلة السيراء
 . (٢٧٨/١) .

لعمرك ما في فطرة الروض قدرة تُحيل بها مجرى الزمان عن الحدِّ (١)
ولكنما أخلاقك الغرُّ نبهت بربعك في كانون نائمة الورد
كأنك قد أمطرتها ديمة المجد وأجريت في أغصانها كرم العهد

فلما وصل هذا النظم المستملح إلى زياد بن أفلح بعث إليه
بوردة كان احتبسها لنفسه فكتب إليه ثانية بيتين وهما :
فاجاني كانون بالورد فزادني وجداً إلى الوجد
ورد العلى أهدي لنا وردة يا حبذا الورد من الورد
ومن السرى السنى قول الوزير الكاتب أبي مروان الجزيري - رحمه
الله - :

أهدى إليك تحية من عنده زمن الربيع الطلق باكراً ورده (٢)
يحكى الحبيب سرى لوعد محبه في طيب نفتحته وحمرة خده

وكتب أيضاً أبو مروان إلى الوزير أبي مروان عبد الملك بن شهيد
في أخريات أيام الورد بأبيات أنيقة الصفات وهي :
قل للوزير الذي جلت فضائله فسّر لنا شرح معنى سائله
وأي وصليه موجوداً ومفتقدي أولى وأجدد أن تُرعى وسائله
وقد أتاك لتوديع على عجل حضراً مقانعه حُمرًا غلائله (٣)
فامنحه منك قبولا واقض نهمته من الوداع فقد شدت رواحله (٤)

(١) البيتان الأول والثاني في الحلة السيرة (٢٦٢/١) لجعفر المصحفي وفي الحلة

(عن القصد) .

(٢) البيتان في التشبيهات من أشعار الأندلس ٥١ لعبيد الله بن إدريس .

(٣) الغلالة : ما يلبس تحت الثوب .

(٤) النهمه : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

لَا زِلْتَ دَهْرَكَ مَحْبُوبًا زِيَارَتُهُ إِذَا انْقَضَى عَامُهُ وَاغَاكَ قَابِلُهُ
وَبَلَّغْنِي أَنَّ الْوَزِيرَ ابْنَ شُهَيْدٍ جَاوَبَهُ بِأَيَّاتٍ لَمْ تَقَعْ إِلَيَّ وَلَا وَرَدَتْ
عَلَيَّ .

وَأَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ مَسْلَمَةَ لِلْوَزِيرِ أَبِيهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
- أَيْبَاتًا مَطْبُوعَةً كَتَبَ بِهَا إِلَى الْوَزِيرِ عَيْسَى بْنِ سَعِيدٍ (١) يَسْتَدْعِيهِ إِلَى
الْفَصْدِ تَضَمَّنَتْ وَصْفًا حَسَنًا لِلْوَرْدِ وَهِيَ :

مَا يَطِيبُ التَّفَجِيرُ دُونَ صَدِيقٍ مُمَحِضٍ مُخْلِصٍ شَقِيقٍ شَفِيقٍ
وَقَدْ اخْتَرْتُهُ نَهَارًا بَهِيًّا كَمُحْيَاكَ مُسْتَتِيرٍ الشُّرُوقِ
عِنْدَنَا الْوَرْدُ قَدْ تَأَلَّفَ مِنْ لَوْنِ نَيْنِ لَوْنِ الْمَاهَا وَلَوْنِ الْعَقِيقِ (٢)
كَخُدُودٍ تَبَرَّقَعَتْ بِحِيَاءٍ فَوْقَ دِيَابِجِهَا الْأَيْقِيقِ الدَّقِيقِ
فَتَفَضَّلْ وَخِفْ نَحْوَ صَدِيقٍ أَنْتَ فِي نَفْسِهِ أَجَلُ صَدِيقٍ

وَنَزَلَ أَبُو عُمَرَ يَوْسُفُ بْنُ هَارُونَ الرَّمَادِيُّ عَلَى بِنِي أَرْقَمَ بُوَادِشَ
فَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِيمَا أُكْرِمَ بِهِ طَبَقُ وَرْدٍ وَكَانَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ فَاسْتَعْرَبَهُ ثُمَّ أَخَذَ
مِنْهُ وَرْدَةً وَاحِدَةً وَقَالَ بَدِيهَةٌ :

يَا خُدُودَ الْحُورِ فِي إِخْجَالِهَا قَدْ عَلَتْهَا حُمْرَةٌ مَكْتَسِبَةٌ
اغْتَرَبْنَا أَنْتِ مِنْ بَجَانَةٍ وَأَنَا مُعْتَرِبٌ مِنْ قُرْطَبَةٍ (٣)

(١) هو الوزير عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بالقطاع كان وزيراً للمنصور
محمد بن أبي عامر، ثم لابنه المظفر. الحلة السرياء (٢/٥) والذخيرة القسم الرابع المجلد
الأول ٥٠، ٥١، والمغرب (٢٠٥/١) والبيان المغرب (٢٧/٣).

(٢) المها: اللؤلؤ، أو الدر، أو البلور.

(٣) بجانة: بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة مدينة بالأندلس وانظر

التعريف بها بشكل مفصل في الروض المعطار ٧٩ أما قرطبة فمعروفة مشهورة.

وَاجْتَمَعْنَا عِنْدَ إِخْوَانٍ صَفَاءً بِالنَّدَى أَمْوَالَهُمْ مُنْتَهَبَةً
عُصْبَةٌ إِنْ سُئِلَتْ عَنْ نِسْبَةٍ فإِلى أَرْقِمِهَا مُنْتَسِبَةً
إِنَّ لَثْمِي لَكَ قُدَّامَهُمْ لَيْسَ فِيهِ فَعْلَةٌ مُسْتَعْرَبَةٌ
لِاجْتِمَاعٍ فِي اغْتِرَابٍ بَيْنَنَا قَبْلَ الْمُعْتَرِبِ الْمُعْتَرَبَةِ

وَمَا يُسْتَحْسَنُ فِيهِ وَتُسْتَمْلَحُ مَعَانِيهِ قِطْعَةٌ لِأَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ دِرَاجٍ

الْقَسْطَلِيِّ مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ الْمُظْفَرِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهِيَ :

ضَحِكَ الزَّمَانُ لَنَا فَهَاكَ وَهَاتِهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ الْوَرْدَ فِي شَجَرَاتِهِ (١)
قَدْ جَاءَ بِالتَّارِيخِ مِنْ أَغْصَانِهِ وَبِخَجَلَةِ الْمُعْشُوقِ مِنْ وَجَنَاتِهِ (٢)
وَكَسَاهُ مَوْلَانَا غَلَائِلَ سَيْفِهِ يَوْمًا يُسْرِبُهُ دِمَاءَ عُدَاتِهِ
مِنْ بَعْدِ مَا نَفَحَ الْحَيَا مِنْ رُوجِهِ فِيهِ وَعَرَفُ الْمِسْكَ مِنْ نَفَحَاتِهِ
إِنْ كَانَ أَبْدَعَ وَاصِفٌ فِي وَصْفِهِ فَلَقَدْ تَقَاصَرَ عَنْ بَدِيعِ صِفَاتِهِ
كَمَدِيحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَعْلَى الَّذِي أَعْيَا فَأَعْيَا فِي مَدَى غَايَاتِهِ (٣)
مَلِكٌ يَنْمُ الْجُودُ فِي لِحْظَاتِهِ وَالْيَمْنُ وَالْإِيمَانُ فِي عَزَمَاتِهِ
وَحَيَاتِهِ إِنْ كَانَ أَبْقَى حَاجَةً لِمَنْ ارْتَجَاهُ غَيْرَ طُولِ حَيَاتِهِ

وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ شَبْرَاقٍ فِي وَرْدَةٍ لَمْ تَفْتَحْ وَصْفٌ حَسَنٌ

مُسْتَمْلَحٌ :

(١) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلبي ٤٠ ، ٤١ .

(٢) كذا في الأصل وفي الديوان (بالنارنج) ولعل ذلك هو المناسب والنارنج : شجرة معروفة ورقها أملس لين شديد الخضرة يحمل حملاً مدوراً أملس في جوفه حماض كالأترج وهي شبيهة بشجر الأترج جداً ووردها الأبيض طيب الرائحة . الجامع لمفردات الأدوية (١٧٤/٤) .

(٣) في الديوان (أعيا فأعيا) بالعين المهملة في الكلمتين ، والأولى بمعنى أعجز

الناس عن إدراكه ، والثانية من العي وهو الحصر والعجز عن التعبير كما أشار محقق الديوان .

خَجَلَتْ إِذْ تَأَمَّلَتْهَا الْعُيُونُ حَجَلًا فِي أَحْمَرِهَا يَسْتَبِينُ
 وَرَدَّةٌ وَرَدَتْ دُمُوعِي شَوْقًا لِلَّتِي حَاذَهَا بِهَا مَقْرُونُ
 بِنْتُ غَصَنٍ يُقَرُّ بِالكَرْمِ الدَّهْرُ لَهَا فِي رِيَاضِهَا وَالْغُصُونُ
 وَاسْتَسْرَتْ عَنِ الْعُيُونِ حَيَاءً وَعَرَا عَرَفَهَا الذَّكِيُّ سَكُونُ
 سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِبُرْقِعِهَا وَاسْتَقْبَلْتَنَا مِنَ الْفُتُونِ فُنُونُ
 كَالْفَتَاةِ الْحَيَّةِ انْتَقَبَتْ كَيْ لَا يُرَى وَجْهَهَا الْجَمِيلُ الْمَصُونُ

وكتب الوزير أبو عامر بن مسلمة إلى ذي الوزارتين أبي عمرو
 عبَّادٍ - أعزه الله وأحسن ذكراه - في زمن الوردِ يصفه فأحسن الوصف
 وأبدع التشبيه أنشدنيه وهو :

عَبَّادُ يَا خَيْرَ الْوَرَى وَمَنْ بِهِ تَزْهَى الْمِدْحُ
 يَأْقَمَرُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَا سَمَاءً وَرَجَّحَ
 أَمَا تَرَى الْوَرْدَ وَقَدْ رَنَا بِطَرْفٍ وَلَمَّحَ
 كَأَنَّهُ دَمٌ جَرَى عَلَى طَلِيٍّ بِيضٍ وَضُحْ (١)
 أَوْ خَدٍّ غَضِيٍّ عَضَهُ لِحْظٌ مُجِبٌّ فَانْجَرَحَ
 كَأَنَّمَا نَسِيْمُهُ عَنْ خُلُقٍ مِنْكَ نَفَّحَ

وبعث الفقيه أبو الحسن بن عليّ بورْدٍ مُبَكِّرٍ فِي سُبَاطِ (٢) إِلَى
 ذِي الْوَزَارَتَيْنِ الْقَاضِي - أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَدَّلَ عِدَاهُ - وَكَتَبَ مَعَهُ :
 لِيَهْنَعَكَ يَا وَاحِدَ الْمَكْرُمَاتِ وَأَهْدَى الْمُلُوكِ لِقَصْدِ الصِّرَاطِ
 جَنِيٌّ مِنَ الْوَرْدِ قَدْ حَثَّه إِلَيْكَ تَوَدُّدُهُ فِي سُبَاطِ

(١) الطلي : جمع طلية : وهي صفحة العنق ، والطللي أيضاً : الأعناق وقيل هي
 أصول الأعناق .

(٢) سُبَاطُ : أم شهد بالرومية ، وهو الشهر الذي بين الشتاء والربيع .

وما ذاك أَيَّامُ إِقْبَالِهِ وَلَا وَقْتُ تَنْضِيدِهِ فِي الْبِسَاطِ
 أَصَابَ بِإِسْرَاعِهِ فَاحْبُهُ وَغَفْرًا لِسَائِرِهِ فَهَوَ خَاطِ
 وقال أيضاً الفقيه أبو الحسن يصفه في قِطْعَةٍ رَائِقَةٍ مُتَضَمِّنَةٍ
 لصفاتٍ فائِقةٍ موصولَةٍ بِمَدْحِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ الْقَاضِي - أَيْدُ اللَّهِ يَدُهُ
 وَحَصَدَ مِنْ حَسَدِهِ - :

لِلْوَرْدِ فَضْلُ السَّبْقِ عِنْدَ الْمَفْخَرِ بِالْمَنْظَرِ السَّامِي وَطِيبِ الْمُخْبَرِ
 وَرَقٌ مِنَ الْيَاقُوتِ نُظْمٌ فَوْقَهُ شِدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ السَّبِيكِ الْأَصْفَرِ
 وَنَسِيمٌ فَوْجٌ لَيْسَ يَبْلُغُ طَيْبَهُ عَبَقُ الْعَبِيرِ وَلَا دُخَانُ الْعَنْبَرِ
 نَقَصَ الزَّمَانَ ضِنَانَةً مِنْ عُمُرِهِ وَكَذَا النَّفِيسَ الْقَدْرَ غَيْرَ مُعَمَّرِ
 وَالنُّورَ غَيْرُ الْوَرْدِ لَيْسَ لِشَخْصِهِ دُونَ السَّبَاطَةِ ذَابِلًا مِنْ مَقْصَرِ
 وَالْوَرْدُ يُرْفَعُ غَضُّهُ وَيَبِيسُهُ رَفَعَ الْأَكْفَ ظُرُوفَ مَسْكَ أَذْفَرِ
 عَمَّتْ مَنَافِعُهُ كَمَا عَمَّ الْوَرَى جُودُ ابْنِ عَبَّادٍ فَرِيدِ الْأَعْصَرِ

وله أيضاً فيه بَيِّنَاتٍ اسْتَوْلِيَا عَلَى غَايَةِ الْإِحْسَانِ وَهُمَا :

انظُرْ إِلَى الرُّوضِ غَيْرِ مُتَّيِّدٍ تُبْصِرُ جَمَالًا يَصُوغُهُ الدَّهْرُ
 كَأَنَّما الْوَرْدُ فِيهِ أَطْبَاقُ يَا قُوتِ عَلَيْهَا مَغَالِقُ صُفْرُ (١)
 ولصاحب الشُّرْطَةِ أُمِّي بَكْرُ بْنُ الْقُوَيْطِيَّةِ فِيهِ قِطْعَةٌ سَرِيَّةٌ مَوْصُولَةٌ
 بِمَدْحِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أُمِّي أَيُّوبُ بْنُ عَبَّادٍ أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعْمَاهُ وَهِيَ :
 نَوْرُ الرَّبِّيِّ خَوْلٌ وَالْوَرْدُ سُلْطَانُ بَدَا قَضَى قَبْلُ آذَارَ وَنَيْسَانَ (٢)
 سُرُّ طَوْتِهِ فَصُولُ الْعَامِ حَاسِدَةٌ لِفَضْلِهِ إِذْ لَهُ السُّلْطَانُ وَالشَّانُ
 حَتَّى إِذَا مَا الرَّبِيعُ الطَّلُقُ نَمَّ بِهِ بَدَا وَقَدْ ضَاقَ عَنْ مَثْوَاهُ كِتْمَانُ

(١) في هامش الأصل (معالق خضر).

(٢) الخول : ما أعطاك الله تعالى من النعم، والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.

مُعَالِجاً فَتَحَ أَوْراقَ تُطِيبُهُ
 حَتَّى تَفْتَحَ مِنْ أَكْمامِ بُرْدَتِهِ
 أَمَّا النَّسِيمُ فَطِيبٌ لا أَكِيفُهُ
 فَمَا سَوَى الوَرْدِ فِي الثُّوارِ مِنْ مَلِكِ
 مَلِكِ يُرِيكَ اهْتِزازَ الرُّوضِ يَتْبَعُهُ
 كَمَا يُعَالِجُ فَتَحَ العَيْنِ وَسَنانُ
 كَمَا تَفْتَحُ بَعْدَ النَّومِ أَجْفافُ
 وَاللَّونُ حُسنًا بِهِ الأَلوانُ تَرْدانُ
 وَلا كَمِثْلِ أَبِي أَيُّوبَ سُلطانُ
 حَلَمٌ رَسا مِنْهُ فَوْقَ الأَرْضِ ثَملانُ

وللوزير الكاتبِ ابي حفص بن بُردٍ فيه أبياتٌ بديعةٌ رفيعة التشبيه

وهي :

هَذَا الرَّبيعُ وَكُنْتَ تَرْقُبُهُ
 قَدْ نُشِرَتْ حُلُلُ النَّباتِ بِهِ
 وَالوَرْدُ قَدْ سَمَتِ العُصُونُ بِهِ
 وَالشَّمْسُ قَدْ ضَرَبَ الضَّحَاءَ بِهَا
 فَكَانَ مَنْ يَهْوَاهُ يُخْجَلُهُ
 فَاَنْظُرْ بِعَيْشِكَ كَيْفَ تَصْحَبُهُ
 فَبِدا مُفَضَّضُهُ وَمُذْهِبُهُ
 تَجْلُوهُ وَالْأَبْصارُ تَخْطُبُهُ
 فِي صَبِغِهِ فَذَكَ تَلْهَبُهُ
 وَكَانَ رِيَّاهُ تُطِيبُهُ

وَكَتَبَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الأَبْبارِ إِلى الوَزيزِ أَبِي عامرِ ابْنِ مَسْلَمَةَ فِي زَمَنِ
 الرَّبيعِ يَصِفُ الوَرْدَ وَيَحْضُهُ عَلى إِثارِ الأَنْسِ وَجَلَاءِ صَدائِ النَّفْسِ فَأَحْسَنَ
 إِحْساناً يَقْرُبُ عَلى مُتَمائِلِيهِ وَيَبْعُدُ عَلى مُتَناوِلِيهِ وَوَصَفَ الوَرْدَ بَعْدَ صَدْرِ
 مُتَقَدِّمِ مِنَ الشَّعْرِ :

الْوَرْدُ وَرْدٌ لِلْعُيُونِ مِنَ الظُّلْمَا
 فِي لَيْسَةِ التَّقوى يَرُوقُكَ مَنظِراً
 وَإِذا الهُجُوعُ نَأى فَخَيْرُ مُنومٍ
 يَأْمُطِرِي بِفِعالِهِ وَمَقالِهِ
 أَفْطُنُ إِذا أَبْدى الزَّمانُ تَبالِها
 وَبِكلِّ صِرفٍ فَاسْتَقِدُّ مِنْ صِرفِهِ
 فَادْكَرُ أَذِمَّتَهُ الوَكِيدَةَ واحْفَظِ
 فامْنَحْهُ بِالْإِناصِافِ طَرْفَكَ وَالْحَظِ
 وَإِذا السَّرورُ دنا فَأَحْسَنِ مَوْقِظِ
 وَمُحافِظِي بَوادِيهِ لا مُحْفِظِي
 وَإِذا تَواسَنَ جَفْنُهُ فَاسْتَقِظِ
 وَافْظُظْ بِرِقَّتِها عَلَيهِ وَأَغْلِظْ

فَالهَمُّ يَفْرُقُ مِنْ لآلِءِ فَرْقِهَا وَالْحُزْنُ يَطْفَأُ عَنْ سَنَاها الْمَلْتِظُ
صَفْرَاءُ صِفْرِ الكَأْسِ مِنْ جُثْمَانِها تَتَخَطَّفُ الأَبْصَارَ مَهْمَا يُلْحِظُ
لَا زِلَّتْ تَسْلَمُ يَا بَنَ مَسْلَمَةَ الرِّضَا مُعْطَى الأَمَانِ مِنَ الخُطُوبِ البُهْظُ

قوله : في لِبَسَةِ التَّقْوَى يعنى الحياءَ من قول الله تعالى « وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى » (١) قيل الحياءُ . وقوله : مُحَافِظِي هو من الحِيفِظِ والمُرَاعَاةِ . وَمُحَافِظِي مِنَ الإِخْفَافِ وَهُوَ الإِغْضَابُ . وقوله : فَالْهَمُّ يَفْرُقُ يَرْتَاغُ وَيَفْرَعُ وَالْفَرْقُ لُغَةٌ فِي الْمَفْرِقِ مِنَ الرَّاسِ . وقوله : صِفْرِ الكَأْسِ مِنْ جُثْمَانِها الصَّفْرُ الخَالِيَةُ وَالجُثْمَانُ الجِسْمُ وَفِيهِ لُغَتَانِ : جُثْمَانٌ وَجُسْمَانٌ . فَجَاوَبَهُ الوَازِرُ أَبُو عَامِرِ بْنِ مَسْلَمَةَ بِأَبْيَاتٍ بَدِيعَةِ الصِّفَاتِ بَزِيْعَةِ الكَلِمَاتِ وَهِيَ :

يَا وَاحِدَ الأَدْبَاءِ غَيْرِ مُدَافِعِ وَمَنْ اغْتَدَى فِي الفَهْمِ نَارًا تَلْتَضِي
وَإِفَانِي الشِّعْرِ البَدِيعِ نِظَامُهُ فَأَزَاحَ عَنِّي كُلَّ أَمْرٍ مُحْفِظِ
فَخِرَ الوَرْدِ الرُّوضِ إِذْ حَازَ المَدَى يَبْدَأُ مِنْ ذَهَبِكَ المُتَقِظِ
الْوَرْدُ عِنْدِي فِي الخُدُودِ نَفَاسَةٌ وَرِياسَةٌ مَهْمَا يُقَسُّ أَوْ يُلْحِظِ
هُوَ آخِرٌ وَلَهُ التَّقَدُّمُ أَوَّلًا كَمْ آخِرٍ قَدْ حَازَ مَفْحَرًا مِنْ حَظِي
وَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى الَّذِي خَبَّرْتَهُ فِي نَظْمِكَ الزَّارِي بَلْفِظِ اللَّفْظِ
وَفَضَضْتُهَا صَفْرَاءَ يُعْشَى ضَوْؤُها حَدَقَ العَيونِ الرَّائِيَاتِ اللِّحْظِ

قال أبو الوليد وأهدى إليَّ صاحب الشرطة أبو بكر بن القوطية ثلاثَ ورَدَاتٍ لَيْلَةَ المَهْرَجَانِ وَكُتِبَ إِلَيَّ مَعَهَا أَبْيَاتًا أُنِيقَةُ المَعْنَى دَقِيقَةُ المَعْرِى وَهِيَ :

بَعَثْتُ بِأَغْرَبِ الأَشْيَاءِ طُرًّا وَأَعْجَبِها لِمُحْتَبِرٍ وَمُخْبِرٍ

بَوْرِدٍ نَاعِمٍ غَضُّ نَضِيرٍ يَرُوقُكَ نَاسِمًا طَوْرًا وَمُبْصِرٌ
 أَتَى فِي الْمَهْرَجَانِ فَكَانَ فَوْقَ الْبَكِيرِ غَرَابَةٌ وَهُوَ الْمُؤَخَّرُ
 وَإِغْرَابُ الْمُؤَخَّرِ عَنِّ أَوَّانٍ يَجِيءُ بِهِ كِإِغْرَابِ الْمُبَكَّرِ
 وَلَمَّا أَنْ غَشِيَتْ الرَّوْضَ مِنْهُ بَرُوضٌ فَيْكَ مِنْ مَدْحِي مَنْوَرٌ
 وَقُلْتُ لَهُ اسْتَمِعْ لِحُلَى كَرِيمِ السَّجَايَا مَنْتَقَى مِنْ سِرِّ حَمِيرٍ
 تَفْتَعُ مِنْ كَائِمِهِ وَأَبْدَى مِنَ النَّفْحَاتِ مَا قَدَ كَانَ أَضْمَرُ
 فَمَاءُ ثَنَاتِكَ الْعَالِي سَقَاهُ وَمِنْ أَخْلَاقِكَ الْعُلْيَا تَفْطَرُ
 فَأَوْسِعُهُ الْقَبُولَ وَدُمٌ عَزِيزًا مَكِينًا مَا جَرَى نَجْمٌ وَغَوْرٌ

فَلَمَّا وَرَدَتِ الْوَرْدُ الثَّلَاثُ عَلَيَّ وَوَصَلْتُ إِلَيَّ بَعَثْتُ بِهَا إِلَى أَبِي
 وَقَاهُ اللَّهُ بِي وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مَعَهَا أَرْبَعَةٌ أَيْبَاتٍ بَدِيهَةٌ :

يَأْمَنُ تَأَزَّرَ بِالْمَكَارِمِ وَارْتَدَى بِالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الرَّفِيعِ الْفَائِقِ (١)
 انْظُرْ إِلَى خَدِّ الرَّبِيعِ مُرَكَّبًا فِي وَجْهِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ الرَّائِقِ
 وَرَدُّ تَقَدَّمَ إِذْ تَأَخَّرَ وَاعْتَدَى فِي الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانَ أَوَّلَ سَابِقِ
 وَافَاكَ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِ حَيَاتِهِ خَجَلًا لِأَنَّ حَيَاكَ آخَرَ لِأَحِقِ
 وَلى أَيْضًا فِيهِ قِطْعَةٌ مَوْصُولَةٌ بِمَدْحِ أَبِي - أَبْقَى اللَّهُ عَلَيَّ ظِلَّهُ

وَقَدَّمَنِي إِلَى الْمُنُونِ قَبْلَهُ - وَهِيَ :

إِنَّمَا الْوَرْدُ فِي ذُرَى شَجَرَاتِهِ كَأَجَلِ الْمُلُوكِ فِي هَيْئَاتِهِ (٢)
 رَائِقٌ مَنْظَرًا وَخُبْرًا وَفَدٌّ فِي حُلَاهُ الَّتِي حَلَّتْ وَصِفَاتِهِ
 نَفْحَةُ الْمِسْكِ مِنْ شَدَا نَفْحَاتِهِ نَخَجَلُ الْحَدِّ مِنْ سَنَا نَخَجَلَاتِهِ

(١) الأبيات في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣٢ ونفع الطيب (٤٢٨/٣) لابن

الوليد إسماعيل بن حبيب .

(٢) الأبيات في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣٢ .

مُزَجَّتْ حُمْرَةُ الْيَوَاقِيتِ بِالذُّرِّ فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى حَسْبِ ذَاتِهِ
 مِثْلَمَا جَاءَ مِنْ سَمَاحٍ وَبَأْسٍ خُلِقَ الْحَمِيرِيُّ سِمِّ عُدَاتِهِ
 إِنْ يَعِدُ فَالْوَفَاءُ حَتْمٌ عَلَيْهِ فَرَضُهُ فِي صِلَاتِهِ كَصَلَاتِهِ

ولى قطعة نُثِرَ كَثِبْتُ بِهَا إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ
 الْعُثْمَانِيِّ وَبَعَثْتُ مَعَهَا وَرْدًا مُبَكَّرًا :

بَعَثْتُ بِخُدُودِ الْمُعْشُوقِينَ قَدْ أَدَمَّتْهَا الْحَاطُ الْعَاشِقِينَ وَأَدَمَنْتُ
 عَلَيْهَا نَازِرَةً ، فَتَسَاقَطَتْ هَكَذَا نَاضِرَةً ، فَاحْكُمْ عَلَى الْعُيُونِ لِلْخُدُودِ
 عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى الصَّدُودِ . وَالسَّلَامُ .

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : وَحِينَ اسْتَوْفَيْتُ مَا حَصَلَ عِنْدِي مِنَ الْوَصْفِ
 لِلْوَرْدِ أَبْدَأُ بِذِكْرِ مَا عَثَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ فِي وَصْفِ السَّوْسَنِ فَهُوَ
 صَاحِبُ الْوَرْدِ فِي زَمَانِهِ وَمُشَارِكُهُ فِي أَوَانِهِ .

السَّوْسَنُ (١)

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : يُقَالُ سَوَسَنٌ وَسَوَسَانٌ بِالْأَلْفِ وَدُونِهَا وَقَدْ
 تَكَرَّرَتْ فِي الشِّعْرِ اللَّغَتَانِ وَتَرَدَّدَتِ التَّسْمِيَتَانِ .
 فَمَنْ مَلِيحٌ مَا جَاءَ فِيهِ وَشَبَّهَ بِهِ قَوْلُ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ فَرَجٍ
 الْجَيَّانِيَّ وَهُوَ :

(١) أعجمى معرب ، وهو نوع من الزهور المعروفة وأجناسه كثيرة وأطيبه

الأبيض ، وقد ورد في كلام العرب قال الأعمشى :

وَأَسْ وَخَيْرِي وَمَرُو وَسَوْسَنُ إِذَا هِرْمَرٌ وَرَحَتْ مُخَشَّمَا

ولا يعرف له بنت في بلاد العرب كما أشار أبو حنيفة الدينوري في كتابه النبات ٥٤

بتحقيق محمد حميد الله .

بَعَثْتُ بِسَوْسَنِ نَضْرٍ نَيْمٌ كَجَوْنَةِ الْعِطْرِ (١)
 كَأَكْوُسٍ فِضَّةٍ فِيهَا بَقَايَا شَهْلَةِ الْخَمْرِ
 أَوْ الْوَجَنَاتِ مِنْكَ دَنْتُ إِلَى وَجَنَاتِي الصُّفْرِ

وللوزير الكاتب أبي مروان بن الجزيري فيه وصف مفضل له

مُسْتَحْسَنٌ مِنْهُ وَهُوَ :

وَمَلَسَنَ الطَّاقَاتِ أَيْضَ نَاصِيعِ
 أَعْدَادُ زَهْرَتِهِ إِذَا حَصَلَتْهَا
 سَكَنَتْ قَرَارَةَ حَجْرِهِ كَلْفًا بِهِ
 صَافِي الْأَدِيمِ إِذَا تَخَلَّقَ صَدْرُهُ
 أَهْدَى الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى بِنَسِيمِهِ
 سَمَّوَهُ بِالسَّوْسَانِ ظُلْمًا وَاسْمُهُ
 لَمَّا اسْتَدَاعَ بِفَارِسٍ كَلِفَتْ بِهِ
 يُزْهِى بِأَصْفَرٍ مِنْ جَنَاهُ فَاقِعِ
 سَتُّ سَوَى عَدَدِ الرِّقِيبِ السَّابِعِ
 كَالْأَمِّ تَكْلُفُ بِالصَّغِيرِ الرَّاضِعِ
 بِخُلُوقِ أَرْوُسِهَا الذَّكِيِّ الْمَائِعِ (٢)
 وَبَدِيعِ مَنْظَرِهِ الْأَنْبِقِ الرَّائِعِ
 فِي مَا خَلَا سَاسَانُ غَيْرِ مُدَافِعِ
 أَمْلَاكُهُ فَدَعْتُهُ بِاسْمِ شَائِعِ

الرقيب هو القائم في وسط السوسنة . وساسان اسم ملك

فارسي أراد بهذا التمليح التثويه به والترفيه من قدره .

ومن المستندر المستحسن في وصف السوسن قول أبي عمر

الرمادي وهو :

سَوْسَنٌ كَالسَّوَالِفِ الْبَيْضِ لَاحِتٍ
 قَدْ أَعَارَتْ عُيُونَنَا كُلَّ حُسْنٍ
 لِمُحِبِّ مُتَيِّمٍ مِنْ حَبِيبِ
 وَأَعَارَتْ أَنْوْفَنَا كُلَّ طَيْبِ
 بَعْضُهَا عَاشِقٌ لِبَعْضٍ فَبَعْضٌ
 لِمُحِبِّ وَالبَعْضُ لِلْمَحْبُوبِ
 فَالْحَبِيبُ الْمُبِيبُ مِنْهَا إِذَا اصْفَرَّ
 سِوَاهُ اصْفِرَارَ صَبِّ كَثِيبِ

(١) الجونه بالضم : سُلَيْلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمَا تَكُونُ مَعَ الْعِطَارِينَ .

(٢) الخلق : ضرب من الطيب .

لَهُمَا ثَالِثٌ أَنْفٌ كَوَاشٍ قَامَ يَحْكِي هَوَاهُمَا كَالْحَطِيبِ
فَهُمَا وَهُوَ فِي جَمِيعِ الْمَعَانِي كَحَبِيبٍ وَعَاشِقٍ وَرَقِيبٍ
وَلَأَبَى بَكَرٍ يَحْيَىٰ بِنِ هَذِيلٍ (١) فِيهِ تَشْبِيهِ أُنَيْقٍ وَتَمْثِيلٌ دَقِيقٌ

وهو :

وَرُبَّ سَوْسَنَةٍ قَبَّلَتْهَا كَلْفًا وَمَا لَهَا غَيْرُ نَشْرِ الْمِسْكِ مَنْشُوقٍ (٢)
مُصْفَرَّةٍ الْوَسْطِ مَبِیضٌ جَوَانِبُهَا كَأَنَّهَا عَاشِقٌ فِي حِجْرِ مَعْشُوقٍ
وَلَأَبَى بَكَرٍ هَذَا فِيهِ قَبْلٌ أَنْ يَتَفَتَّحَ وَصَفٌ اسْتُحْسِنَ وَاسْتَمْلِحَ

وهو :

فَأَوَّلُ مَا يَبْدُو فَخَلَقُ سَبِيكَةٍ مُخَلَّصَةٍ بِيَضَاءِ أَثْقَنَهَا السَّبْكُ
بَنَتْ نَفْسَهَا فَوْقَ الزُّمُرِدِ وَاقِفًا فَلَاحَتْ كَمَثَلِ الدَّرِّ ضَمْنَهُ السَّلْكُ
جَنَى سَوْسَنٍ لَوْلَا سَنَا بَشْرَاتِهِ لَمَّا زَيْنَ الْأَفْوَاهِ تُعْرَى وَلَا ضَحْكُ
وَلِبَعْضِ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ -
رَحِمَهُ اللَّهُ - وَبَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثُ سَوْسَنَاتٍ إِحْدَاهَا لَمْ تَفْتَحْ . فَسَأَلَهُ وَصَفَهَا
فَقَالَ بَعْدَ آيَاتٍ لَمْ أَحْتَجْ إِلَى ذِكْرِهَا :

تَبْدُو ثَلَاثٌ مِنَ السَّوْسَانِ قَائِمَةٌ وَمَا تَشْكِي مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالْكَسَلِ
فَبَعْضُ نُورِهِ بِالْحَسَنِ مُنْفَتِحٌ وَالْبَعْضُ مُنْغَلَقٌ عَنْهُمْ فِي شُغْلِ
كَأَنَّهَا رَاحَةٌ ضَمَّتْ أَنْامِلَهَا مَمْدُودَةٌ مَلَّتْ مِنْ جُودِكَ الْخَضِيلِ (٣)
وَأَخْتَهَا بَسَطَتْ مِنْهَا أَنْامِلَهَا تَرْجُو نَدَاكَ كَمَا عَوَدَتْهَا فَصِيلِ

(١) مضت ترجمته ...

(٢) البيتان في نهاية الأرب (٢٧٦/١١) ورواية الأول منهما .

يارب سوسنة قلبتها شغفا وما لها غير نشر المسك من ريق

(٣) الخضيل : كل شيء ندى يترشّف نداء .

وقال أبو عمر أحمد بن درّاج القسطلّي يصفه فأحسن وأبدع
وأغرب واخترع :

إن كان وجه الربيع مُبتسماً فالسوسن المُجتلى ثنياه (١)
ياحسنة سن ضاحك عبق بطيب رياء الحبيب رياه (٢)
خاف عليه الحسود عاشقه فاشتق من ضده سماءه
وهو إذا مُغرّم تنسمه خلى على الأنف منه سيماه
كما يُخلى الحبيب غاليةً في عارضتي إلهيه لذكراه

قوله : خاف عليه الحسود البيت يعنى أنه سماء سوءاً وهو حسن
خوف العين والحسد وهو تلميح مُستحسن .

ولأبي عمر أيضاً فيه وصف ثانٍ معدوم المثل ، موسوم بالجمال
صحّ عندي أنّ عبادة بن ماء السماء كان يقول : لم يُخترع بالأندلس
في معنى من المعاني كاختراع القسطلّي في السوسان . وهو في قطعة
مطوّلة كتب بها إلى المظفر بن أبي عامر أنا ذاكر منها ما تشبّث بذكر
السوسن من المستحسن وهو :

جهز لنا في الروض غزوة مُحْتَسِب واندب إليها من يُساعد واندب (٣)
واهزُر رماحاً من تباشير المنى واسل سؤفاً من مُعْتقة العنب
وانصب مجانيقاً من النيم التي أحجارهن من الرواطم والتخب (٤)

(١) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلّي ٤١ ، ٤٢ .

(٢) في الديوان (ريح) .

(٣) الأبيات في ديوان ابن دراج القسطلّي ٣٥ ، ٣٦ ، وفي الديوان (جهز لنا في الأرض) .

(٤) المنجنيق : من الفارسي المعرب ، وهي آلة ترمى بها الحجارة وانظر الكلام حول الكلمة

كتاب المعرب ٣٥٣ ، وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٦ .

والنيم : بكسر النون عند الأندلسيين القنينة أو الزجاجاة ، وكذلك (الرواطم) في عجز البيت

كما أشار محقق ديوان ابن دراج والنيم : أيضاً شجر يتخذ منه القداح .

لِمِعَاقِلٍ مِنْ سَوْسَنٍ قَدْ شَيَّدَتْ
شُرْفَاتِهَا مِنْ فِضَّةٍ وَحُمَائِهَا
مُتَرَقِّبِينَ لِأَمْرِهِ وَقَدْ ارْتَقَى
كَأَمِيرٍ لُونَةَ قَدْ تَطَّلَعَ إِذْ دَنَا
فَلَيْتَنِ غَنِمْتَ هُنَاكَ أَمْثَالَ الدُّمَى
تُحَفًّا لِشُعْبَانٍ جَلَا لَكَ وَجْهَهُ
فَاسْتَوْفِ بِهَجَّتِهَا وَطَيْبِ نَسِيمِهَا

الشُّرْفَاتُ أُرَاقُ السَّوْسَنِ ، وَالسِّيُوفُ النَّوَاوِيرُ الْمَصْفَرَّةُ فِي أَسْفَلِهَا
وَالْأَمِيرُ الْقَائِمُ وَسَطَ السَّوْسَنِ وَهُوَ مِنَ الْإِخْتِرَاعَاتِ الشَّرِيفَةِ وَالْإِبْتِدَاعَاتِ
الْبَدِيعَةِ .

وَأَبَى بَكَرُ عُبَادَةَ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَسْتَهْدِيهِ سَوْسَنَا
أَبْيَاتٌ وَصَفَهُ فِيهَا وَصَفًا مُسْتَحْسِنًا :

دُمْتُ بِإِنْعَامٍ وَإِحْسَانٍ إِنْ أَنْتَ أَنْعَمْتَ بِسَوْسَانَ
لَوْ كَانَ نَفْسًا حَيَوَانِيَّةً مَا كَانَ إِلَّا نَفْسَ إِنْسَانٍ
كَأَنَّهُ أَنْمَلُ حَسَنَاءَ لَمْ تَخْضِبْ يَدَيْهَا خَوْفَ غَيْرَانٍ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِيهِ الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ مَسْلَمَةَ أَبْيَاتًا مَطْبُوعَةً

مُحَكَّمَةً وَهِيَ :

سَوْسَنٍ رَاقٍ مَرَاهُ وَمَخْبِرُهُ وَجَلَّ فِي أَعْيُنِ النَّظَّارِ مَنَظَرُهُ (١)
كَأَنَّهُ أَكُوسُ الْبِلُّورِ قَدْ صُنِعَتْ مُسَدَّسَاتٍ تَعَالَى اللَّهُ مَظْهَرُهُ (٢)

(١) الأبيات ماعدا الأخير في مطمح الأنفس ٢٠٥ ، وفي جنوة المقتبس ٦٥ ،

٦٦ ، وبغية الملتبس ٨٠ .

(٢) في مطمح الأنفس (مُسَدَّسَاتٍ) .

وبينها السُّنُّ قد طُرِفَتْ ذَهَبًا مِنْ بَيْنِهَا قَائِمٌ بِالْمَلِكِ تُؤَثِّرُهُ (١)
 كَأَنَّهُ خَلَقَ مِيمٍ فِي تَعَقُّفِهِ مِدَادُهُ ذَوْبٌ عِيقَانِ يُصَفِّرُهُ
 وقال صاحب الشُّرْطَةِ أَبُو بَكْرٍ بن القُوْطَيْبَةِ يصفه بِأَوْصَافِ سَرِيَّةِ

وهي :

أَمَا تَرَى الرَّوْضَ حِيسَا يَّأ نَحَا إِقْلِيدَسَهُ (٢)
 فَصَوْرَ السَّوْسَنِ مِنْ دَائِرَةِ مُسَدَّسَهُ
 مَدَهْنَةً مِنْ فِضَّةٍ يَتَبَرَّهَا مُلَبَّسَهُ
 وَاضِحَةً فَاضِحَةً صَاحِبَهَا مُدَلَّسَهُ
 إِنْ رَامَ كَتَمَ لَثْمَهَا وَشَمَّهَا أَنْظَرَ مَعْطِسَهُ
 تَجِدُ بَقَايَا طَيْبِهِ بِأَنْفِهِ مُحْتَسِبِسَهُ
 وَفَوْقَهَا رَقِيْبَةً مِنْهَا لَهَا مُحْتَسِرِسَهُ
 نَابِلَةً رَامِحَةً سَائِفَةً مُتَرَسِسَهُ
 كَانَ اسْمُهَا نَسُوسٌ لَا كِنْ قُرَّتْ مِنْكَسَهُ

قوله : وفوقها رقيقة يعنى القائمة وسط السوسنة . نابلة ذات نَبَلٍ جعل التي تحدق بالرقيقة في أسفلها نَبَلًا ، وجعل أيضاً رماحاً في قوله : راحة . وسائفة يحتمل أن يجعل الوسائغ الصُّفْرَ التي حول الرقيقة سُيُوفًا ويحتمل أن تكون السُّيُوفُ الأوراقُ البِيضَ ، ومترسة ذات تُرْسٍ ولا شك أنه من الأوراق البِيض . وقوله : نَسُوسٌ أراد مستقبل فعل الساسة وهو مליح فيه معنى التنويه .

(١) في المصدر السابق (طَوَّقَتْ) .

(٢) إقليدس : عالم رياضة يوناني نشأ في الإسكندرية في عهد بطليموس (٣٢٣

- ٢٨٥ ق . م) وله كتاب الأصول في الهندسة .

وللفقيه أبا الحسن بن عليّ فيه أوصاف حسنة وتشبيهات جيّدة فمنها قوله :

أرى صُفرة السّوسان فوق بيّاضه كصّفو مُدامٍ في إناءٍ مُفضّضٍ
بَدَأِمْثَلِ حُقِّ العَاجِ في فرعِ غُصنِه بأكرمِ مُلبوسٍ وأجمَلِ معرَضِ
ولمّا دَنَا وقتُ النّثارِ تَشَقَّقَتْ نوويرُهُ عن حَلِي حُسنٍ له نُضِي
كذلكِ حِقاقِ الحَلِي صَوْنٌ لما حوت كِفَاتٌ لَهُ مِنْ خاتِلٍ مُتَعَرِّضِ

قوله نُضِي بمعنى جُرِد . كِفَاتٌ له أي سِتْر . قال الله عزّ وجلّ
« ألم نجعل الأرض كِفَاتاً » أي سِتْراً . وخاتِلٌ بمعنى خادِعٌ .

وأُنشدني أيضاً لنفسه أحسن تشبيهه موصولاً بمدح ذي الوزارتين
أبى عمرو عبّاد - حرس الله نفسه ، كما قدّس غرسه ، - وهو :
كأنما السّوسنُ الدرّيُّ السنّةُ تُمجّدُ الله مُجرى التّبرِ في غُربِه
أندى النواويرِ إن قبَلتَ صفحَتَه حباك من طيبه حظّاً ومن ذهَبِه
وما أرى غيرَ عبّادٍ لَهُ شَبَهًا في الحسَنِ والفُوحِ والمأثورِ من أدبِه

ومن المُستندَر المختار أبياتٌ كَتَبَ بها أبو جعفر بن الأَبّار وهي :
أُنعمَ فقد حَسُنَ الزمانُ وأحسنا وتباهتَ عنك الخُطوبُ لِتَفْطُنَا
أو ما ترى بُردَ الرّبيعِ مُفوفًا يُصبِي العيونَ بِمُجْتَلَى وبِمُجْتَنَى
والسّوسنَ العَبِقِ الجُيوبِ تَخالُه من ناصعِ الكلفورِ صُورَ السّنا
حَفَّتْ قراضاتُ النّضارِ مُجرّداً مِنْهُ أَقْلَتْهَا قَصِيراتُ القَنَا
فكأنما أوراقُه و كأنه بيضٌ سللنَ لِقتلِ جانٍ قد جنى

المجرّد هو القائمُ وسطَ السوسنة . والقراضات هي النواويرُ الصُّفْرُ
في أسفلها ، وكأنّه في آخر بيت كنايةٌ راجعةٌ إلى المجرّد ، وهو تشبيه قويٌّ
وتمثيل سرّيٌّ .

ولأبي جعفر بن الأَبَّار أيضاً أبداع تشبيه وهو :
 كَأَنَّمَا السَّوسَنُ الْعَـضُّ مَنْظَرًا حِينَ يُلْحَظُ
 فَهَرُّ بِهَـؤُونَ دَرٌّ مُشْطَبٌ قَدْ تَعَضَّعَظُ

الفهر القائم وسط السوسنة والهاؤون سائرها . تعضعظ مال
 وعدل .

ولأبي عليّ إدريس بن اليمانيّ فيه أوصاف مستطرفة وتشبيهات
 مستطرفة منها قوله :

مُمَهِّي الحَسَنِ مَشْقُوقِ الجُيُوبِ لَهُ وَجْهُ البَرِيِّ مِنَ الدُّنُوبِ
 تَفَرَّجَ عَنِ مَنَاكِبِهِ قَمِيصٌ تَفَرَّجَ لَوَعَةَ الدَّنِفِ الكَثِيبِ
 وَقَدْ عَلَّتْ عِمَامَتُهُ بَوْرَسٍ فَقَامَ بِلاَ خَطَابِ كَالخَطِيبِ
 عَلَى أُنْبُوبِ كَافُورٍ يِرَاعِ تَضَمَّنَ بَطْنُهُ يَنْبُوعَ طِيبِ

المهمي المرقق . يقال أمهيتُ السيفُ أمهيه إذا أرهفته وجلوته .
 وبنى القطعة كلها على وصف القائم وسط السوسنة .

ولأبي عليّ إدريس بن اليمانيّ أيضاً قطعةً بديعةً التشبيه مُوافقة
 الوصف لكل ما فيه وهي :

وضاحِكٌ كَالفَلَقِ عَنْ فَلَاحٍ فِي رَوِّقِ
 عَلَى حَفَافِي مِرُودٍ مُذَهَّبٍ مُنْدَلِقِ
 كَمَتَّجٍ مِنْ غَرَقٍ وَخَارِجٍ مِنْ نَفَقِ
 يَبِينُ اصْفِرَارِ فَاقِعِ عَلَى أَبْيَضِاضِ يَقَقِ
 كَأَنَّمَا كِلَاهُمَا فِي رَاحَةٍ أَوْ طَبَقِ
 بُرَادَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي وَرَقٍ مِنْ وَرِقِ

الفلج الفُرجة يَبْنُ الأَسنان . والروق طُولها . والحفافان الجانِبان .
وعَنى بِالْمِرودِ القَائِمُ وَسَطُ السوسنة . وَالْمُنْدَلِقُ الآتِي الْمُنْدَفِعُ .
قال أبو الوليد : ولى فيه قِطْعَةٌ فيها اخْتِراعٌ تُشْبِهُهِ وصلُّتها بِمَدْحِ
الحاجب - حجه الله نى عن التَّوائب - وهى :

وسوسن يتهادى للأنس بالراحتيْن
نعم المواصل لو لم يعد بنأى ويئن
كأنما خلقه الفقد نخسة من لجين
أو أنمل بضة ما تركبت في يديْن
وبينها حارس لا ينام طرفة عين
علا وأشرف منها على جمال وزين
كما علا الحاجب المنقى على الشعريْن^(١)
ملك به حال دهرى بين الخطوب وبينى
قال أبو الوليد :

ووقعت إلى في السوسن الأزرق وهو الخرم صفات مُحكَمَةٌ
وتشبيهات متقدمة .

الْخُرْمُ (٢)

فمن بديعها ورفيعها قول الوزير أبي عامر بن مسلمة وهو :

(١) الشَّعْرَى : كوكب نير يطلع عند شدة الحر ، وهما شعريان .
(٢) نقل ابن البيطار فى الجامع لمفردات الأدوية (٥٦/٢ ، ٥٧) عن ابن وحشية
ما يفيد أن الخُرْمَ نبات ينبت فى البساتين ذو أوراق قليل العرض يحمل على زهر متفرق
الورق ، ولونه بنفسجى بل هو أحسن من لون البنفسج له رائحة حسنة وهو كثير بأرض
الفرس .

أَلَا حَبْدَا السَّوْسَنَ الْأَزْرَقُ وَيَا حَبْدَا حُسْنَهُ الْمُوْتَقُ
حَكَى لَوْنُهُ لَوْنُ فَيْرُوزِجٍ جَرَى وَسَطُهُ ذَهَبٌ مُشْرِقٌ (١)

وللفقيه أبى الحسن بن علىّ فيه أبداعُ اختراعٍ وأغربُ تشبيهه وهو :
لاح لى حُرْمِ الصَّحَارَى فِرَاقِ الْـعَيْنِ تَدْيِجُهُ الْعَجِيبُ وَوَرْدُهُ
جَاءَ كَالزَّرَائِرِ . الْمُوْفَى لَوَعْدٍ بَعْدَ أَنْ طَالَ بِالْأَحْبَةِ عَهْدُهُ
أَطْلَعَتْ حُلَّتَاهُ وَشَيْئاً وَتَبْرًا زَانَ ذَا رَقْمَهُ وَذَا لَا زَوْرُدُهُ (٢)
أَيَّ نَصْلِ يَفْرَى الْحَوَادِثَ لَوْدَا مَ لَجَانِيهِ مَأْوُهُ وَفِرْنُدُهُ

وله أيضا فيه قطعةٌ موصولةٌ بِمَدْحِ أبى - وقاهُ اللهُ بى - وهى :
بَزَّ ثَوْبَ الْبَهَاءِ وَاللَّأَلَاءِ زَهَرَ الرَّوْضِ حُرْمُ الصَّحْرَاءِ (٣)
عَافَ ثَوْبَ الْبِيَاضِ لَوْنَ أَخِيهِ وَتَرَدَّى بِحُلَّةٍ زَرْقَاءِ
لِتَرَاهُ الْعَيْونُ فِي حُلَّةٍ يَحْكِي سَنَا ثُورِهَا أَدِيمَ السَّمَاءِ
لَوْ حَوَاهَا الطَّائُوسُ أَصْبَحَ لَأَشْـكَّ مُهَنَّأً بِمُلْكِ طَيْرِ الْهَوَاءِ
عِزَّةً فِي طَبَاعِهِ وَعُلوُّ قَدْ أَنَا فَا بِهِ عَلَى الْعَلْيَاءِ
كَحَبِيبِ ابْنِ عَامِرٍ فَهَوَ فَدَّ فِي اقْتِنَاءِ الْعُلَى . وَكَسَبَ الشَّنَاءِ

ومن التشبيه السنّى فيه والوصف السرىّ له قولُ صاحب الشرطة

أبى بكر بن القوطيّة وهو :

ومغرب اللّونِ فى مِسْلَاحِ طائُوسٍ فَيْرُوزِجِيّ بِصُنْعِ اللهِ مَغْرُوسِ
كَأَنَّمَا اخْتَلِسَتْ قَطْعاً غَلَائِلُهُ مِنْ الْعَمَائِمِ أَوْ فَضْلِ الْحَنَادِيسِ (٤)

(١) نوع من الأحجار الكريمة، وهو المعروف بالفيروز تعريب بيروزو وأصل معناه المبارك.

(٢) رقمه: فقه ووشيه، واللازورد: فارسى معرب معدن من المعادن المشهورة.

(٣) الأبيات ماعدا الأول والأخير فى نهاية الأرب (١١/٢٨٠، ٢٨١) بدون عوو.

(٤) الحنادس: جمع حندس: الليل الشيد الظلمة، وأسود حندس: شديد السواد،

والحنادس: ثلاث ليال فى آخر الشهر.

شَحَّتِ المَازِرَ لِأَذَى الظَّهَائِرِ قَد
 كَأَنَّهُ كِسْفُ أَفْقٍ مَا لَهُ حُبْكُ
 أَتَاكَ يَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ لَهُ سُوسِي^(١)
 أَوَّلَا زَوْرَدٌ أَوَاذِنَابِ الطَّوَاوِيسِ^(٢)
 نَضَحَ يَمُدُّ عَلَى آثَارِ تَدْنِيسِ^(٣)
 لَا زَالَ فِي مَجْلِسِي دَهْرًا بِهِئْتِهِ
 وَلَا تَوَخَّى اسْمُهُ شَمْلِي وَلَا كَيْسِي

إِنَّمَا عَمِّي فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ الْحُرْمَ اسْمُهُ دَعَا أَلَا يَتَوَخَّى الْحُرْمُ
 شَمْلَهُ وَلَا كَيْسَهُ .

قال أبو الوليد : ولي فيه تشبيه طابقه وهو :

وَحُرْمٌ حُلْوٍ الْحَلَى يَبْدُو لِعَيْنِي مَنْ لَمَحَ
 تَلُونًا وَمَنْظَرًا كَأَنَّهُ قَوْسٌ قُرْحُ

قال أبو الوليد :

لم يقع إلي في السوسنين غير ما أوردته . ومن النواوير المشاهير
 التي كثر القول فيها والوصف لها نُورُ النَّيْلُوفَرِ وَأَنَا مُودِعٌ بَابَهُ مَا حَصَلَ
 عِنْدِي فِيهِ مِنَ الْمُسْتَنْدَرِ .

(١) الشخت : الضامر خلقة ، ويقال فلان شخت ، وهو شخت العطاء : قليله .

(٢) الكيف : القطعة من الشيء ، والحبك : طرائق النجوم .

(٣) كتب في الأصل تصحيح إلى جوار هذه الكلمة وهو (آناً) .

النيلوفر (١)

من السابق في ميدان التفضيل الفائق عند أهل التَّحْصِيلِ قول
ذِي الْوِزَارَتَيْنِ الْقَاضِي الْجَلِيلِ أَمَلَهُ عَلَيَّ وَهُوَ :

يَاحْسَنُ بَهْجَةَ ذَا النَّيْلُوفِرِ الْأَرْجِ وَطِيبَ مَخْبِرِهِ فِي الْفَوْجِ وَالْأَرْجِ (٢)

كَأَنَّهُ جَامٌ دُرٌّ فِي تَالَفِهِ قَدْ أَحْكَمُوا وَسْطَهُ فَصًّا مِنَ السَّبْجِ (٣)

وَلَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَذَلَّ عِدَاهُ - يَصِفُهُ بِوَصْفَيْنِ غَرِيبَيْنِ وَيُشَبِّهُهُ

بِتَشْبِيهِتَيْنِ عَجِيبَيْنِ فِي قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ :

كَأَنَّمَا النَّيْلُوفِرُ الْمُسْتَحْسَنُ الْغَضُّ الْبَهْجُ

مُقَلَّةٌ خَوْدٍ مُلِئَتْ سِحْرًا وَغُنْجًا وَدَعَّجَ

أَوْ خَائِمٌ مِنْ فِضَّةٍ وَفِصَّةٌ مِنَ السَّبْجِ (٤)

(١) جاء في كتاب الجامع لمفردات الأدوية (١٨٦/٤) ما يفيد أن النيلوفر اسم فارسي معناه النيلبي الأجنحة والتيلي الأرياش وهو نبات ينبت في الآجام والمياه القائمة ، ومنه ما يكون داخل الماء وله ورق كثير مخرجه واحد ، وزهر أبيض شبيه بالسوش وسطه زعفراني اللون وذكر صاحب الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٥٥ أن أصل الكلمة الفارسية هو نيلوبر ، وهو مركب من (نيل) وهو الذي يصيغ به ، ومن (ير) وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح نيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين .

(٢) البيتان في مطمح الأنفس ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورواية صدر البيت فيه :

(ياناظرين لذا النيلوفر البهج) وكذلك في نفع الطيب (٢٢٨/٤)

وفي الحلة السيرة (٣٩/٢) للوزير أبي القاسم محمد بن عباد ، وانظر ترجمته

هناك ، ورواية صدر البيت في الحلة (يا حسن منظر ...) .

(٣) في مطمح الأنفس ، ونفع الطيب ، والحلة السيرة (تآلفه) .

(٤) السَّبْج : خرز أسود .

شبهه في البيت الثاني بالعين في السواد الذي بين بياضه وهو أولى بهذا التشبيه ، وأحق أن يصاغ فيه من كل ما شبه بالعين من البهار وغيره الذي لا سواد فيه يؤيد حقيقة تشبيهه ، وينصر صحة تمثيله ومثل هذا التشبيه المعلوم الشبيه والتمثيل المنقطع المثل لو وقع لمشتاق بصناعة الشعر عاكف على صناعة النظم مُجهد نفسه فيها مُعان لمعانها لاستغرب غاية الاستغراب واستعجب نهاية الاستعجاب . فكيف ترى فضله وتعاين نبله وهو لا يعانى هذا ولا يتفرغ له . وإنما هو عفو سجيته وفيض بديته - صان الله لنا حذقه كما أوجب علينا حقه .

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى يصفه فأبدع بدعاً في قطعة جمعت الجزالة والرقعة معاً وهى :

إذا سقى الله روضةً مطراً	فحص بالسقى كل نيلوفر
تستُر أوراقه زمرده	ليلاً وعند النهار لا تستر
خافت عليه اللصوص فاشتملت	عليه ليلاً من خوف أن يظهر
إذا الزناير من مغالقه	لم تتحفظ فيبينها تقبر
كان أجفانه جفون الذى	أهواه لا تستطيع أن تسهر
كانها كؤس فضة فرشت	قبعائها بالزمرد الأخضر
تنعم في حسنه ونكهته	فانت في منظر وفي محبر

الزناير جمع زبور وهى النحل ، وإنما عنى بالبيت انغلاق أوراقه ليلاً ، وقصد النحل دون غيرها لأن النيلوفر يسمى قاتل النحل لطلبها أبداً أكل ما داخل أوراقه فربما فعلت ذلك وقت انغلاقه فامتنعت من الخروج .

ولم أر لكل من صنع فيه وعنى بوصفه ذكر أمر الزناير إلا للفقير
أبى الحسن بن على في قطعة عجيبة أنشدها وهى :

ما لِنَيْلُوفِرِ الحِداثِ يَقْظَا نَ مَعَ النُّورِ هاجِعاً في ظِلَامِهِ
 أَشْبَهَ الإِنْسَ في تَصَرُّفِ حَالِيهِه وَوَقْتِي سُهَادِهِ وَمَنَامِهِ
 وَتَوَقِّيهِ في الدِّياجِي بِإِغْلَا قِ نَوَاوِيرِهِ وَضَمِّ كِمَامِهِ
 لَقَبُوهُ بِقَاتِلِ النَّحْلِ لَمَّا أَبْصَرُوا النَّحْلَ مَقْصِداً لِسِيَامِهِ
 لَمْ يَجْرُ في القِصَابِ إِذْ ذَلِكِ لِصِّ سَارِقٍ بِالنَّهَارِ شُهْدَ خِتَامِهِ

وللوزير الكاتب أبي الأصبع بن عبد العزيز في انغلاقه تشبيه دقيق

وتمثيل أنيق وهو :

وَنَيْلُوفِرُ فَاقَ في فَضْلِهِ صُنُوفَ النَّوَاوِيرِ مِنْ مِثْلِهِ
 وَفَاتَهُمُ بِالَّذِي حَازَهُ كَمَا قَصَرَ الكُلَّ عَنِ نَيْلِهِ
 يُبِيحُ نَهَاراً لِرُؤُورِهِ مُحِيّاً يُرْغَبُ في وَصْلِهِ
 وَيَمْنَعُ بِاللَّيْلِ مِنْ وَجْهِهِ لِيَأْخُذَ بِالحَزْمِ في فِعْلِهِ
 كِبَائِعِ عَطْرِ بِحَانُوتِهِ ضِيَاءَ النَّهَارِ إِلى لَيْلِهِ
 فَإِنْ جَاءَهُ اللَّيْلُ أَفْضَى بِهِ إِلى سَدِّهِ وَإِلى قَفْلِهِ

وأنشدني لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة أبياتاً رائعة

تضمّنت أوصافاً رائعةً موصولةً بمدح الحاجب - لا أعدمنا الله جاهه كما
 أعدمنا أشباهه :

يَا حَبْدَا النَّيْلُوفِرُ الطَّالِعُ وَمُجْتَلَاهُ النَّاضِرُ النَّاصِعُ
 كَأَنَّهُ مَخْزَنَةٌ مِنْ مَهَا في وَسْطِهَا زُمُرْدٌ سَاطِعُ
 وَحَوْلُهُ السَّنَةُ سِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ أَتَقَنَّا صَانِعُ
 كُلُّ لِسَانٍ أبيضٌ ناصِعٌ وَالطَّرْفُ مِنْهُ أَصْفَرٌ فَاقِعُ
 قَامَ على خَضْرَاءَ مِنْ سُوْقِهِ فَكَلَّ إِبريقَ لَهُ رَاكِعُ
 رُكُوعَ أَمْلَاكِ الوَرَى لِلَّذِي نَدَاهُ دَانٍ وَالحِيا شَاسِعُ

ذَاكَ ابْنُ عَبَّادٍ سَلِيلُ الْعُلَى الْحَاجِبُ الْمُزْتَفِعُ الرَّافِعُ
دَامَ دَوَامَ الدَّهْرِ فِي عِزَّةٍ تَبْقَى وَيَبْقَى الْحَاسِدُ الْخَاضِعُ

وللفقيه أبي الحسن بن علي في تشبيه لُونِيهِ وصف مُتَنَاهٍ ليس له

مُوَازٍ وَلَا مُضَاهٍ وَهُوَ :

كَأَمَّا زَهْرَةُ النَّيْلُوفَرِ اخْتَلَسَتْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ قَدَحَفَ الصَّبَاحُ بِهِ
فَالنُّورُ مَنْقُطَعٌ عَنِ جِزْمِ عُنْصُرِهِ وَاللَّيْلُ مُمْتَنِعٌ مِنْ حُكْمِ غَيْهَبِهِ
فِعْلٌ أَشْتَهُمَا مِنْ أَصْلِ طَبَعِيهِمَا مَاذَا تَأَلَّفَ مِنْ شَمْلِ الْجَمَالِ بِهِ

ولصاحب الشَّرْطَةِ أُمِّي بَكْرُ بْنُ الْقُوَيْطِيَّةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَصَفُ

أَعْرَبَ عَنِ كِمَالِهِ وَهُوَ :

وَذَاتِ جِسْمٍ كَاللُّجَيْنِ الْمُنْسِيكِ (١)
مُبِيضَةٍ الْأَثْوَابِ مِنْ نَسِجِ الْبِرْكِ
خُضْرٌ سَرَاوِيَلَاتُهَا حُصْرُ التِّكْكِ
كَأَمَّا الْعَنْبَرُ فِيهَا قَدْ فُرِكَ
وَالْمِسْكُ فِي قِيْعَانِهَا أَمْتَسَكُ
نَاسِكَةٌ نَهَارَهَا مَعَ النَّسْكِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَاشْتَرَكَ
وَأَنَّ أَنْ يَأْتِيَ الْمُحِبُّ الْمُنْهَتِكُ
غَلَقَتْ الْبَابَ وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ (٢)

وَمِنَ السَّحْرِ الْمُنْتَحَلِ وَالْكَلَامِ الْمُنْتَحَلِ فِي حَالَاتِهِ كُلِّهَا وَصِفَاتِهِ

(١) اللُّجَيْنُ : الْفِضَّةُ .

(٢) هَيْتُ لَكَ : أَيِ أَقْبِلْ وَهَلِّمْ ، وَقِيلَ هَيْتُ لَكَ وَهَيْتِ بِضَمِّ التَّاءِ وَكسرها ،

وَانظُرْ تَفْصِيلَ مَا وَرَدَ حَوْلَهَا مِنْ أَوْجِهٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَةَ (هَيْتُ) .

بأسرها ما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر بن الأبار موصولاً بمدح ذى
الوزارتين القاضى - أدام الله أيامه وأسبغ علينا أنعامه - وهو :

وناصيح اللون أسودِ الحدقة
كذى دلال لم يستطع أرقاً
فنام والنور واصل أرقه
فصد عن ذا وخص ذا مقه (١)
لا تمتروا فى الذى تضمنه
تلك سويداء قلب من علقه
نيلوفرأ أحكمت بدائعه
لا يحتوى خلقه ولا خلقه
طاهر ثوب كان خالقه
من عرض قاضى القضاة قد خلقه
سليل عباد الذى حشمت
منه وجوه السحائب الغدقة (٢)
المجد أفق غدا له قمراً
والحق حق حوى به طبقه

ومما يشاكل هذا بداعةً ويشبهه بزاغة قوله أيضاً فيه موصولاً
بمدح ذى الوزارتين أبى عمر عبّاد - أعزه الله وأحسن ذكراه - وهو :

إذا التور خص بمدح فما
لنيلوفر الرّوض لا يعبد
وأوراقه كعبة من لجين
توسطها الحجر الأسود
توسط عبّاد المرتجى
لظي الضرب والحرب إذ توقد
همام إذا هم أضحت له
متون الظبي والقنا ترعد
إذا شئت وجدان أفضاله
وجدت وشرواه لا يوجد

قوله : وشرواه الشروى المثل .

وأنشدنى أيضاً لنفسه فى تشبيه خلقه وخلقِهِ ببيتين سرّيين وهما :

(١) الأمقة من الناس : الذى يهيم على وجهه لا يدرى أين يتوجه ، والمكان القفر

لا ينبت فيه شجر .

(٢) من الحشمة : الحياء والانقباض ، احتشم منه وعنه وحشمه وأحشمه :

أضحله .

- كَانَ نَيْلُوفَرُ الرِّيَاضِ إِذَا مَا اللَّيْلُ أَذْجَى أَوْ هَمَّ أَنْ يُدْجَى (١)
 رَوْضَةٌ بَضَّةٌ مُنْعَمَةٌ تَضُمُّ طِفْلاً لَهَا مِنَ الرِّزْجِ (٢)
 وَمَا شَبَّهَ أَيْضاً فِيهِ أَسْوَدُهُ بِالرِّزْجِيِّ قَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلَمِيِّ (٣)
 وَهُوَ تَشْبِيهُ مُفْضَلٌ لَهُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْهُ وَهُوَ :
 وَيَلُوفَرٍ غَدَا يُخْجَلُ الرَّأْيَ نِي إِيَّهِ نَفَاسَةً وَغَرَابَةً (٤)
 كَمَلِيكَ الْأَحْبُوشِ فِي قَبَةِ بِي——ضَاءٍ يَرْنُو الدَّجَى فَيُعْلَقُ بِأَبَةِ (٥)
 جِنْحُ لَيْلٍ لَمَّا تَجَسَّمَ شَخْصاً قَدْ مِنْ صَفْحَةِ الضُّحَى جِلْبَابَةً
 الْأَحْبُوشِ لُغَةً فِي الْحَبَشِ .

قال أبو الوليد : ولي في لونه وصف ربما طابق وتمثيل عساه وافق

وهو :

وَرَوْضَةٌ رَضِيَتْ عَنْ صَوْبِ الْحَيَا الْمُسْتَمِرِّ
 فَأَظْهَرَتْ نَوْرَ نَيْلُو فَرٍ مُنِيرٍ أَغْرُ
 كَمِحْبَرٍ مِنْ لُجَيْنٍ فِيهِ بَقِيَّةُ حَبْرِ

قال أبو الوليد : قد أكملت من النواوير ما وقع إلي في الوصف

(١) دجا الليل دجواً دجواً : أظلم .

(٢) البض : الرقيق الجلد الممتلئ في الذخيرة (للزنج) .

(٣) مضت ترجمته

(٤) البيتان الأول والثاني في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢١٤ ورواية صدر

البيت فيها (يخجل الرأي) .

(٥) في الذخيرة (يدنو) .

الكثير وبقيت نواوير وقعت إليّ فيها أوصاف ، يسيرة ، وقطع قليلة
ولكنّي أذكرها على علاّتها ، وأورد منها ما حسنت تشبيهاً وجادت
صيفاته فمنها نور اللوز .

نور اللوز

كاد أن يكون أبكر النواوير ، وأول الأزهير ، ولم أعامله بالتأخير
إلا لقلّة الوصف له والقول ، وذلك كلّ ما يأتي ممّا يبكر ، وإنما عرض له
التأخير من أجل قلة القول فيه والتشبيه له . فمما استحسن في نور
اللوز قطعة فائقة الوصف رائقة الرّصف أنشدنيها لنفسه صاحب الشرطة
أبو بكر بن القوطيّة موصولة بمدح ذي الوزارتين أبي عمرو عبّادٍ أعزّه الله :

وأبيض اللون ذفليّ غلائله	عليه من نسج كانوايين أبراد
يقول مُبصره سُبْحانَ فاطره	كيف استقلت بهذا الحسن أفراد
يزور والنور لم تفتح كائمه	ولا تقدّمه للزور ميعاد
كأنه رائد أو طالع نجداً	أو قائد وصنوف النور أجناد
تشبه الخوخ في حسن النوار به	ياقوم حتى من الأشجار حساد
نور حوى قصب المضمار منفرداً	كما حوى قصبات السبق عبّاد
الطاعن الخيل قدماً والقنا قصيد	والسيف مُقَصِّف والرّمح مُناد ^(١)
والموقد النار جوداً للضيوف وقد	جف المراد وخفّ الرجل والزاد

وللوزير أبي عامر بن مسلمة فيه أبيات حسنة السبك جيّدة

الحبك وهي :

يازهر اللوز لقد فقت في الـ بإحسان والحسن فانت البديع

(١) القصيد من الرماح : المتكسر ، ومناد : من أود كفرح يأود أوداً : اعوج ، والنعت أود

وأوداء ، وأذته فاناد ، وأوذته فتأود : عطفته فانعطف .

قد حُزَّتْ حُسْنَيْنِ وَحَازَتْ نَوَا
 تَعْلُو بَهَارَ الرُّوضِ حُسْنًا فَقَدْ
 قَدْ أَمَّكَ الوُصَّافُ إِذَا شَبَّهُهُ
 كَالْمَشْرَبِ فِي حُمْرَةٍ
 قُلْتُ إِذْ عَايَنُوا
 النَّوَابِرَ اغْتِيلَاءً فَمَا
 وير الرُّبَى حُسْنًا فَأَنْتَ الرَّفِيعُ
 أَصْبَحْتَ مَخْصُوصًا بِحُبِّ الرِّيعِ
 غَيْرِكَ بِالْحَدِّ وَجَارَ الْجَمِيعِ
 مَنْ يَرُهُ أَصْبَحَ لَا يَسْتَطِيعُ (١)
 جَمَالَكَ النَّوْرَيْنِ عِنْدَ الطُّلُوعِ
 فِي زَهْرِهَا غَيْرَ سَمِيعِ مُطِيعِ
 قال أبو الوليد :

وقع إليّ في نُورِ الأَقْحَوَانِ قَطْعَ تَسْتَوِيٍّ عَلَى مِيدَانِ الأَحْسَانِ أَنَا
 ذَاكِرٌ جُمَلَتَهَا وَمُورِدٌ جَمِيعَهَا .

الأقحوان (٢)

قال أبو الوليد : أنشدني لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة
 بيتين بديعين في التمثيل رفيعين في التشبيه وهما :
 وَأَقْحَوَانٍ رَاقِسِي نَوْرُهُ إِذْ ظَلَّ يَرْنُو بَعْيُونِ حَسَانُ
 كَأَنَّهُ مُدْهَنَةٌ مِنْ مَبْهَأِ مُحْكَمَةٍ فِي وَسْطِهَا زَعْفَرَانُ
 وللفقيه أبي الحسن بن عليّ فيه قِطْعَةٌ مَعْجَبَةٌ تَضَمَّنَتْ أَوْصَافًا

(١) بياض في الأصل .

(٢) جاء في معجم الألفاظ الزراعية ١٥٩ ما يفيد أن الأَقْحَوَانِ جنس من زهر مشهور من الفصيلة المركبة يسمى زهر الغريب في دمشق وأراولة في مصر والكلمة العلمية معناها زهرة الذهب ونقل ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية (٤٨/١) ، (٤) عن ديسقوريدوس ما يفيد أن للأَقْحَوَانِ ورقة شبيهة بورق الكزبرة وزهر أبيض والذي في أواسطه أصفر وله رائحة فيها ثقل وفي طعمه مرارة ، وأشار أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات ٢٠٣ بتحقيق المستشرق الألماني برنهارد - إلى أن الأَقْحَوَانِ من رياحين البروهي طيبة الريح ، وذكر عن الأعراب أنه البابونج وكذلك عند الأصمعي ، ويجمع على أقاح قال القطامي :
 وما ريج روض ذي أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن عازب

مغربةً موصولةً بمدح ذى الوزارتين القاضى - أطال الله بقاءه وأدام فى
درج العز ارتقاءه وهى :

إذا مُيزتْ أنوارُ كلِّ خميلةٍ فنورُ الأقاح العَضَّ منها ثغورها
تألَّقنَ دُرًّا فوقَ أغصانِ سُنْدُسٍ ونكهةً طيبَ بالصِّبا تستثيرُها
شكتَ قَضَفًا بينَ التَّواويرِ فاتَّقَت وجاءتْ إلى عُذرانِها تَسْتَجِيرُها
بنورِ ابنِ عبادِ أضاءتْ وأشْرقتْ ومن وجهه السَّامى تألَّفَ نورها
ولو أَمَلتُهُ واستجارتْ بِقربِهِ لَدَلَّ مُناوِياها وَعَزَّ نَصِيرُها

قوله : شَكَتْ قَضَفًا القَضَفُ الرَّقَّة . وهو تَمْلِيحٌ مَلِيحٌ فى صحبتها
العُذْر وربما كانت فى غيرها .

ومن المستطرف المستظرف قوله :

كَانَ نَوْرَ الأَاقِحِ دُرٌّ تَضَمَّنَ عَسَجَدُ
أَوْ لَوْلُوْهُ حَوْلَ صُفْرِ مِنَ اليَواقِيتِ نُضِيدُ
وقد بدا فى غُصْبون مُحْضَرَّةٌ كالزُّبْرَجَدِ
تُهدى لَكَ المِسْكَ فَوْحاً مَعَ الأَصَابِلِ والنَّدِ
يَزِيدُهُ اللِّحْظُ حُسناً والعَيْنُ نُوراً مُجَدِّدُ

ومن السابغ بُرد كماله ، السائغ ورد جماله ، قول أبى جعفر بن
الأبَّار فى بركةٍ على جوانبِها أقحوانٌ وهو :

وبركةٍ بالأقاح مُحدقة تُخالُ رِيحُ الصِّبا بِها صَبَّةُ
يَحُلُّ فيها الحبابُ حُبوتُهُ إِذا جَرَتْ لِلصِّبا بِها هَبَّةُ
كانَها راحةٌ بِها غَضَنُ حَفَّتْ مِنَ الدَّرِّ حَوْلَها لَبَّةُ

شبهه تكسر الماء براحة وهى الكف فيها غَضَنٌ والغَضَنُ التَّشْجِجُ

والتكسّر . وشبّه أبيضاض الأُفحوانِ واتّصاله وإحداقَه بالبركة بلبّة دُرّ .
واللبّة العقد العالی سُمّي بموضعه من الصّدر .

ولأبي القاسم البلميّ فيه تشبيهٌ حسنٌ أنشدنيه وهو :
راقَ عينيّ منظرُ الأُفحوانِ بنفيس اللّجينِ والعقيانِ
كفُّه بالحبيبِ سوِّكُ فاهُ بعد عودِ الأراكِ بالرّعفرانِ

قال أبو الوليد : ولى في بركةٍ عليها أُفحوانٌ تشبيهٌ تضمّنه بيتان

وهما :

.... بالثرى صيرفنيّ له نُطوعٌ من اللازوردِ البديعِ (١)
.... بُ فيه من الأُفحوا ن درهمٌ من ضربِ كفّ الربيعِ

هذا ما عثرتُ عليه وانتهيتُ باجتهادى إليه في نور الأُفحوان من

التشبيّهات الحسان .

وحين أكملته أُوردُ ما وقع إليّ من المستندر في الشقير .

الشقير

ويُسمّى شقائق التّعمان (٢) وسأذكرُ ما رأيتُ من التشبيه في هذا

الباب إن شاء الله .

(١) بياض في الأصل ، وكذلك الشأن في الشطر الذى يليه .

(٢) نقل ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية (٦٤/٣) عن

ديسقوريدوس ما يفيد أن الشقائق صنفان برى وبستاني ، ومن البستاني ما زهره أحمر ،
ومن ما زهره إلى البياض ، وله ورق شبيه بورق الكزبرة إلا أنه أدق ... والبرى منه أعظم
من البستاني وأعرض ورقا ... ولن زهره أحمر ، ومنه ما لون ورقه أسود وأصفر ، وانظر

كتاب النبات لأبي حنيفة الدينورى . بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ص ٧٠ .

فمن جَيِّد التشبيه فيه وحُسْن التمثيل له قول الفقيه أبي الحسن بن عليٍّ موصولاً بمدح ذى الوزارتين القاضي - كَبَتَ اللهُ أَعْدَاءَهُ وَأَدَامَ عَلَيْهِمُ إِعْدَاءَهُ - وهو :

إِنَّ الشَّقَائِقَ مِنْ حُمْرِ الْخُدُودِ قَدَ اشْتَقَّتْ وَمَسْوُودُهَا مِنْ حَالِكِ اللَّيْمِ (١)
 كَانَهَا فِي الْمُرُوجِ الْخَضِرِ أَيْبِيَّةً حُمْرٌ قَدَ اصْطَلَمَتْ مِنْ قَانِيءِ الْأَدَمِ (٢)
 يَابْنَ الَّذِي قَدَ حَمَاهَا فِي مَنَايِبِهَا فَلَمْ تَزَلْ فِي حَمِيٍّ مِنْهُ وَفِي حَرَمِ
 مَعْرُوفَةٍ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ مَحْفُوظَةٌ الْمُنْتَهَى مَرْعِيَّةُ الدَّمِ
 جَدَّدَهَا مِنْ وَكَيْدِ الْعَهْدِ حُرْمَتِهَا وَصَلَّ لَهَا مُحَدَّثَ الْإِكْرَامِ بِالْقَدَمِ

قوله : يابن الذي قد حماها يخاطب ذا الوزارتين القاضي - أعزّه الله - لأنه ابن النعمان الملك الذي نُسِبَتْ إليه الشَّقَائِقُ وجاء في الخبر قال : خرج النُّعْمَانُ يوماً فمشى حتَّى انتهى إلى الظُّهْرِ ، وقد اعْتَمَّ بِنَيْبَتِهِ مِنْ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَإِذَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الشَّقَائِقِ شَيْءٌ لَمْ يُرْ مِثْلُهُ . فقال : احموها فحموها فَسُمِّيَتْ شَقَائِقُ النعمان بذلك حكى هذا أبو حنيفة ورفعهُ إلى أَعْشَى (قيس) (٣) وكان حاضرَ النعمان يومئذ .

وله أيضاً فيه آياتٌ عجيبةٌ ضمَّنها هذا المعنى وهى :
 أَصْبَحَتْ طُلُعُ الشَّقَائِقِ نَهْباً لِحُجْنَةِ الْوَرَى بِكُلِّ طَرِيقِ

(١) الأبيات في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ٢٠١ بمدح المعتضد .

(٢) في الذخيره (آنية) .

في المصدر السابق (واضطربت) .

(٣) زيادة يقتضيهما السياق .

لَوْ أُعِيدَ النُّعْمَانُ حَيًّا لَرَاعَى غَيْرَ وَإِنْ لَهَا مِضَاعُ الْحُقُوقِ
وَكَأَنَّ السَّوَادَ فِيهَا غَوَالٍ بُسِطَتْ فِي مَدَاهِنٍ مِنْ عَقِيقِ
أَوْ نَثِيرٍ مِنْ طَيِّبِ الْمِسْكِ مُحَضًّا صُبَّ بِالْعَمْدِ فِي كُؤُوسِ الرَّحِيقِ
ومن الصفات السنّية المحكّمة قول الوزير أبي عامر بن مسّلمة وهو :

يَأْتِدِي قُمْ اصْطَبِخْ وَعَلَى الْعُودِ فَاقْتَرِحْ
إِنَّمَا الْعَيْشُ بِالسَّمَا عِ وَبِالنَّايِ وَالْقَدَحِ
وَتَأْمَلْ حُسْنَ الشَّقَا ثِقِ تَنْشِطُ إِلَى الْمَدْحِ
مِثْلَ كَأْسِ الْعَقِيقِ فِي قَاعِهِ الْمِسْكِ يُلْتَمَحُ
ومن الصفات المستحسنّة فيه قول صاحب الشرطة أبي بكر بن القوطيّة وهي :

وَحَالِكِ اللَّوْنِ كَلَوْنِ الْمِسْكِ كَأْتَمَا أَحْدَاقُهُ مِنْ سُكِّ (١)
مُدَّرِجِ ثَوْبًا دَقِيقِ السِّلْكِ كَأْتَمَا صِبَاغُهُ بِاللِّكِّ (٢)
أَزْرَى بِلَوْنِ الْوَرْدِ لَوْ مَا يَحْكِي نَسِيمُهُ كَانَ بَغِيرِ شَكِّ
مَا بَيْنَ أَنْوَارِ الرَّبِّي كَالْمَلِكِ

قال أبو الوليد : ولي فيه بيتان ربّما انفردا بتشبيهيه وهما :
رِيَاضٌ يُحْيِيهَا الْحَيَا بِأَنْسِكَابِهِ فَتَسْفِرُ لِلنُّظَارِ عَنْ مَنْظَرٍ نَضْرٍ
... تَ فِيهَا الشَّقَائِقُ خِلْتَهَا شَعُورُ الْعَذَارَى لُحْنٌ فِي الْخَمْرِ الْحَمْرِ (٣)

(١) السُّكُّ : البئر الضيقة ، ومن الطرق : المسند ، والسُّكُّ : طيب يتخذ من الرامك من فوقاً منخولاً معجوناً بالماء ويعرك شديداً ويمسح بدهن الخيري لئلا يلصق بالإناء ، ويترك ليلة ، ثم يسحق المسك ويُلقه ويعرك شديداً ويقرّص ويترك يومين ثم يتقب بمسلة وينظم في خيط ويترك سنة وكلما عتق طابت رائحته .

(٢) اللِّكُّ : نبات يصبغ به .

(٣) بياض في الأصل ولعل تقدير ذلك (إذا أزهرت) .

.... (١) الشَّقَائِقُ عَلَى غَيْرِهَا أُورِدَتْ وَلَا وَجَدْتُ فِي وَصْفِهَا سِوَى

مَازَكَرَتْ .

وَوَقَعَتْ إِلَيَّ فِي نَوْرِ الْبَاقِلَاءِ صِفَاتٌ جَيِّدَةٌ وَتَشْبِيهَاتٌ حَسَنَةٌ
أَذَكَرَهَا بِأَسْرَهَا وَأُورِدُ جَمِيعَهَا .

نور الباقلاء (٢)

فمن بديع ما قيل فيه ورفيع ما شُبِّه به قول صاحب الشرطة
أبى بكر بن القوطيَّة وهو :

وَبَنَاتٍ لِلْبَاقِلَاءِ تَبَدَّتْ كَعُيُونٍ تَفْتَحَتْ مِنْ رُقَادٍ

فَبَيَاضٍ مِنْهَا مَكَانَ بَيَاضٍ وَسَوَادٍ مِنْهَا مَكَانَ سَوَادٍ

وقال أبو جعفر بن الأَبَّار يصفه في قطعة موصولة بمدح أبى -

أطال الله لى عُمره ، ورزقنى بره ، فاستكمل الصِّفَاتِ بِأَبْدَعِ تَشْبِيهَاتِ
وَأَرْفَعِ تَمَثِيلَاتِ وَالْقِطْعَةَ :

وَبَاقِلَاءٍ بَاقِلٍ يُعْجِبُ حُسْنًا مِنْ رَمَقٍ

كَأَنَّهَا نُورُهُ إِذْ رَاقَ خَلْقًا وَخُلِقَ

أَذْقَانُ بِيضٍ غَلَّقَتْ لِمُبْصِرٍ وَمُنْتَشِقٍ (٣)

أَوْ أَعْيُنٌ حُورٌ جَرَتْ إِلَى مَاقِيهَا الْحَادِقِ

وَهُدْبُهَا مُسْتَبْطِنٌ فِي وَرْقٍ مِنْ الْوَرَقِ

أَوْ جِنْحُ لَيْلٍ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقَايَا فِي فَلَقِ (٤)

(١) بياض في الأصل ولعل تقدير ذلك (فهذا فضل) .

(٢) في شرح أسماء العقار ص ٨ ما يفيد أن الباقلاء : هو الجرجير واسمه المشهور في المدن الفول ، وأشار ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية (٧٨/١) إلى أن للباقلَاءِ زهرة شبيهة بلون الورد الأحمر .

(٣) من غلف لحيته بالطيب والحناء والغالية وغلفها : بطنها .

(٤) الجنح : الجانب والكنف والناحية ، ومن الليل الطائفة .

أَوْ سَبَّحٌ فِي دُرِّرٍ أَوْ تُنُّنٌ بِهَا بَلَقُ (١)
 كَانَ لِلْمِسْكِ بِهَا مَشْقًا بُنَيَاتِ طُرُقِ (٢)
 وَعَرَفَهُ مُعَرَّفٌ بَأْتُهُ فِيهِ فِتْقُ
 كَانَ جُلَّ عَامِرٍ مِنْ خَلْقِهِ طَيِّبًا خُلِقُ
 مَلَكٌ إِذَا صَالَ عَفَا حِلْمًا وَإِنْ سَيْلَ اندَفَقُ
 إِنْ بَخِلَ الْعَيْثُ سَخَا أَوْ عَنَفَ الدَّهْرُ رَفَقُ

قوله : جرت إلى مآقيها الحدقُ بديعٌ غريبٌ لأنَّ السَّوَادَ الذي جعله حَدَقَةَ الْعَيْنِ هو في نَاحِيَةِ من النُّورِ وليس مُتَوَسِّطًا له . فكانَ الحدَقَةُ قد جرت إلى الماق وهو طرف العين ممَّا يلي الأنفَ . وهُدْبُهَا مستَبْطِنُ البَيْتِ وهو مما أكمل به الوصف وتم التشبيه لأن في الورقة التي ظاهرها تلك الصفة المتقدمةُ خُطُوطًا سُودًا جَعَلَهَا هُدْبًا لِتِلْكَ العيون وهي التي عنى بقوله : كَانَ لِلْمِسْكِ به مَشْقًا بُنَيَاتِ طُرُقِ . وقوله : أَوْ تُنُّنٌ بِهَا بَلَقُ جمع تُنَّةٌ وهي الشعر التي تكون على مؤخَّرِ الرسغِ .

قال أبو الوليد :

ولى فيه تَشْبِيهُ رَبَّمَا يُوَافِقُ وَتَمَثِيلٌ كَأَنَّهُ يَطَابِقُ وهو :
 أرى الباقِلَاءَ الباقِلَ اللون لابساً بُرودَ سَمَاءٍ مِنْ سَحَائِبِهَا غَدَى (٣)
 ترى نُورَهُ يَلْتَاخُ في ورقاته كَبَلَقِ جِيَادٍ في جلال زُمُرْدِ

(١) السَّبَّحُ : كساء أسود ، وتَسَبَّحٌ : لبسه ، وكساء مسبح : عريض .

(٢) بُنْيَةُ الطَّرِيقِ : طريق صغير يتشعب من الجادة

(٣) البيتان في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣٣ ، ونفح الطيب

(٤٢٨/٣) وفيهما (أتى الباقلاء) .

ودخلتُ بُسْتَاناً لى مع الفقيه أبى الحسن بن علىّ وكان بها باقلاء
قد نُور فأخذ من نُورِهِ وصنع مصراعاً وسالنى إجازته ففعلتُ وزدتُ
بيتاً آخر . ومصراعهُ .

سَبَجٌ فى كَأْسِ دُرٍّ أَوْ كُسُوفٌ وَسَطَ بَدْرِ (١)

وزيادتى :

أَوْ غَوَالٍ فى لآلٍ أَوْ غِشَاءٍ بَيْنَ فَجْرِ

ووقعت إلى أيضاً فى الباقلاء بعينه قطعٌ مُستظرفةٌ وأوصاف
مستظرفة تشبّهت بالنور فرأيتُ ذكراً فمناها وصف الوزير أبى عامر بن
شهيد - رحمه الله - فى قطعة بديعة بزيغة مطبوعة مصنوعة وهى :

إِنَّ لآلِيكَ أَحَدَتْ صَلْفَا فَاتَّخَذَتْ مِنْ زُمُرْدٍ صَدَقَا (٢)

تَسْكُنُ ضَرَائِهَا الْبُحُورُ وَذَى تَسْكُنُ لِلْحُسْنِ رَوْضَةً أَنْفَا (٣)

هَامَتْ بِلُحْفِ الْجِنَانِ فَاتَّخَذَتْ مِنْ سُنْدُسٍ فى جَنَانِهَا لُحْفَا (٤)

تَثْقُبُهَا بِالثُّغُورِ مِنْ لَطْفٍ حَسْبُكَ مِنَّا بَيْرٌ مِنْ لَطْفَا (٥)

أَكُلُ ظَرِيفٍ وَطَعْمُ ذَى أَدْبٍ وَالْفُؤْلُ يَهْوَاهُ كُلُّ مَنْ ظَرُفَا

(١) هذا الشطر هو من إجازة أبى الوليد ، وأما الزيادة فتتمثل فى البيت الذى

يليه .

(٢) الأبيات فى ديوان ابن شهيد المجموع ١٢٧ ، ١٢٨ ، وانظر نفع الطيب

(٢٤٤/٣) والذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ٤٢ .

(٣) فى الديوان (دُرَّتْهَا) .

(٤) فى نفع الطيب (الجبال) .

(٥) رواية البيت فى نفع الطيب :

شبهتها بالثغور من لطف حسبك هذا من بر من لطفها

وقال لى الفقيه أبو الحسن بن على : رأيتُ فى يدِ صديقِ حَبَّةَ
 باقلاءٍ شديدةِ سوادِ القشرِ وكلفنى وصفها فقلتُ بديهةً :
 فَصٌّ مِنَ العَاجِ حُقُّهُ سَبَجٌ مُمْتَرَجٌ بِالجمالِ مُزْدَوِجٌ
 فِيهِ سَوادٌ يَزِينُ غُرَّتَهُ كَأَنَّهُ مُقْلَةٌ بِهَا دَعَجٌ
 يُؤَثِّرُ رَطْباً وَيَابِساً أَبَداً وَيَسْتَبى النَّفْسَ فَوَحُهُ الأَرِجُ

وأخبرنى أيضاً قال : طالعتُ بُسْتاناً لى بَغْرَبى قُرْطَبَةَ وكان فيه
 باقلاءً فجعلَ بعضُ الغلمانِ يُنقى منه وَيُناولنى فقلتُ :

رِيمٌ سَبَا مُقْلَتى تَوَرُّدُهُ يَسْلُ سَيْفَ الهوى وَيُعْمِدُهُ
 جَارَ عَلى جَرَجِرٍ فَخَرَّبَهُ وَظَلَّ مِنَ قِشْرِهِ يُجَرِّدُهُ
 وَكَلِّمًا ابْتَزَّ ثَوْبَ واحِدَةٍ مِنْها حَبَّتى بِحَبِّها يَدُهُ
 فقلتُ مُسْتَظْرِفاً لِفِعْلَتِهِ وَزادَ فى نُبْلِهِ تَعَمُّدُهُ
 كَلالِمًا لا عِدْمَتُ حُسْنِكُما يَنْشَقُّ عَن لُولُؤِ زَبْرٍ جَدُهُ
 فارتابَ بى واثنتى على خَجَلٍ وَحَبُّهُ ساقِطٌ يُبِدُّهُ

قَوْلُهُ : جَارَ عَلى جَرَجِرٍ أَلْجَرَجِرُ لَعَةٌ فى الباقلاءِ . وقوله : يَنْشَقُّ
 عَن لُولُؤِ زَبْرٍ جَدُهُ فاللؤلؤانِ مِنْ هذا وهذا الحَبِّ والثَّعْرُ ، والزَّبْرَجَدانِ
 مِنْهُما القِشْرُ والشَّارِبُ الأَخْضِرانِ . وفى هذه القطعةِ من جَيِّدِ الصِّياغَةِ
 وَحُسْنِ الصِّياغَةِ ما يُعْجِبُ الناظِرَ وَيُعْجِزُ الخاطِرَ .

قال أبو الوليد :

وفى بَزْرِ الكَتانِ أوصافٌ موسومةٌ بالإحسانِ أنا ذاكرها إن شاء الله .

نور الكتان (١)

قال أبو جعفر بن الأَبَّار يصفه بوصفٍ نادر مختار وهو :
 وبزر كتان أوفى بكلِّ وهدي ونجد
 كأنه حين يبدو مداهن الألازورد
 إذا السماء رأته تقول ذا من فرندى

قال أبو الوليد : ولي فيه قطعة :

كأن نور الكتان حين بدا وقد جلا حسنه ضدا الأئفس (٢)
 أكف فبروز معاصمها قد سترتهن حضرة الملبس
 أولا فزرق الياقوت قد وضعت على بساط تروق من سندس

ووقع إلى في نور الغالبة وصف حسن الذكر أذكره لئلا أدع
 مستحسنا أجده .

نور الغالبة

قال الوزير الكاتب أبو القاسم بن الخراز يصفه فأحسن وأغرب
 وأبدع وأعجب وهو :

ورختجى سحابي قوائمه حضر حكي ياسميناً في تفتحه
 تميس قضبائها والريح تعطفها مشى النزيف تهادى في ترنجه (٣)
 كأن أوراقه في حسن حضرتها من الزمرد أسناه وأملجه

(١) انظر النبات لأبي حنيفة الدينوري بتحقيق الدكتور محمد حميد الله

ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) الأبيات في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول ١٣٣ .

(٣) النزيف : السكران الذي ذهب عقله .

.... سَطَ فِي الْأَنْهَارِ مَنْبِتَهُ فَفَازَ بِالْعَرَفِ فِي ... حِه (١)
وَعَالَبَ النَّوْرَ حَتَّى قِيلَ غَالِبَةٌ فَحَسْبُهُ غَالِبًا كَافِي مُرَشِّحِهِ

قال أبو الوليد : ووقع إلي في نور الرُّمَّانِ قِطْعَتَانِ حَسَنَتَانِ وَلَمْ
يَتَأَخَّرَ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِتَأَخُّرِ وَقْتِهِ وَإِبْطَائِهِ عَنْ أَوَانِ نُظْرَائِهِ .

نور الرمان

فمن التشبيهات العُقم فيه قول أبي القاسم بن هانئ الأندلسي في
كِمَامَةِ نُورَةٍ سَقَطَتْ مِنْهُ وَهُوَ :

وَبِنْتُ أَيْكِ كَالشَّبَابِ النَّضْرِ كَأَنَّهَا بَيْنَ الْعُصُونِ الْخُضْرِ (٢)
جَنَانُ بَازٍ أَوْ جَنَانُ صَقْرِ قَدْ خَلَفْتُهُ لِقْوَةٌ بِوَكْرِ (٣)
كَأَنَّمَا مَجَّتْ دَمًا مِنْ نَحْرِ أَوْ سُقِيَتْ بِجَدُولٍ مِنْ خَمْرِ (٤)
لَوْ نَبَّتْ فِي تَرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ لَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرُ صَرَفَ الدَّهْرِ (٥)
جَاءَتْ بِمِثْلِ النَّهْدِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ اللَّثَاثِ الْحُمْرِ (٦)

فِي مِثْلِ طَعْمِ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ

(١) بياض وطمس في الأصل . ولعل تقدير الكلام في صدر البيت (في أهبى توشحه) .

(٢) الأبيات في ديوان ابن هانئ ٣٢٩ .

(٣) الجنان بالفتح : القلب لاستتاره في الصدر من جن الشيء جنًا إذا ستره ،
والباز : نوع من الصقور . اللقوة : المرأة السريعة اللقاح . كالناقاة والعقاب الأنثى .

(٤) في الديوان (أو نشأت في تربة من جمر) .

(٥) في الديوان (أو رويت بجداول من خمر) .

(٦) اللثات : جمع لثة وهي ما حول الأسنان من اللحم .

ومن التَّشْبِيهَاتِ الأنيقة والتمثيلات الدقيقة قَوْلُ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ
الأَبَّارِ فِي كَمَايِمِ هَذَا التُّوَارِ وَهُوَ :

أَعْجَبْتُ بِأَيْدِكَ الرُّمَانَ حِينَ بَدَأَ نُورُهُ المَحْتَوَى مَدَا السَّبْقِ
مِثْلَ أَكْفِ الدَّمِي مُحَنًّا أَوْ كَبْنَانِ الحَمَائِمِ الوُرْقِ
أَوْ كَحِقَاقِي تَفْتَحَتْ فَبَدَتْ غَلَائِلُ وَسَطُهَا مِنَ البَرَقِ

الجلنار (١)

وللوزير أبي عامر بن مسلمة في وصفِ الجلنار أبياتٌ بديعةٌ رفيعةٌ

المقدار وهي :

وَجُلْنَارٍ بِنُورِهِ يَزْهَرُ أَوْرَاقُهُ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَبْصَرَ
قَدْ شَبَّهَ الوَرْدَ فِي تَضَاعُفِهِ وَقَارَبَ اللُّونَ حُلَّةَ العُصْفُرِ
مِثْلَ ثِمَارِ الرُّمَانِ زَاهِرَةً لَكِنَّهُ مَنظَرٌ بِلَا مَحْبَرٍ

قوله : منظرٌ بلا محبرٍ أراد أنه لا يعقد كما يعقد نورُ الرمان .

قال أبو الوليد : ولي فيه قطعةٌ ربُّما وافقتُ صِفَتَهُ وطابقتُ هَيْئَتَهُ

وهي :

وَجُلْنَارٍ تَبَدَّى يَخْتَالُ فِي جُلِّ نَارِ
أَحْلَى حُلَى مِنْ جَمِيعِ الأَنْوَارِ والأَزْهَارِ
حَكَى خُدُودَ العَدَارِي قَدْ شَرَّبَتْ بِأَحْمَرِ

(١) الجلنار : معناه بالفارسية ورد الرمان كما ذكر صاحب كتاب الألفاظ

الفارسية المعربة ٤٣ ، وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية (١٦٤/١) وأفاد أن منه ما هو أبيض ومورد وأحمر وخلقته مثل خلقة ورد الرمان .

وَحُمِّشَتْ بِأَكْفِ الْأَلْحَاطِ وَالْأَبْصَارِ

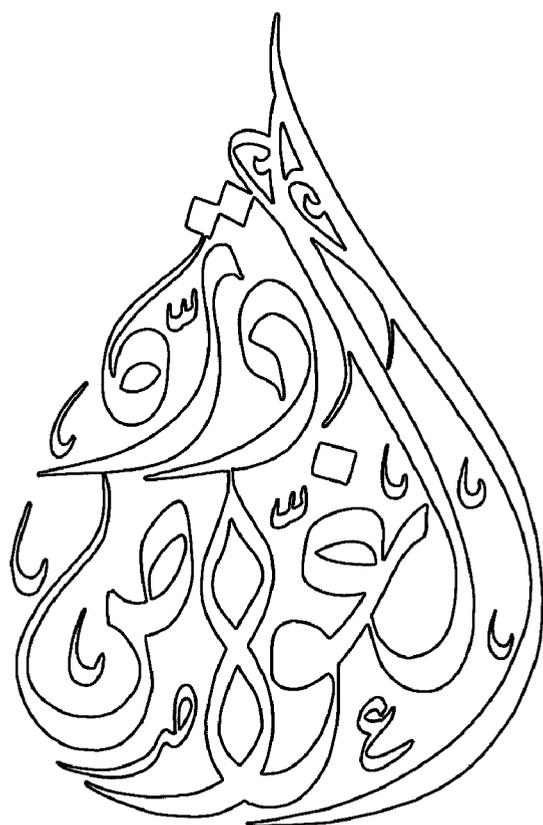
جَلَّ نَارٌ فِي الْقَافِيَةِ مَفْصُولٌ وَإِنَّمَا هُوَ جُلٌّ مِنْ نَارٍ وَاتَّفَقَ فِيهِ تَشْبِيهُ

وَتَجْنِيسٌ .

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر :

هذا ما عثرتُ عليه وانتهيتُ البَحْثُ إليه . وإن وقع إليَّ بَعْدُ وَصْفٌ رَائِقٌ
أو معنَى فائِقٌ الْحَقُّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ووضعتُه بموضعه من كلِّ باب
والبشر غير معصوم ومن بذل جُهْدَ نَفْسِهِ فليس بِمَذْمُومٍ . وحسبى أَنِّي
قد جمعتُ من غرائب الأندلسيين ، ونوادِرهم وأوردتُ من فضائلهم
وما أثرهم ما يمكن أن يتعمد به ، ويصفح من أجله عمَّا عَرَضَ مِنْ زَلَلٍ
أو وقع مِنْ حَطَلٍ فَرُبَّمَا أَدْخَلْتُ لِأَهْلِ عَصْرِي مَا يَقْرُبُ مِنَ الْبَدِيعِ
وَلَا يَبْعُدُ عَنِ الرَّفِيعِ فَمَنْ تَقَدَّ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَجْهَلُهُ ، وَإِنَّمَا تَحَفَّظْتُ
مِنْ نَاطِمِيهِ ، وَأَغْضَيْتُ لَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا فِي آيَاتِ يَسِيرَةٍ
وَصِفَاتِ غَيْرِ كَثِيرَةٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالْهَادِي إِلَى سِوَاءِ
الطَّرِيقِ .

تمَّ كِتَابُ الْبَدِيعِ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .



مكتبة الدكتور وزير الوطن العربية

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام .
- ٢ - فهرس القوافي .
- ٣ - فهرس الرسائل والقطع النثرية .
- ٤ - فهرس الأزهار والأنوار .
- ٥ - فهرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية .
- ٦ - فهرس الألفاظ اللغوية التي شرحها المؤلف .
- ٧ - فهرس البلدان والأماكن .
- ٨ - فهرس المصادر والمراجع .



فهرس الأعلام

(أ)

- أحمد بن سعد : ١٢
 أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير : ١٠٠ ، ٣٥
 أبو إسحاق بن حمام : ٢٦
 إسماعيل بن بدر : ١٠٠
 إسماعيل بن محمد بن عباد : ٧٣
 أبو الأصبغ : ٥١ ، ٥٢ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٩ ،
 ١٤٦ ، ٢١
 أبو الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قزمان : ١٦
 أعشى قيس : ١٥٤
 أبو أيوب سليمان بن بطلال المتلمس : ١٧
 أبو أيوب بن عباد : (ذو الوزارتين) ١٠٩ ، ١٢٩

(ب)

- ابن بطلال المتلمس = أبو أيوب سليمان
 بعض الأندلسيين : ٧٩ ، ١١٤
 بعض شعراء الأندلس : ١٣٥
 أبو بكر عبادة بن ماء السماء : ٢٠ ، ٢١ ، ١١٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧
 أبو بكر عبد الله بن ذى الوزارتين القاضى : ٢١
 أبو بكر بن نصر : ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٠ ، ١١٦
 أبو بكر بن هذيل : ٤٠ ، ١٣٥
 ابن بلشر : ١١

(ج)

- أبو جعفر بن الأبار : ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
 ٩٢ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٣٠ ،

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ،
١٦٢ ، ١٦٠
٣٨

جعفر بن فلاح :

(ح)

٢٨ ، ٣١ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢١ ،
١٤١ ، ١٤٦
١٣٧ ، ١٢٤ ، ١٠٠ ،
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ،
٩٩ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ،
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٤ ،
١٥٨ ، ١٥٩

الحاجب :

أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي :

أبو الحسن بن علي :

أبو الحسن علي بن أبي غالب :

٥٣

أبو الحسن بن علي الأشجعي :

١٠١

أبو الحسن بن غالب :

٩٠

٢٦ ، ٦٣ ، ١٣٠

أبو حفص بن برد :

٢٣

أبو حفص التدمري :

ابن الحناط = أبو عبد الله محمد بن سليمان

١٥٤

أبو حنيفة (الدينوري)

(ذ)

١٢٣

ذو الوزارتين عباد :

٤٤ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،

ذو الوزارتين القاضي :

٨٣ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٩ ،

١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤

(ر)

٦٤ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩

ابن الرومي :

(ز)

زياد بن أفلح : ١٢٤ ، ١٢٥

(س)

ساسان : ١٣٤

سليمان بن المستعين بالله : ٤١

سليمان بن الحكم : ٤١

(ع)

أبو عامر بن أوى عامر : ١٠

أبو عامر بن شهيد : ١٨ ، ٤١

أبو عامر بن مسلمة : ١٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ،

٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ،

١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٤١ ،

١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٢

ابن عباد = ذو الوزارتين أبو أيوب

ابن عباد = ذو الوزارتين أبو عمرو أحمد بن

إسماعيل

ابن عباد = ذو الوزارتين محمد بن إسماعيل

عبد الرحمن بن الناصر لدين الله : ١٠٠

عبد الزكى بن عثمان الأصم : ٣٦

عبد الله حفيد أوى مروان عبد الملك بن

جهور : ١١٩

أبو عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن

الحناط : ٢٢

أبو عبد الله بن مسعود : ٧٧ ، ٨٩

عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر

لدين الله (ابن القرشية) : ١٤ ، ١٠١

أبو عبد الملك الطليق مروان

ابن عبد الرحمن : ٣٨

عبد الملك بن نفيل : ١٥

أبو عثمان بن البر : ١٠٤

أبو عثمان بن سعيد بن فرج الجياني : ٧٥ ، ٧٤

أبو عمر أحمد بن عبد ربه : ٣٥ ، ٧

أبو عمر أحمد بن فرج الجياني : ١٣٣ ، ١٠١ ، ٩٤ ، ٨

أبو عمر القسطلي : ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ،

١٣٦

عمر بن هشام : ٣٦ ، ٩

أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي : ١١ ، ١٣ ، ٣٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٣ ،

١٤٥ ، ١٣٤ ، ١٢٦

أبو عمرو أحمد بن إسماعيل بن عباد

(ذو الوزارتين) : ٣٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٨ ،

١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠

أبو علي إدريس بن اليماني : ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٤٠

أبو علي البغدادي القالي : ١٣

عيسى بن سعيد : ١٢٦

(ق)

أبو القاسم البلبي : ٣٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣

أبو القاسم الخزاز : ١٦٠

أبو القاسم بن شبراق : ١١٣ ، ١٢٧

أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد

(ذو الوزارتين) : ٤

أبو القاسم بن هانيء الأندلسي : ٣٨ ، ١٠٨ ، ١٦١

القاضي : ٥٢

ابن القرشية = عبد العزيز بن المنذر

ابن قزمان = أبو الأصبع عيسى
ابن عبد الملك
ابن القوطية = محمد بن عمر أبو بكر

(م)

ابن ماء السماء = أبو بكر عبادة
المتوكل بن أبي الحسين :
٤٠
محمد بن عامر بن حبيب (والد المؤلف) : ٢٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٥٦
محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن
القوطية :

٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٣ ،
٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٤ ،
١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ،
١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦

١٧

محمد بن مسعود البجاني :
أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري : ٨٠ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٤
أبو مروان عبد الملك بن جهور :
١١٩
أبو مروان عبد الملك بن سعيد المرادي : ٣٦ ، ١١٢
أبو مروان عبد الملك بن شهيد : ١٢٥ ، ١٢٦

المصحفي = أبو الحسن جعفر بن عثمان
المظفر بن أبي عامر :

١٠٣ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٦

٦٦

ابن المعتز :

١٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١١٩

١٣٥

المنصور أبي عامر بن أبي عامر :

المنصور بن أبي عامر :

(ن)

الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الله بن

٣٦

محمد :

١٥٤

النعمان بن المنذر :

(هـ)

ابن هانئ = أبو القاسم محمد بن هانئ

(و)

أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر

(المؤلف) :
 ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٩ ، ٧ ، ٦ ، ٣
 ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٣ ، ٧٣ ، ٦٢ ، ٥٢ ، ٤٧
 ، ١١٢ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٣ ، ٩١
 ، ١٣١ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١١٦
 ، ١٤٩ ، ١٤٣ ، ١٤١ ، ١٣٣ ، ١٣٢
 ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥١
 ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠

٥٧

أبو الوليد بن جهور :

١٣٣ ، ١١٦ ، ٧١ ، ٣٤

الوليد بن العثماني :

(ي)

٤٥

يونس بن مسعود الرصافي :

* * *

فهرس القوافى

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
(أ)			
٢٦	أبو بكر بن القوطية	مخلع البسيط	السماء
٩٠	أبو عامر بن مسلمة	الكامل	النجباء
٩١	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	الأسواء
١٤٢	أبو الحسن بن على	الخفيف	الصحراء
١١٥	عبادة بن ماء السماء	الخفيف	رياء
(ب)			
٣٨	أبو القاسم بن هانىء	الكامل	أريب
٥٤	أبو الحسن بن على	السريع	رقيب
١٠١	ابن القرشية	الطويل	الكواعب
١٣٠	أبو حفص بن برد	الكامل	تصحبه
٤٦	يونس بن مسعود الصافى	الكامل	مطيبا
٤٠	المتوكل بن أنى الحسين	المديد	قيا
٢٥	أبو بكر بن القوطية	السريع	الكيا
١٢٦	أبو عمر يوسف بن هارون	الرملى	مكتسبة
١٤٩	أبو القاسم البلدى	الخفيف	غراية
١٥٢	أبو جعفر بن الأبار	المنسرح	صبة
١٣٤	أبو عمر الرمادى	الخفيف	حبيب
٩٢	أبو جعفر بن الأبار	الوافر	التشبيب
١١٥	أبو على إدريس بن اليمانى	الكامل	بضرائب
	أبو على إدريس بن اليمانى	الكامل	عجائب
٦٠	—	الخفيف	التراب
١٢١	أبو الحسن بن على	البسيط	النسب
١٤٠	أبو على إدريس بن اليمانى	الوافر	الذنوب

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٤٧	أبو الحسن بن علي	البيسط	به
١١٨	أبو عمر القسطلي (ابن دراج)	السريع	طبيه
١١٣	أبو القاسم بن شبراق	الكامل	به
٢٨	أبو جعفر بن الأبار	الكامل	عتابه
١٣٩	أبو الحسن بن علي	البيسط	غَرَبَةٌ
١٧	أبو أيوب سليمان بن بطلال	المتقارب	أثوابها
١٠٣	أبو عمر القسطلي (ابن دراج)	المتقارب	وطب
٩٠	أبو عبد الله بن مسعود	الرجز	مكتب
٥٦	أبو عمر القسطلي (ابن دراج)	المتقارب	بالذهب
١٣٦	أبو عمر القسطلي (ابن دراج)	الكامل	انتدب
٧٨	أبو عبد الله بن مسعود	الرجز	اكتأب
١٨	محمد بن مسعود البجاني	المنسرح	الصوب
١١٦	أبو جعفر بن الأبار	السريع	الصواب
١١٧	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	السريع	الأديب
(ت)			
١٠٧	أبو جعفر بن الأبار	البيسط	مبهوت
١٠٨	ابن هانيء الأندلسي	البيسط	تشتيت
١٢٧	أبو عمر القسطلي (ابن دراج)	الكامل	شجراته
١٣٢	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الخفيف	هيئاته
(ث)			
٩٠	أبو عمر الرمادي	الطويل	شعث
(ج)			
١٥٩	أبو الحسن بن علي	المنسرح	مزدوج
١١٠	أبو الحسن بن علي	الطويل	أبهج
١٤٤	ذو الوزارتين القاضي	البيسط	الأرج
٧	أبو عمر أحمد بن عبد ربه	البيسط	بتزويج
١٤٩	أبو جعفر بن الأبار	المنسرح	يُدجى

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٤٤	ذو الوزارتين القاضى	الرجز	البهج
١٢	أبو عمر يوسف بن هارون	الرمل	نسخ
١٢	أبو عمر يوسف بن هارون	الرمل	دبج
١٠٩	أبو عامر بن مسلمة	المجتث	يُتَوَّج

(ح)

٢٣	أبو عبد الله الحناط	الكامل	جناحا
٢٣	أبو عبد الله الحناط	الكامل	وشاحا
١١٣	أبو عمر القسطلی (ابن دراج)	المتقارب	ارتياحا
١٠٧	أبو عامر بن مسلمة	الطويل	بالتماحیه
١٦٠	أبو القاسم الخراز	البسيط	تفتحه
١١٥	أبو عامر بن مسلمة	الرجز	مفترخ
١٤٣	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الرجز	لمخ
١٢٨	أبو عامر بن مسلمة	الرجز	المدخ
	أبو عامر بن مسلمة	الخفيف	فاقترخ

(د)

٦٤	ابن الرومى	الكامل	الفاسد
٧٤	ابن الرومى	الكامل	شاهد
٧٤	أبو عثمان الجيانى	الكامل	الشاهد
٧٥	ابن الرومى	الكامل	واعد
٧٦	ابن الرومى	الكامل	خالد
٧٦	ابن الرومى	الكامل	الوالد
٧٦	أبو بكر بن القوطية	الكامل	الحاسد
٧٧	ابن الرومى	الكامل	الفاسد
٧٧	ابن القوطية	الكامل	الماجد
١٥٠	ابن القوطية	البسيط	أبراد
١٤٨	أبو جعفر بن الأبار	المتقارب	يعبد

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٥٩	أبو الحسن بن علي الفقيه	المنسرح	ويُعْمَدُهُ
٥٦	أبو بكر بن نصر	الطويل	أَسْوَدُهُ
١٤٢	أبو الحسن بن علي	الخفيف	وَرْدُهُ
١١٢	أبو علي إدريس بن اليماني	الكامل	برودها
١٢٥	أبو الحسن جعفر بن عثمان	الطويل	الحدّ
١٢٣	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الطويل	يغتدى
١٦٠	أبو جعفر بن الأبار	المجتث	ونجيد
١٢٥	زياد بن أفلح	السريع	الوجد
١١١	أبو جعفر بن الأبار	الكامل	عاد
١٥٦	أبو بكر بن القوطية	الخفيف	رقاد
١٢٥	أبو مروان الجزيري	الكامل	ورده
٧٠	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الرملي	رُدُّ
٩٤	أبو عمر الرمادي	مخلع البسيط	وارذ
٢٠	أبو بكر عبادة بن ماء السماء	الرملي	البعذ
١٥٢	أبو الحسن بن علي الفقيه	المجتث	عسجد

(ذ)

٩٨	ذو الوزارتين القاضي	الطويل	يغتدى
١٥٧	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الطويل	غُدَى

(ر)

١٢٣	أبو الحسن بن علي الفقيه	الطويل	النثر
١٢٩	أبو الحسن بن علي الفقيه	المنسرح	الدهر
١١٣	أبو عمر يوسف بن هارون	البسيط	تستتر
٣٢	أبو بكر بن نصر	الكامل	يسعر
٩٢	أبو جعفر بن الأبار	البسيط	غدار
٦٦	ابن المعتز	الخفيف	الاعتذار
١٢٣	أبو بكر بن القوطية	مخلع البسيط	نار

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٥٥	أبو بكر بن نصر	الكامل	الأنوار
٣٣	أبو القاسم البلعي	الكامل	تمطر
١٠٣	أبو مروان الجزيري	الكامل	وتحار
٩٦	أبو الحسن بن علي الفقيه	الوافر	الذمار
٢٤	أبو بكر بن القوطية	الكامل	غداؤه
١١٩	أبو مروان عبد الملك بن جهور	البيسيط	ينثره
١٣٧	أبو عامر بن مسلمة	البيسيط	منظره
٣٥	أحمد بن هشام	المنسرح	أصفهه
١٥٢	أبو الحسن بن علي الفقيه	الطويل	ثغورها
١٠٥	أبو بكر بن القوطية	البيسيط	منفطرا
٣١	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	جوهرا
١١٦	أبو بكر بن نصر	الطويل	طاهرا
٨٦	أبو عامر بن مسلمة	الرملي	قدرا
٣٦	عبد الزكي بن عثمان	الرملي	انفجارا
٤٠	أبو بكر بن هذيل	الطويل	حسرى
١١٣	أبو مروان المرادي	الطويل	المتستر
٣٧	أبو مروان المرادي	الطويل	أزهري
١٥٥	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الطويل	نضري
١٠٧	أبو عامر بن مسلمة	البيسيط	الزهري
١٣٤	أبو عمر أحمد بن فرج الجبائي	الوافر	العظري
١٥٨	أبو الحسن بن علي الفقيه	الرملي	بدر
١٥٨	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الرملي	فجري
١٦١	أبو القاسم بن هانيء	الرجز	الحضري
٩٨	أبو الأصبع بن عبد العزيز	السريع	الحبيري
١٦١	أبو القاسم بن هانيء	الرجز	الحضري
١٢٩	أبو الحسن بن علي الفقيه	الكامل	الخبير
١٠٩	أبو الأصبع بن عبد العزيز	الكامل	عطار

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٦	أبو الأصبع عيسى بن قرمان	الكامل	زاهر
١٥	عبد الملك بن نفيل	الكامل	مبشر
١٦٢	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المجتث	نار
٩٣	ذو الوزارتين القاضي	السريع	المنحر
٣٣	—	البيسيط	الحبر
١٠١	أبو الحسن بن علي الأشجعي	البيسيط	بتكبير
٩٧	أبو علي إدريس بن اليماني	الوافر	الأمير
٣٥	أبو عمر أحمد بن عبد ربه	الخفيف	المنثور
٣١	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	نشره
١٤٥	أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	المنسرح	نيلوفر
١٦٢	أبو عامر بن مسلمة	المنسرح	أبصر
١٣١	أبو بكر بن القوطية	الوافر	مُخبِر
٢٩	أبو جعفر بن الأبار	المنسرح	المنحبر

(س)

١٠٠	إسماعيل بن بدر	البيسيط	الناس
١١٥	أبو الحسن بن علي الفقيه	السريع	ناعس
١١٥	أبو علي إدريس بن اليماني	الرجز	الشمس
١٣٨	أبو بكر بن القوطية	الرجز	إقليدسة
٤٢	أبو بكر بن القوطية	الكامل	تنعس
١١٩	أبو مروان بن الجزيري	الكامل	الترجس
١٢٠	أبو عمر القسطلي	الكامل	المجلس
٤٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة	الكامل	تأنسي
٢٣	أبو حفص التدمري	المتقارب	آنسة
١٠٤	أبو الحسن بن علي الفقيه	الطويل	مَسَّها
١٤٢	أبو بكر بن القوطية	البيسيط	مفروس
٦٠	الخنساء	الوافر	نفسى

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١١٤	أبو بكر بن القوطية	الكامل	الغلسُ
١٦٠	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المنسرح	الأنفُسُ
(ش)			
٢٢	أبو الحسن بن علي الفقيه	المتقارب	الغِبشُ
(ص)			
٤٥	يونس بن مسعود الرصافي	الخفيف	التفصيصُ
(ض)			
٩٥	ذو الوزارتين أبو عمرو عباد	المنسرح	تبيضُ
٤٣	الوزير أبو عامر بن مسلمة	الكامل	الغضَّةُ
٥٣	أبو الأصبغ	المجتث	فضَّةُ
٤٦	أبو الحسن بن علي الفقيه	المجتث	أرضةُ
٤٧	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المجتث	وأرضةُ
٤٨	أبو بكر بن القوطية	المجتث	أرضةُ
٤٩	أبو جعفر بن الأبار	المجتث	غضَّةُ
٥٠	أبو جعفر بن الأبار	المجتث	حضةُ
٥٠	أبو بكر بن نصر	المجتث	غضةُ
٥١	أبو الأصبغ	المجتث	غضةُ
٥١	أبو الأصبغ	المجتث	غمضةُ
٥١	أبو بكر بن نصر	المجتث	خفضةُ
٥٢	ذو الوزارتين القاضي بن عباد	المجتث	تمضةُ
٥٣	أبو الحسن علي بن أبي غالب	المجتث	غمضةُ
٥٤	أبو الحسن علي بن أبي غالب	المجتث	محضةُ
١٣٩	أبو الحسن بن علي	الطويل	مغضُ
٩٤	أبو عمر أحمد بن فرج الجياني	الخفيف	ماضُ
٦١	أبو حفص بن برد	الرمل	المرضُ

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
(ط)			
١٢٨	أبو الحسن بن علي	المتقارب	الصراط
٧٩	بعض الأندلسيين	البيسيط	مَعَطِة
٧٩	للأندلسي	البيسيط	عَلَطِة
٩١	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	السريع	تنبسط
(ظ)			
١٣٠	أبو جعفر بن الأبار	الكامل	واحفظ
١٣١	أبو عامر بن مسلمة	الكامل	تلتظي
١٤٠	أبو جعفر بن الأبار	المجتث	يلحظ
(ع)			
١٤٣	أبو عامر بن مسلمة	السريع	الناصرُ
٤١	أبو عامر بن شهيد	الكامل	تطلُّع
١٠٥	أبو عامر بن مسلمة	مخلع البيسيط	بديع
١١	أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	الطويل	بمسمع
١٣٤	أبو مروان بن الجزيري	الكامل	فاقع
٨٢	أبو مروان بن الجزيري	الكامل	إيناعه
١٥٠	أبو عامر بن مسلمة	السريع	البديع
١٥٣	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المتقارب	البديع
٢٠	أبو عامر بن مسلمة	السريع	الطلوغ
(ف)			
١٠٠	أحمد بن هشام	الخفيف	وصفا

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٥٨	أبو عامر بن شهيد	المنسرح	صدفا
٨	أبو عمر أحمد بن فرج الجياني	الكامل	تسعف
٩٥	أبو الأصبع بن عبد العزيز	المنسرح	يعرف
٨٥	أبو عامر بن مسلمة	المجتث	تطرف

(ق)

١٠٠	أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي	الطويل	يتخلق
١٤٢	أبو عامر بن مسلمة	المتقارب	المونق
١١٨	أبو الحسن بن علي الفقيه	السريع	العشق
٨	أبو عمر أحمد بن فرج الجياني	الكامل	راتقا
٣٩	أبو عبد الملك الطليق	الرمل	عرقا
١٤٨	أبو جعفر بن الأبار	المنسرح	مُنطَبِقَة
٤٠	أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	الطويل	للمتشوق
١٣٥	أبو بكر يحيى بن هذيل	البيسط	متشوق
٣٧	أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي	الكامل	المتنميق
١٣٢	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	الفائق
١٥٤	أبو الحسن بن علي الفقيه	الخفيف	طريق
١٢٦	أبو عامر بن مسلمة	الخفيف	شفيق
١٦٢	أبو جعفر بن الأبار	المنسرح	السبقي
١٤٠	أبو علي إدريس بن اليماني	الرجز	روقي
٩٨	ذو الوزارتين القاضي الجليل	المنسرح	وَرِقَة
١٥٦	أبو جعفر بن الأبار	الرجز	رمق
٦٩	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الرمل	مُحَق

(ك)

١٣٥	أبو بكر يحيى بن هذيل	الطويل	السبكي
٦٢	أبو حفص بن برد	الرمل	الدرك
١١١	أبو الحسن بن علي	الطويل	سلك

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٦٢	أبو حفص بن برد	مجزوء الكامل	تملك
١٥٥	أبو بكر بن القوطية	الرجز	سك
٩٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة	الرمل	ملكه
١٤٧	أبو بكر بن القوطية	مشطور الرجز	المنسبك

(ل)

٩٠	أبو الحسن بن غالب	الطويل	جئل
٦٩	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	متنصل
١٢٥	أبو مروان الجزيري	البيسيط	سائله
٨٣	أبو الأصبع	الكامل	حميلا
٨٤	أبو بكر بن القوطية	الكامل	نييلا
٦٩	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الرمل	أولا
٥٤	أبو الحسن بن علي	الطويل	بنبال
١٣٥	بعض شعراء الأندلس	البيسيط	الكسل
١٣	أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	الكامل	ومحول
١٤٦	أبو الأصبع بن عبد العزيز	المتقارب	مثله

(م)

٢١	أبو بكر عبادة بن ماء السماء	البيسيط	قدما
٤٣	أبو بكر بن القوطية	البيسيط	نجما
١٤	أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	الطويل	التنغم
١٥٤	أبو الحسن بن علي	البيسيط	اللمم
٨٧	أبو بكر بن القوطية	البيسيط	الذام
٨٨	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	الكامل	الإكرام
١٠٦	أبو بكر بن القوطية	الخفيف	الأكارم
٩٦	أبو بكر بن القوطية	الوافر	بهم
٨٥	أبو الحسن بن علي	الطويل	سقيمه

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
١٤٦	أبو الحسن بن علي	الخفيف	طلامة
١٩	أبو عامر بن شهيد	الكامل	نائم
١٢١	أبو الأصبح بن عبد العزيز	السريع	الكرم

(ن)

١٢٩	أبو بكر بن القوطية	البيسيط	نيسان
١٢٨	أبو القاسم بن شبراق	المنسرح	يستين
١٣٩	أبو جعفر بن الأبار	الكامل	لتفطنا
٤٤	الوزير أبو عامر	الرجز	مجنتى
١٥٣	أبو القاسم البلعى	الخفيف	العقيان
٨٠	أبو جعفر بن الأبار	المجنت	عين
١٤١	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المجنت	بالراحتين
١٣٧	أبو بكر عبادة بن ماء السماء	مخلع البيسيط	سوسان
١٠١	أبو عمر أحمد بن فرج	السريع	السوسن
٩٤	ذو الوزارتين القاضى بن عباد	السريع	العيون
١٥١	أبو عامر بن مسلمة	السريع	حسان

(هـ)

١٣٦	أبو عمر أحمد بن دراج القسطلى	المنسرح	ثناياه
٧٠	أبو الوليد إسماعيل بن عامر	المنسرح	جنأه

(ي)

٣٠	أبو بكر بن القوطية	مخلع البيسيط	ملياً
٨٧	أبو جعفر بن الأبار	الكامل	زيه
١٧	أبو الحسن بن علي	موشح من بحر السريع	فضي
٦٢	أبو حفص بن برد	الكامل	يخفيه
٩٤	ذو الوزارتين القاضى بن عباد	السريع	الضافيه

فهرس الرسائل والقطع النثرية

- ٩ رسالة عمر بن هشام إلى صديق له يستدعيه في رأس الربيع :
- ١٠ قطعة نثر لذي الوزارتين القاضي جابوب بها أبا عمر بن أوى عامر :
- ٢٦ رسالة لأنى حفص بن برد إلى أنى إسحاق بن حمام وقد خرجا متنزهين :
- ٢٧ رسالة الوزير الكاتب أنى إسحاق بن حمام جوابا على رسالة أنى حفص بن برد :
- رسالة لأنى الوليد إسماعيل بن عامر (المؤلف) إلى أبيه يصف فيها بعض
مظاهر الربيع :
- ٣٣ ، ٣٢
- رسالة لعمر بن هشام إلى صديق يستدعيه في زمن الربيع ويصف ما عنده من
النواوير :
- ٣٦
- رسالة أنى حفص أحمد بن برد في المفاضلة بين الزهور الخمسة وتفضيل الورد
عليها :
- ٦٢ - ٥٧
- رسالة أنى الوليد إسماعيل بن عامر (المؤلف) في وصف سبعة أنوار والمفاضلة
بينها وتفضيل البهار رداً على رسالة أنى حفص :
- ٧٠ - ٦٢
- رسالة لأنى جعفر بن الأبار إلى أنى الوليد بن العثماني في وصف نزهة في فصل
الربيع :
- ٧١
- رسالة للوزير الكاتب أنى مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى إلى المنصور بن
أنى عامر حول بنفسج العامرية :
- ٨٠
- رسالة أنى مروان بن الجزيرى إلى المنصور أنى عامر بن أنى عامر حول وصف
بهار العامرية :
- ١٠٢
- رسالة أنى الوليد العثماني إلى أنى الوليد يصف فيها الخيرى :
- ١١٦
- رسالة أجاب فيها أبو الوليد (المؤلف) على رسالة أنى الوليد العثماني في الخيرى :
- ١١٧
- رسالة لأنى الوليد (المؤلف) إلى صاحب الشرطة إلى الوليد العثماني في ورد
بعثه إليه :
- ١٣٣

فهرس الأزهار والأنوار

(أ)

٩٩ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٤٤
 ٥٤ ، ٥٢ ، ٤٦ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٦
 ، ٦٣ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٣٦
 ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤
 . ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١

الآس :

الأقاحى :

الأقحوان :

(ب)

٥٤ ، ٤٧
 ١٦٠ ، ١٥٩
 ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٨ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٣٥
 ، ٨٠ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢
 ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢
 . ١١٤ ، ١١٢ ، ١١١
 ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٤٧ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٣٩
 ، ٦٨ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩
 ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٦٩
 ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٨٥ ، ٨١ ، ٨٠
 . ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣

الباقلاء :

بزر الكتان :

البنفسج :

البهار :

(ج)

. ١٦٢ ، ٤٠

الجلنار :

(خ)

. ١٤٢ ، ١٤١
 ، ٨٣ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤١ ، ٤٠
 . ٨٤

الخزم :

الخيزى :

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١١٨ .

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ،

٨٧ ، ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ .

الخيري الأصفر :

الخيري النمام :

(ر)

٣٦ ، ٩٢ .

الريحان :

(س)

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،

١٤٣ .

سوسن :

(ش)

٥٦ .

٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

١٥٣ .

الشقيق :

شقائق النعمان :

الشقر :

(ظ)

٩٧ ، ٩٨ .

الظيان :

(ن)

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ،

٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٩ ،

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،

الترجس :

، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٨٥ ، ٨١ ، ٨٠
 ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٤ ، ١٠٣
 . ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢١

. ٥٦

. ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦

. ١٦٢ ، ١٦١

. ١٦٠

. ١٦٠

. ١٥٠

، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٢

. ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦

نسرین :

نور الباقلاء :

نور الرمان :

نور الغالبية :

نور الكتان :

نور اللوز :

النيلوفر :

(و)

، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥

، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٥

، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٩ ، ٥٦

، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٧

، ١٢٤ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦

، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥

. ١٥٥ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١

الورد :

(ی)

، ٩٣ ، ٨٩ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٢٣

. ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤

الياسمين :

فهرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية

- ٨ تشبيه اضطراب النوار بالرياح :
- ١٢ تشبيه خط الممدوح بالربيع في حسن منظره :
- ١٤ تشبيه السحاب في اسوداده بالخييل الدهم :
- ١٥ وجه الإبداع في دخول الشاعر إلى المدح ومفاخرته بين السماء والأرض :
- ١٥ التشبيه في قول الشاعر (كأن الذى يسقى الثرى صرف قهوة) البيت :
- ١٦ تشبيه الشاعر بشر الزمان ببشر وجه ممدوحه :
- ١٧ استعارة التَّور للأجفان :
- ٢٥ تشبيه الروض بالصانع ، وأبيض نوره وأصفره بدرامه ودنانيره :
- ٢٧ حسن الاستعارة في قول أبى حفص (أخلاف الأنواء) :
- ٣٨ تشبيه أوراق السوسن في افتراقها بجيب مشقوق وما في ذلك من الدقة :
- تشبيه الورد بوجنة المعشوق وموطن الحسن فيما تصرف فيه الشاعر بمثل هذا التشبيه :
- ٣٩ تشبيهان معروفان وبيان ما يكمن فيهما من وجه الإبداع والحسن :
- ٤٠ تشبيه المياه بالمراجل :
- ٤٤ مدى التوفيق في قول الشاعر (كأن ذاك) :
- ٤٧ التشبيه في قول الشاعر : (إذا التقين مرأى) :
- ٤٨ وجه الحسن في قول الشاعر : اسم ابتداء تعالى . أن يحسن الدهر خفضه .
- ٥٢ الإبداع والإغراب في بيت يصف فيه الشاعر الورد :
- وجه الحسن والإبداع في أبيات القاضى التى يرد بها على الوزير أبى الأصبغ فى وصف الأفايحى :
- ٥٣ وجه الإبداع فى قول القاضى : فالأقحوان يياضا . كأنه سمط فضة .
- ٥٦ أخذ أبى بكر بن نصر معنى من معانى أبى عمر القسطلى فى وصف البهار :
- ٥٧ توجيه قول الشاعر : (ومن نرجس) ونقده بعدم ذكر اللون :
- ٧٦ تشبيه البهار بالنجوم :
- ٧٩ ، ٨٠ التصحيف فى (بر حبيب) :
- ٨٧ المراد بقول الشاعر : (على الملوئين) (كشقيقه) :
- ٨٨ التشبيه بلون المسك :

- ٩٣ الحكم على صورة من صور التشبيه لدى الوزارتين القاضى بن عباد :
- ٩٤ تقويم التشبيهات فى آيات ذى الوزارتين التى يصف فيها الياسمين :
- ٩٥ تشبيه النور بالكواكب ، وخضرة ورقه بخضرة السماء :
- ١٠١ الإبداع فى التشبيه من واقع البيئة :
- ١٠٣ تقويم رسالة أوى مروان الجزيرى :
- ١٠١ إيضاح المراد بقول الشاعر : (بأكامهن الخضر عمن يراقب) :
- ١١٢ التشبيه بلون أطراف الثدى والتشبيه بلون أطواق القمارى :
- ١١٣ اختراع أوى مروان المرادى فى بعض المعانى المتداولة بين الشعراء :
- ١١٥ إيضاح معنى قول الشاعر : (قبلته الشمس) :
- ١٢٢ إيضاح معنى قول الشاعر : حسن يفوق به تربيته :
- ١٢٣ تشبيه خضرة ساق النرجس بسواد الليل :
- ١٣١ إيضاح معنى قول الشاعر : (فى لبسه التقوى) :
- ١٣٦ إيضاح معنى قول الشاعر : (خاف عليه الحسود) وما فى ذلك من إبداع :
- ما روى عن عبادة بن ماء السماء حول آيات القسطلى ، ووصفها بحسن
الاختراع :
- ١٣٦
- ١٣٧ الكشف عن مواطن الاختراع فى آيات القسطلى حول السوسن :
- توضيح دقائق معانى كلمات وعبارات أوى بكر بن القوطية فى آياته التى
يصف فيها السوسن :
- ١٣٨
- ١٣٩ التشبيه والكناية فى آيات أوى جعفر بن الأبار :
- التشبيه فى قول ذى الوزارتين :
- ١٤٥ مقلة خود ملكت سحراً وغنجاً ودعج :
- إيضاح معنى قول الشاعر :
- ١٤٥ إذا الزناير من مغالقه لم تحفظ فيبينها تُقبر :
- ١٥٢ تشبيه تكسر الماء براحة الكف :
- ١٥٣ تشبيه ايضاض الأفحوان واتصاله وإحداقه بالبركة بلبه در :
- ١٥٧ إيضاح قول الشاعر : (جرت إلى مآقيها الحدق) :
- ١٦٣ إيضاح معنى قول الشاعر : (جل نار) :

فهرس الألفاظ اللغوية التي شرحها المؤلف

١١١	: حداد		(أ)
٧٩	: حَرَبَ :	٧٣	: أتدعنا :
١٤١	: الحفافان :	١٤٩	: الأحبوش :
٩٦	: حفف :	٩٠	: أخلص :
٢٨	: حانك :	٩٦	: أرماح :
٧٣	: الحيا ، الحياء :	٩٠	: أرواح :
	(خ)	٣١	: أسر :
١٣٩	: خاتل :	٢٢	: أغمد :
٢٥	: الخميطة :	٢٨	: الأكمه :
	(ر)	٢٨	: الأمره :
٩٢	: الرئي :	١٠٨	: الأناسي :
١٣٤	: الرقيب :		(ب)
١٣٨	: رقية :	٧٣	: البُهر :
٩٠	: الرّوح :		(ت)
١٤١	: الروق :	١٢	: التصنّع :
	(ز)	٣٤	: تراح :
١٥٩	: الزبرجد :		(ث)
١٤٥	: الزناير :	١٥٧	: تُنن :
	(س)		(ج)
٨	: السرى :	١٥٩	: جار :
١٥	: سلمى :	٩٦	: جبار :
١٣	: السّيح :	١٥٩	: جرجر :
	(ش)	٢٩	: الجنائب :
٧٩	: شذا :	١١	: جواد :
١٣٧	: الشرفات :	١٢	: الجون :
١٤٨	: شرواه :		(ح)
٢٢	: شم :	٢٨	: حالك :

		٣٠	الشهم :
(ك)			
١٣٩	كَيْفَات :		(ص)
(ل)		١١١	الصادى :
١٥٣	اللِّبَة :	٧٣ ، ٢٩	الصبعاد :
١٢٢	لحج :		(ط)
(م)		٤٣	الطلية ، الطلى :
٧٣	متلج :	٧٩	طَيْبٌ :
١٣٩	المجرد :		(ع)
١٣١	مَحْفَظِي ، مُحْفَظِي :	٢٩	عتابه ، عتابه :
٤٧	المراءى :	٥٠	العِرْض :
١٧	مزهوة :	٣١	العفر :
٨٨	المَسْكَ :		(غ)
٢٤	المغلسة :	٥٠	الغرض :
١٥	مقسّم :	١٢	الغزاة :
٣٤	المكوم :	٣١	العَفْر :
١٤١	المُنْدَلِق :	٢٨	الغلل :
١٤٠	المهَيّ :	٨	الغوادى :
٩٢	الموامى :		(ف)
(ن)		١١١	الفرصاد :
١٣٨	نابلة :	٤٣	فغما :
٢٩	النجاد :	١٤١	الفلج :
٤٣	نجم :	١٤٠	الفهر :
١١٧	النَّد ، النَّد :		(ق)
١٣٨	نسوس :	٢٨	القانى :
١٣٩	نُعِيّ :	١٣٩	القراضات :
(و)		١٥٩	القشر :
٣٣	واكفة :	١٥٢	القصف :
٢٥	الوذيلة :	١٣	قيناته :

١٣١	: يَفْرَق :	٢٩	: الوهاد :
١٥	: ينم :		(ى)
٥٠	: يُولى :	٣٩	: يتفقا :

* * *

فهرس البلدان والأماكن

٣٢ ، ٢٠	: صنعاء :	١٠٢	: أرملاط :
٣٥	: العامرية :	١١٢ ، ١٠	: أشبيلية :
١٥٩،٢٦،٢٣	: قرطبة :	١١٢	: بيدخت :
٢٦	: وادى آش :	١٢٤	: رية :

* * *



فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الإحاطة فى أخبار غرناطة : لذى الوزارتين لسان الدين الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان - الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٩٣
- ٢ - إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، دراسة أدبية تاريخية : للدكتور صلاح خالص - دار الثقافة بيروت ١٩٦٥
- ٣ - الألفاظ الفارسية المعربة : للسيد أدى شير - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨
- ٤ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس : لأحمد بن يحيى الضبى (ت ٥٩٩)
الطبعة الأوربية الأولى عام ١٨٨٤
- ٥ - بنو عباد بإشبيلية - عبد السلام أحمد الطود : الطبعة الأولى ، تطوان المغرب
١٣٦٥
- ٦ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب : لابن عذارى المراكشى : تحقيق ليفى بروفسال - دار الثقافة بيروت
- ٧ - تاريخ علماء الأندلس : لأبى الوليد عبد الله بن محمد بن الفرضى (ت ٤٠٣)
الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦
- ٨ - تاريخ النقد الأدبى فى الأندلس : الدكتور محمد رضوان الداية بيروت دار الأنوار -
الطبعة الأولى ١٣٨٨
- ٩ - تبين المعانى فى شرح ديوان ابن هانىء الأندلسى : شرحه وحققه الدكتور زاهد على -
مطبعة المعارف بمصر الطبعة الأولى ١٣٥٢
- ١٠ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : للشيوخ أبى عبد الله محمد بن الكتانى الطيب - تحقيق الدكتور إحسان عباس : دار الثقافة بيروت - الطبعة الأولى .

- ١١ - التكملة لكتاب الصلة - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الآبار (ت ٦٥٩) عنى بنشره وصححه السيد عزت العطار - مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٥
- ١٢ - تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ؛ الدكتور مصطفى عليان عبد الرحيم - بيروت مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤
- ١٣ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية : لضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بابن البيطار - المطبعة العامرية الطبعة الأولى ١٢٩١
- ١٤ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس : لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦
- ١٥ - الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي : تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ، ومحمد نديم ، المكتبة العربية بحلب الطبعة الأولى ١٣٩٣
- ١٦ - الحلة السرياء - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الآبار (ت ٦٥٨) تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣
- ١٧ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي : محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٩
- ١٨ - ديوان الخنساء : المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٨٨
- ١٩ - ديوان ابن دراج القسطلي : تحقيق الدكتور محمود علي مكى ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣٨١
- ٢٠ - ديوان ابن الرومي : تحقيق الدكتور حسين نصار - القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٩٣
- ٢١ - ديوان ابن شهيد الأندلسي : جمعه وحققه يعقوب زكى - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى
- ٢٢ - ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : تحقيق الدكتور محمد التونجي - من منشورات مكتبة الخافقين بالرياض الطبعة الأولى ١٣٩٧ ، والديوان نفسه بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية - طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩

- ٢٣ - ديوان القطامي : تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب - دار الثقافة بيروت ١٩٦٠
- ٢٤ - ديوان ابن المعتز : للخليفة العباسي عبد الله بن المعتز : تحقيق محمد بديع شريف طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .
- ٢٥ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت دار الثقافة الطبعة الأولى ١٣٩٩
- ٢٦ - الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك : تحقيق إحسان عباس ، وتحقيق محمد بن شريفة - دار الثقافة بيروت
- ٢٧ - رايات المبرزين وغايات المميزين : لعل بن موسى بن محمد بن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٣
- ٢٨ - الروض المعطار في خبر الأقطار : لمحمد بن عبد المنعم الحميري : تحقيق الدكتور إحسان عباس - لبنان دار العلم ١٩٧٥
- ٢٩ - سكردان السلطان على هامش المخلاة للعامل - الطبعة الأولى
- ٣٠ - شرح أسماء العقار : لأبي عمران موسى بن عبيد الله القرطبي تحقيق ماكس مايرهوف الطبعة الأولى .
- ٣١ - الشعر في ظل بني عباد - للأستاذ محمد مجيد السعيد ، مطبعة النعمان بالنجف الطبعة الأولى ١٣٩٢
- ٣٢ - الصلة : لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٤٩٤) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦
- ٣٣ - العقد الفريد : لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧) تحقيق أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٨١
- ٣٤ - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عبيد البكري - تحقيق الدكتور إحسان عباس ، والدكتور عبد المجيد عابدين - بيروت مؤسسة الرسالة ١٣٩١
- ٣٥ - لسان العرب : لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١) طبع بولاق بمصر ١٣٠٨
- ٣٦ - المثلث : لابن السيد البطلوسى (ت ٤٤٤) تحقيق الدكتور صلاح مهدي الفرطوسى - العراق دار الرشيد ١٩٨١
- ٣٧ - المطرب من أشعار أهل المغرب : لابن وهبة أبي الخطاب عمر بن حسن

- (ت ٦٣٣) تحقيق إبراهيم الإياري ، والدكتور حامد عبد المجيد ، والدكتور أحمد بدوي المطبعة الأميرية ١٩٥٤
- ٣٨ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس : للوزير أنى نصر الفتح ابن محمد بن خاقان (ت ٥٢٩) تحقيق محمد على شوابكة - بيروت مؤسسة الرسالة ، ودار عمار ١٤٠٣
- ٣٩ - معجم الأدباء : لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦) الطبعة الأولى
- ٤٠ - معجم الألفاظ الزراعية - للدكتور مصطفى الشهاوى ، الطبعة الأولى
- ٤١ - المغرب من كلام الأعجمى على حروف المعجم : لأبى منصور الجوالقى (ت ٥٤٠) تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاکر : دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩
- ٤٢ - المغرب فى حلّى المغرب : لابن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥) تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٨
- ٤٣ - ملاحم التجديد فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس الهجرى - الدكتور مصطفى أحمد على السيوفى ، بيروت عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٥
- ٤٤ - النبات - لأبى حنيفة الدينورى : تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، الطبعة الأولى وتحقيق لوين بريل
- ٤٥ - النثر الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين : الدكتور حازم عبد الله خضر دار الحرية للطباعة بغداد ١٤٠١
- ٤٦ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت دار صادر ١٣٨٨
- ٤٧ - نكت الهميان فى نكت العميان : لصلاح الصفدى (ت ٧٦٤) تحقيق أحمد زكى بك المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩
- ٤٨ - نهاية الأرب فى فنون الأدب : أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣) النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية
- ٤٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (ت ٦٨١) تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت دار الثقافة الطبعة الأولى
- ٥٠ - يتيمة الدهر : لأبى منصور الثعالبى (ت ٤٢٩) تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٩٥٦

فهرس موضوعات الكتاب

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب :
٦	باب ما جاء فى الربيع والأنوار من البديع المختار :
٧	الفصل الأول : فى الربيع التى لم يسم فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع :
٣٥	الفصل الثانى : فى القطع التى لم تنفرد بنوار وإنما اشتملت على نورين : أو أنوار :
٨٩	الفصل الثالث : فى القطع المنفردة كل قطعة منها بنور على حدة :
٨٩	الأس :
٩٣	الياسمين :
٩٩	البهار :
١٠٨	البنفسج :
١١٢	الخيرى النمام :
١١٨	الخيرى الأصفر :
١١٩	الترجس الأصفر :
١٢٤	الورد :
١٣٣	السوسن :
١٤١	الخرم :
١٤٤	النيلوفر :
١٥٠	نور اللوز :
١٥١	الأقحوان :
١٥٣	الشقر :
١٥٦	نور الباقلاء :
١٦٠	نور الكتان :
١٦٠	نور الغالية :
١٦١	نور الرمان :
١٦٢	الجلنار :

خاتمة المؤلف

الصفحة	الموضوع
١٦٥	الفهارس
١٦٧	١ - فهرس الأعلام .
١٧٣	٢ - فهرس القوافي .
١٨٤	٣ - فهرس الرسائل والقطع النثرية .
١٨٥	٤ - فهرس الأزهار والأنوار .
١٨٨	٥ - فهرس الإشارات الأدبية والبلاغية والنقدية .
١٩٠	٦ - فهرس الألفاظ اللغوية التي شرحها المؤلف .
١٩٢	٧ - فهرس البلدان والأماكن .
١٩٣	٨ - فهرس المصادر والمراجع .
١٩٧	٩ - فهرس موضوعات الكتاب .

* * *

مكتبة
الدكتور محمد رشيد الوائلي

كتب مطبوعة للمحقق

- ١ - تحقيق حماسة أبي تمام في مجلدين من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٢ - تحقيق كتاب معاني أبيات الحماسة لأبي عبد الله النعمري .
- ٣ - تحقيق كتاب الاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير .
- ٤ - تحقيق كتاب أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز للأجري .
- ٥ - تحقيق كتاب التطفيل للخطيب البغدادي .
- ٦ - تحقيق كتاب البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري الإشبيلي .
- ٧ - حماسة أبي تمام وشروحها : دراسة وتحليل .
- ٨ - كتاب البديع لابن المعتز دراسة وتحليل .
- ٩ - بحوث ودراسات في الأدب والنقد .
- ١٠ - معجم شعراء الحماسة .

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجي

مكتبة
الدكتور زوران الخانجي

مطبعة المدائن

